

د. عثمان سعدي

البربر
الأمازيغ
عرب حغاربة

وعروبة الشمال الافريقي عبر التاريخ



عثمان سعدي

الأمازيغ "البربر" عرب عربية

وعروبة الشمال الإفريقي عبر التاريخ

دار الأمة®

نطاعة والسر والنوع

ص. ب، 109 برج الكيفان 16120 الجزائر

تلف / فاكس . +213.23.31.33.06 / +213.23.31.36.57

email : oummabooks@gmail.com

طبعه : 2018

ردمك: 978-9961-67-402-4

إيداع قانوني: السادس الأول / 2018

جميع الحقوق محفوظة، ولا يسمح بإعادة إصدار هذه الكتاب أو نسخه في أي شكل
أو بيئة واسطة، سواءً كانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير وتلمس
(فوسكوبى)، أو تسجيل أو التغزيل والترجيع، دون إذن خطى من النشر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

عندما قررت إعادة طبع كتابي (عروبة الجزائر عبر التاريخ) الذي طُبع طبعتان: الأولى سنة 1983 من طرف الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، والثانية من طرف المؤسسة الوطنية للكتاب سنة 1985، والذي نفذت طبعتاه من السوق، منذ 1986، مع تمنع المؤسسة عن إعادة طبعه، قمت بإضافات كبيرة، نظراً بعد المسافة الزمنية بين 1981 سنة تحرير الكتاب الأول، وسنة 1996. ووجدت أن الكتاب لم يعد الكتاب الأول، وإنما صار كتاباً جديداً. فقد عرفت المسألة الأمازيغية خلال هذه السنوات الخمس عشرة، تطوراً كبيراً وبخاصة سنة 1995، سواء على مستوى الجزائر، أو على مستوى المغرب الأقصى. وقررت أن يكون الكتاب جديداً، بعنوان جديد هو "الأمازيغ (البربر) عرب عربية، أو عروبة المغرب عبر التاريخ". وذلك لأنني عدت إلى مراجع جديدة تجاوزت ضعف مراجع الكتاب الأول. كما أن صفحاته قد تضاعفت.

لقد ميز سنة 1980 ملتقى إيكوران، وميز سنة 1995 تأسيس المحافظة السامية للأمازيغية، وجرت أحداث خطيرة بين هاتين الستين جديرة بأن ترصد وتحلل، ليطلع المواطن الجزائري والمغربي بصورة عامة، والعربى بصورة أعم، على ما يحاك ضده من طرف دوائر مشبوهة بالعالم. فإحياء لهجات، ومحاولة تحويلها إلى لغات، لم يعد قاصراً على القطر الجزائري، أو قطر المغرب الأقصى، وإنما امتد إلى أقطار عربية أخرى. ففي مصر مثلاً وبتخطيط من دوائر صهيونية أثيرت في السنوات الأخيرة مسألة اللهجة النوبية، والقبطية، وتأسست جمعيات مشبوهة، أقامت لها المهرجانات والملتقيات، والمؤتمرات، على غرار ما جرى ويجري عندنا. وفي سنة 1996 تبهت الحكومة المصرية إلى

خطورة ما يجري، فوضعت له حدا؛ فقد علمت أن هذه الجمعيات المشبوهة
حلت وأوقفت محاولات التوبيه والقبطية.

إن خطة الصهيونية، منذ بداية القرن، تتمثل في تغريب الوطن العربي إلى
دولات على أساس عرقي أو طائفي: دولة الأكراد، ودولة الموارنة، ودولة
الدروز، ودولة العلوبيين، ودولة الشيعة، ودولة الأقباط، والدولة التوبيه، والدولة
البربرية. وبمجرد أن سُنحت لهذه الدوائر الفرصة، فصل شمال العراق الكردي
عن القطر الأم، وتوضع الأكاديميين لخلق الدولة الكردية بالأرض العربية، لا
في تركيا ولا في إيران حيث الأكراد أكثر كثافة منهم في العراق. والتآمر هذا
يدور الآن حول اللغة العربية، العامل الوحيد القوي الذي لا زال يربط العرب
كشعوب ودول، بعد أن تمت لأعداء الأمة العربية تكيف السياسة والاقتصاد
العربيين، وفقاً لما يريدون، بواسطة افتتاح متواضع حول الوطن العربي إلى
سوق لمصانع الغرب وحليفته إسرائيل ، وإلى بترول رخيص، وحوالى ألف
مليار دولار عربية مودعة في المصارف الغربية - اليهودية تدر الخير العميم
على إسرائيل .

فالعربية في هذه المرحلة هي المستهدفة، فمنذ نهاية العقد الثامن من هذا
القرن تزرع العواصم العربية بالتوادي والجمعيات المشبوهة، من أجل توجيه
الشباب إلى الأغنية الغربية، والوطن بالكلمات الأجنبية في تعاملهم؛ ومن أجل
توسيع سيطرة الفرنسية بالمغرب، والإنجليزية بالشرق، على تدريس العلوم
والتكنولوجيا، وعلى ما يسمى بالبحث العلمي، خدمة لاقتصاد (الtribando -
الشنطة)، الذي يتسبب في هجرة المئات من الكفاءات العربية سنوياً.

واكتشفت دوائر الصهيونية، والاستعمار الجديد، التي تحكم الآن في
الأوضاع، أن أنجح طريقة لضرب العربية، خلق ضرات لها، كالكردية، والتوبية،

والقبطية، والبربرية وتطويرها بالحرف اللاتيني من لهجات إلى لغات، يتم على أساسها بلقنة الوطن الكبير.

لقد بدأت المسألة الكردية في العراق باللغة الجمهورية، وانتهت بالانفصال. وهذا ما سينتظرنا بالجزائر، بل إن المسألة أخطر من المسألة الكردية، فالأكراد لم يطلبوا في يوم من الأيام إصدار مرسوم عراقي يعترف فيه باللغة الكردية كلغة رسمية ووطنية، وإنما طالبوا بالاعتراف لهم بلغتهم كلغة جمهورية تدرس بمناطق الأكراد فقط وبالحرف العربي، مع التسليم بأن اللغة العربية هي اللغة الرسمية الوطنية العامة بالعراق بما في ذلك المناطق الكردية. تم يطالب الأكراد بإلزام تعليم الكردية للطفل البغدادي أو الموصلاني أو البصري العربي.

وفي فرنسا يوجد ملايين البروتون، وملايين الألزاسيين اللورانيين، لكنه لم يحدث أبداً أن طالب أراسي أو بروتاني يفضل لغته على الطفل الباريزي أو الليوني أو المارسي. وتدرس البروتانية كلغة جمهورية محلية في بروتانيا، مع تسليم البروتانيين بأن الفرنسية هي اللغة الوطنية والرسمية الوحيدة لكل الأمة الفرنسية. ولا نشاهد نشرة أخبار بالبروتانية، أو بالألزاسية، أو بالباسكية، في قنوات التلفزة الفرنسية (TF1 أو TF2) أو غيرها. ولم نسمع في يوم من الأيام أن الرعيم الفرنسي اليميني (لوبان) البروتاني، ألقى خطاباً أو صرحاً تصريحه بالبروتانية، بل نراه لا يستعمل إلا الفرنسية.

أما بربريست الجزائر فهو يطالبون بتعظيم تدريس الأمازيغية (أي اللهجة القبائلية المائة المعدة في مختبرات الأكاديمية البربرية بباريز) على كل الجزائريين ومن فيهم العرب الذين يؤلفون أكثر من ثمانين في المائة من الشعب. علينا بأنه لا وجود للغة أمازيغية مركبة أم، وإنما توجد لهجات أمازيغية: كالقبائلية، والشاوية، والميزيافية، والتارقية، والزناتية بتيميمون، والشلحية بالغرب، والشرشالية، وغيرها من لهجات خاصة بكل جيب أمازيغي منتشر

في بلادنا، حتى أن عالما فرنسيا متخصصا في البربرية وهو (رونيه باسيه) يقدر عددها بشمال إفريقيا بخمسة آلاف لهجة، وينكر حتى وجود لهجات بربرية، وإنما الذي يوجد -في نظره- هو مجرد واقع لهجوي خاص بكل قرية يصعب التفahم بين متحدثيها. فحتى (البربريون) يعترفون بعدم وجود لغة أمازيغية. ففي حديث رئيس المحافظة السامية للأمازيغية لجريدة (El Watan) في شهر سبتمبر 1996، اعترف فيه بهذه الحقيقة وطالب «بضرورة توحيد اللهجات الأمازيغية»، وخلق لغة منها؛ أي خلق ضرورة للعربية من العدم، خدمةً للفرنسية.

إن التزعع البربرية هي مسألة قبائلية، يقول الجنرال "أندريل ب. ج. P.J. Andre) عضو أكاديمية العلوم الاستعمارية الفرنسية، سنة 1956 : «إن المسألة البربرية في الجزائر هي في الحقيقة مسألة قبائلية...» وأروع تحليل لظاهرة التزعع البربرية بالجزائر، ما كتبه الزعيم المغربي الكبير الأمازيغي الأصل، العروبي الفكر الأستاذ محمد البصري، تعقيبا على حوار ثيزي وزو سنة 1980 حيث قال: «فالذين يشرون (المسألة البربرية بالجزائر)، يفعلون ذلك حفاظا على مصالحهم الاقتصادية والوظيفية في جهاز الدولة والإدارة الجزائرية. وهؤلاء هم برب منطقة القبائل، الذين تفرنعوا لغةً منذ وقت طويل، ومن ثم مكثهم الاستعمار من شغل كثير من الواقع الثانوية في الإدارة والتجارة وبخاصة في العاصمة، التي تقع قرب منطقة القبائل. وحين حصلت الجزائر على الاستقلال كان هؤلاء هم الكوادر الوحيدة المدربة، فانتقلوا من الواقع الثانوية إلى الواقع الرئيسية الأولى، التي أخلوها الفرنسيون في أجهزة الإدارة والخدمات والإنتاج. ومع اشتداد موجة التعرّيب في الجزائر بات هؤلاء يشعرون بالخطر على مصالحهم، فرفعوا شعار (الثقافة البربرية) حينا، وشعار (الثقافة الجزائرية) حينا آخر، في مواجهة التعرّيب والثقافة العربية».

وقد تجاوز البربرист كل الخطوط الحمراء، فهم يطالبون بتغيير مضمون الهوية الوطنية من ثنائية تمثل في العروبة والإسلام، مثلما نصّ عليه بيان أول نوفمبر، ودرج عليه المغرب العربي منذ أربعة عشر قرنا، إلى ثلاثة بإضافة الأمازيغية. إذا تحقق ذلك - لا قدر الله - فإن غسلفة الجزائر ستتحقق، وستدمر الوحدة الوطنية. وقد بدأوا بالفعل في التمهيد لذلك، فهم يقولون إن الجزائر لم تعد عربية، وإنما (هي أمازيغية - عربية)، فتحتاج صاحفهم على تصريح وزير خارجية الجزائر السابق السيد محمد الصالح دنبرى بأن الجزائر عربية. إنهم يطالبون بأن ينصب تمثال للكاهنة في ساحة الشهداء بالعاصمة، نعم للكاهنة الوثنية التي كانت تعبد صنما، والتي حاربت الإسلام. ولم يطالبوا بنصب تمثال (لala فاطمة نسومر) لأنها مسلمة مجاهدة حاربت الاستعمار الفرنسي !! وللتصور أن ينصب تمثال لأبي لهب في الساحة الرئيسية لمدينة الرياض، ويطلب بإلغاء سورة (تبَّتْ يَدَا أَبِي لَهْبٍ).

وهم يطالبون كذلك باعتماد ما يسمى برأس السنة البربرية الذي خلقه لهم الآباء البيض من العدم، حتى يوازوا به رأس السنة الهجرية. وهم يطالبون باعتماد مهرجان إيكوكوران - الذي أدارته من باريس في 20 أفريل 1980 عناصر الأكاديمية البربرية، من ضباط الـ (OAS) والآباء البيض - كيوم عيد وطني.

ويفسّر البربريون ثلاثة الهوية تفسيرا عنصريا عرقيا، فقد كتب عزالدين الزعلاني عضو المحافظة السامية للأمازيغية، مقالا طويلا في صحيفة (Le MATIN) عددي 2 / 3 / 1996 قال فيه: «إن الأمازيغية بالنسبة لشعبنا وجود (ETRE)، والعربية، والإسلام، والفرنسية مكاسب، أي عناصر مقبولة منا، فهوينا أحاديد ولا بد أن تكون أحاديد، أي أمازيغية فقط، والعربية والإسلام مكملان لها». ومعنى هذا الكلام أن العربية والإسلام عنصران مقبولان من الجزائر، ويمكن للعنصر المقبول أن يستبدل، أو أن يتخلّى عنه في أي وقت.

وكان أكبر استفزاز قاموا به هو قرارهم بعقد مؤتمرهم في باتنة، عاصمة الأوراس الأشتم، عندما بأن الشاوية يرفضون -بإصرار- الانسياق في تيار التزعنة البربرية الهدامة، وبرهنو على ذلك عملياً عندما واجهوا بالحجارة زعيم التزعنة البربرية (سعيد سعدي) لدى قيادته سنة 1991 لعشرات من شباب تيزى وزو المغurer بهم، في عشرات الحافلات، والتوجه بهم إلى باتنة وهو يقول: «القد قررت فتح الأوراس للبربرية». مما كان من شباب الأوراس إلا أن منعوه بحجارة الأوراس من دخول باتنة. وهو الذي يقول أيضاً في كتابه الأخير الذي طبعته دار (Flammarion) الفرنسية سنة 1996:

«من هو غير بربري ليس بجزائري (Ce qui n'est pas berbere n'est pas). (un Algérien).

إن خطة الصهيونية هي خلق دويلات عرقية بالوطن العربي كما سبق أن بيّنت، ومن هذه الدويلات الدولة البربرية. ويؤكد ذلك الأستاذ بن يوسف بن خلدة، رئيس الحكومة المؤقتة خلال الثورة الجزائرية، الذي صرّح لأسبوعية (الحرية) الجزائرية، في عددها (83 - 8 / 5 / 1996) بما يلي:

«يوجد أكثر من تقارب بين البربريين وبين اليهود، وهذا ما يجعل شخصاً مثل (سعيد سعدي) لا يتتردد في التباهي بعلاقاته مع سفير إسرائيل في باريس بمقتضى هذه المفاهيم والأطروحات المشتركة».

لقد برهن الشاوية وغيرهم من الفئات البربرية الأخرى، رفضهم عملياً للتزعنة البربرية الهدامة، عندما رفضوا الانسياق في عملية إضراب المدارس بالسنة الدراسية (1994 - 1995). هذه العملية التي حضرت في بلاد القبائل، وأكَّدت وبالتالي أن هذه التزعنة مسألة قبائلية.

قللت لقد قرر البربريست عقد مؤتمرهم في باتنة، وتحرك نتيجة لذلك مجاهدو الأوراس، فأصدروا لائحتهم الأولى في 31 مارس 1996، رفضوا

فيها عقد هذا المؤتمر ببأته، وحددوا فيها - وهذا هو المهم - مفهوم الأمازيغية وطنياً (الذي يتعامل معها كل الجهات رواحد لمعربة الأم، لا فرق بينها وبين الجهات العربية الحديثة؛ وتعنصر من تاريخنا، مثل الفرعونية بمصر، والفينيقية بسوريا، واليونيكية بال المغرب العربي، والأشورية بالعراق، التي تعد كلها رواحد للحضارة العربية القديمة).

وكان عرب الجزائر ساخطون بحسبت من ظاهرة التزعنة البربرية (البربريزم) المنطلقة من بلاد القبائل، منذ 1980، لكنهم كانوا يتجلبون الجهر بذلك خوفاً من اتهامهم بالعنصرية العربية ضد البربرية.

ووجد عرب الجزائر ضالتهم في اللائحة فراحوا يساندونها، ويساندون من خلالها مفهوم الأمازيغية الوطني عند أمازيغ الشاوية، الذين يمثلون أكبر تجمع بربري بالجزائر، وأصدرت الولايات التاريخية للثورة السادسة، والخامسة، والقاعدة الشرقية، بيانات تؤيد موقف الشاوية.

وأصدر أحمد بن بلا رئيس الجمهورية الأسبق، ورئيس المنظمة الخاصة للثورة، التي أعدت للثورة، بياناً أيد فيه لائحة الولاية الأولى، وشمن فيه موقف الشاوية «الذين لم تشهدهم دسائس الاستعمار في المسألة الأمازيغية، - علما بأن بن بلا أمازيغي». وهكذا يعيد التاريخ نفسه فيقوم الأوراس بإنقاذ دولة أول نوفمبر من مؤامرة البربريزم، صنيعة الاستعمار الفرنسي الجديد، مثلما أندى الجزائر بتغييره للثورة سنة 1954 من الاستعمار الفرنسي القديم، كما ورد في بيان أحمد بن بلا. وهكذا كانت استفزازاتهم لل Shawia سبباً في تحديد معلم طريق الخلاص من نزعتهم الهدامة، حددها في هذه المرة أبطال أوراس النماشة.

وأمام إصرار البربريست على عقد مؤتمرهم ببأته في شهر أغسطس، أصدرت الولاية الأولى التاريخية أوراس النماشة لائحة رفض ثانية، بتاريخ 17 يوليو 1996. وهبت الشخصيات والأحزاب الوطنية تدعم هذه اللائحة.

فصدرت التعليمات العليا إلى (المحافظة السامية للأمازيغية) ببالغ المؤتمر المذكور، الذي أرادت منه هذه الأخيرة «إخراج المسألة الأمازيغية من الغيتو (Ghetto) القبائلي» كما جاء في جريدة التزعة البربرية الأولى (LIBERTE)، عدد 3 / 8 / 1996 . ونحن نقول للبربرист الفرنكوفيل: «حاشا لبلاد القبائل الأبطال أن توصف بالغيتو اليهودي للبربريزم، فهي عرين الأسود، وببلاد الشيخ الفضيل الورتلاني، ولا لا فاطمة نسومر، والشيخ السعيد الصالحي، والشيخ أحمد حسين، ومولود قاسم نايت بلقاسم، والعقيد عميروش، وغيرهم من مجاهدي الجزائر العربية المسلمة. وأن التزعة البربرية (البربريزم) التي تعاني منها الآن ماهي إلا سحابة صيف سوف تتشقّع عنها، عندما تكتشف جماهير القبائل ضلال هذه التزعة، وقريبا س يتم ذلك...».

فالبربرист الفرنكوفيل يعتقدون بأنهم أرادوا بهذا المؤتمر جر الشاوية إلى تيارهم، ويعترفون بأنه إذا لم ينضم إليهم الشاوية، فإن مآل تيارهم الفشل. ويستعمل البربرист أسلوب الإرهاب، فقد وجهوا لي تهديدات بالقتل على كتاباتي ضدّهم، وأنا لا أخافهم، فأنا من الأمازيغ (البربر) من النمامشة، أكبر قبيلة بربرية. وبلغ بهم الغي أن رفعوا دعوى قضائية ضدي، عن طريق محافظتهم السامية، في شهر يونيو (حزيران) سنة 1996 .

وخير ما أختتم به هذه المقدمة ما قاله أبو النهضة الجزائرية عبد الحميد بن باديس الصنهاجي:

شعب الجزائر مسلم وإلى العروبة يتسب

الجزائر في 23 نوفمبر (تشرين الثاني) 1996

من هم الأمازيغ (البربر)؟

مدخل:

يكثر الحديث في هذه الأيام عن البربر: عن أصلهم، عن لغتهم، عن تاريخهم مع العرب ومع العربية ومع الإسلام. وأنا هنا أستعرض تاريخ المسألة البربرية، عبر مراجع فرنسيّة لتعزيز رأيي الوارد في الكتاب، والمتمثل في أن البربر من العرب العاربة، استقروا بالمغرب ضمن هجرات سابقة للفتح الإسلامي، على أساس أنهم ساميون، أي من العرب القدامى؛ بسبب بطلان التسمية السامية لتاريخنا، بآجمع المؤرخين. هذه التسمية التي أطلقها المستشرق اليهودي النساوي «شلوتزر (Shlotzer)» في الربع الأخير من القرن الثامن عشر. ويستبدل المؤرخون مصطلح الساميين بالأقوام العربية القديمة، ومصطلح اللغة السامية بالعربية القديمة أو العروبية.

إن البربر يعيشون في حوض حضاري، ولا أقول (عرقي)، يقع في هذا الامتداد الجغرافي، من سلطنة عمان شرقاً على المحيط الهندي، إلى موريتانيا على المحيط الأطلسي غرباً. وكان هذا الامتداد مسرحاً لمدشري، منذ عشرات آلاف السنين، في الاتجاهين: من المغرب إلى المشرق، ومن المشرق إلى المغرب. فالمؤرخ الفرنسي «غوتير» (E. F. Gautier) في كتابه «ماضي شمال إفريقيا»، يرى أن «الاحتمال الكبير هو أن الإنسان الذي عمر وادي النيل هاجر من الصحراء الكبرى⁽¹⁾».

كما ششنت الأول البربري اتجه سنة 950 قبل الميلاد، من المغرب العربي الذي كان يسمى ليبيا في ذلك الوقت، وحكم مصر الفرعونية، وأسس البربر

(1) GAUTIER - E.F. Le Passe de l'Afrique du nord, p23.

الأسرتين المصريتين الفرعونيتين الثانية والعشرين والثالثة والعشرين. كما انطلق البربر من بلاد القبائل بالجزائر وأسسوا الدولة الفاطمية، وبنوا القاهرة. إذن فإن البربر يعيشون وسط هذا الحوض الحضاري الكبير الذي عرف تبادل الهجرات منذ التاريخ القديم.

ومن الغريب أن (البربرист) افتعلوا ما يسمى بالتقويم البربرى بمناسبة توجه شيشنق إلى مصر، وسموه التقويم الششنقى، فزيقوا التاريخ، وحوّلوا هذه المناسبة من عنصر تاريخي موحد بين مشرق هذا الامتداد الجغرافي ومغربه، إلى عنصر مكرس لأنفصالهما. ويطالب "البربرист" باعتماد هذا التاريخ كرأس للسنة البربرية، والاحتفال به كعيد وطني؛ مقابلًا لعيد المولد النبوى الشريف. بينما لا يعرف تاريخ البربر هذا النوع من التقويم.

البربر والعرب القدامى:

إن بعض المؤرخين: مثل أحمد سوسة العراقي، و"بير روسيه (P. Rossi)" الفرنسي، يرون أن الموجات البشرية الخارجة من الجزيرة العربية هي التي عمرت الشمال الإفريقي وحوض البحر الأبيض المتوسط بشماله وجنوبه، وذلك منذ بدء المرحلة الدافئة الثالثة (وورم 3 Warm) في التاريخ الجيولوجي للأرض، أي قبل عشرين ألف سنة. والتي نجم عنها ذوبان الجليد في أوروبا وحوض البحر الأبيض المتوسط، وزحف الجفاف على شبه الجزيرة العربية، التي كانت تنعم قبل بدء هذه المرحلة، بمناخ شبيه بمناخ أوروبا حاليا.

وتعتبر هجرة الفينيقيين إلى المغرب واحدة من هذه الهجرات المتأخرة للأقوام العربية من الجزيرة العربية التي سبقت بهجرات سابقة لها، لم يسجلها التاريخ كما سجل هجرة الفينيقيين. وتنقُّ الفينيقيين من الجزيرة العربية إلى بلاد الشام، ومن بلاد الشام إلى المغرب العربي، جاء عفويا، يؤكّد تبادل هذا المد البشري في هذا الحوض الحضاري الكبير.

ويؤكد المؤرخون العلماء الأوروبيون، من خلال استقراءاتهم لعلم الآثار والنقوش والكتابات القديمة المكتشفة، أن استيطان الفينيقيين -منذ منتصف الألف الثانية قبل الميلاد (أي منذ 3500 سنة)- هو الذي مهد لشهرة قبول البربر للغة العربية والدين الإسلامي في القرن السابع الميلادي. ويرون أن اللغة البوئيقية استمرت قائمة بال المغرب العربي، كلغة ثقافة وحضارة ودواوين، حتى بعد تدمير قرطاج، وخلال الاستعمار، وإلى أن دخل العرب المسلمين؛ فحدث الوصل بين البوئيقية التي هي عربية قديمة، وبين العربية التي هي لغة حديثة طورها القرآن الكريم والإسلام.

كما أن هؤلاء المؤرخين يرون أن الديانة الكنعانية، أي القرطاجنية، التي اعتقدوا أنها البربر، المؤسسة على شبه توحيد، هي التي جعلت نفوس البربر جاهزة لاستقبال الدين الإسلامي بهذه السهولة، بل وبهذه العفوية. إن إمبراطورية قرطاج، وحضارة قرطاج الراقية، التي استمرت سائدة في حوض البحر المتوسط وفي العالم، عدة قرون، تأسست نتيجة للتزاوج بين شعوبين عربين: الشعب الكنعاني القادر من لبنان، والشعب البربري الذي كان موجوداً بالشمال الإفريقي. والذي يؤكّد ذلك أن الثقافة القرطاجية، من دين ولغة، بقيت قائمة بالشمال الإفريقي، إلى أن جاء العرب المسلمون فأقاموا عملية الوصل بين حلقتين الحضارة العربية.

وأسأعرض نصوص المؤرخين فرنسيين، متخصصين في الدراسات البربرية والسامية، تؤكّد هذه الحقيقة. فمحررو (مادة الجزائر) في الموسوعة الفرنسية (يونيفيرساليس Universalis) يقولون:

«بدأ تاريخ المغرب الأوسط بوصول الفينيقيين الذين سجلوا حضارتهم كأول حضارة بالمدن، حيث تركت بها آثاراً مكتوبة، فأسسوا مبكراً، في القرون

الأخيرة للألف الثانية قبل الميلاد، مراكز تجارية. وتطور الفينيقيون إلى قرطاجيين، ولم يستعمروا داخل البلاد، ولكنهم طوروا هذه المدن الساحلية التجارية، والتي استمرت قائمة حتى بعد تدمير قرطاج، تحمل تسميات سامية كمدن (راسكرو (دلس). وروس كاد (سكيكدة). وروس قونية (ماتيفو)... وكان الرؤساء البربر المسيطرة على داخل البلاد حلفاء وزبائن تجاريين للقرطاجيين، يمدونهم بفرق عسكرية، وبخاصة بالفرسان النوميديين المشهورين، وبالفيلة العربية والجنود. وانتشرت اللغة البوئيقية والحضارة الفينيقية بعمق في البلاد وظهرت مدن للأهالي، وأضرحة ومزارات دينية، بنيت أحياناً من طرف فناني قرطاجيين... وهكذا فقد كان البربر تلاميذ للفينيقيين الذين علموهم أساليب زراعية وصناعية، كصناعة الزيت، والنبيذ، وصناعة الأدوات من التحاس، وعلموهم على الخصوص ديانتهم. واستمر البربر يعبدون آلهة قرطاج، حتى في أثناء الاحتلال الروماني، لدرجة أن بعض المؤرخين يرون أن المسيحية، ثم الإسلام، لم يقبلان من البربر، بهذه السهولة، إلا بسبب دخول هذه الديانة القرطاجية المغرب، التي هي ديانة سامية. واستمرت اللغة البوئيقية متداولة حتى بعد القرن الثالث الميلادي، حيث لعبت دور الوصلة إلى اللغة العربية⁽¹⁾.

دخول البربر العصر الحضاري:

لقد خرج البربر من العصر الحجري الحديث، ودخلوا التاريخ والعصر الحضاري عن طريق إخوانهم الفينيقيين. فالمؤرخ الفرنسي المتخصص في الدراسات البربرية "هنري باسيه (H. Basset)" يورد حقائق تؤكد ذلك، فيقول: «إن اللغة البوئيقية لم تخفت من المغرب إلا بعد دخول العرب. ومعنى هذا أن هذه اللغة بقيت قائمة، هذه المدة بالمغرب، لسبعة عشر قرنا، وهو أمر عظيم...»

(1) Encyclopedie Universalis, T1, p633.

لقد استمر تأثير مدينة قرطاج قائماً حتى بعد تدميرها، فقد تحولت (سيرتا) تحت حكم الملوك النوميديين (البربر) إلى مركز بونيقي، بل إن اسم سيرتا هو (قرطا)، أي المدينة بالبونيقية... لقد علم القرطاجيون البربر الزراعة. فالبربر يكسرون الرمانة على مقبض المحراث، أو يدفنونها في أول خط للحرث، تفاؤلاً بأن سنابل الجبة المبذورة ستأتي كثيرة بعد حبات الرمانة. وهي عادة مستمدّة من ثقافة قرطاج، فالرمانة لديها رمز للخصوصية، وتعتبر قرطاج مربية للبربر، فقد علمتهم كيفية الاعتناء بالزيتونة التي كانت موجودة بالمغرب كشجرة وحشية وكيفية استخراج الزيت منها. وفيصل "غزيل Gsell" هذه المسألة لغوايا فيقول: (إن الكلمة أَزْمُور بالبربرية تعني الزيتونة الوحشية، وهو الاسم البربري لهذه الشجرة. أما إذا نكلموا عن الزيتونة الملقة أطلقوا عليها الاسم السامي (الزيتونة)، وعلى سائلها اسم الزيت...) كما علم الفينيقيون البربر زراعة التينة التي كانت قبلهم موجودة بالمغرب كشجرة وحشية أيضاً، وعلموهم زراعة الكرمة، والرمانة؛ وعلموهم عموماً فن زراعة الشجر المثمر. وقد تبيّن لنا الآن أن البربر كانوا على اتصال بالفينيقيين منذ ما قبل التاريخ... وعلم الفينيقيون البربر الصناعات القابلة للتصدير كالسيراميك، وصناعة المعادن، والنسيج، والمجوهرات: كالخلاخيل، والتبيجان، والخلالات (المشابك)، التي تصنع في صورة كف مبسوطة الأصابع. والتشابه واضح بين مجوهرات القبائل (بالجزائر)، والسوس (المغرب)، وبين المجوهرات القرطاجية. أما ديانة قرطاج فهي التي كانت منتشرة بالمغرب كالأله (بعل عمون)، والإلهة (تانيت)، وكان هذا الإله منتشرًا بالعالم العربي كله، الأمر الذي أورد اسمه القرآن بالأية: ﴿أَتَذَعُونَ بِعَلَّا وَنَذَرَوْنَ أَحْسَنَ الْحَالَيْنَ﴾، لدرجة أن انتشار الإسلام شمال إفريقيا عائد إلى ما فعلته قرطاج في هذه البلاد... أما عن اللغة فقد جعل الملوك النوميديون البربر، في

العهود الأخيرة، من البوئيقية لغتهم الرسمية، لدرجة أنه كان الناس في بلاد البربر، وفي المدن على الخصوص، يتحدثون البوئيقية أكثر من البربرية، وحتى في العهد الروماني... إن المناطق التي انتشرت فيها البوئيقية أكثر هي التي تعرّت بالكامل. والبوئيقية لغة قريبة من العربية التي ما أن دخلت المغرب حتى خلفت البوئيقية وبسهولة، كما أن آلهة قرطاج هي التي مهدت لانتصار الإسلام في هذه البلاد، واللغة القرطاجية عبدت الطريق للعربية... وخلاصة القول أن قرطاج لم تجلب سوى الخير للبربر، فقد علمتهم غرس الأشجار المشمرة، وربّتهم روحياً ودينياً. ومن الغريب أن هذا التأثير تعمق أكثر بعد تدمير قرطاج. لقد دمرت روما أسوار قرطاج لكنها فشلت في تدمير تأثيرها في نفوس البربر، بل إنه كلما تأسس احتلال روما للمغرب كلما انتشرت وتعمقت في نفوس البربر لغة قرطاج وعقائدها؛ وهل يختلف الوضع الآن عنه آنذاك؟!!!(١).

لنلاحظ مغزى هذا السؤال الذي طرّحه المؤرخ الفرنسي إنه يريد أن يقول: أنه كلما تغلغل الاستعمار الروماني في الأرض المغاربة ازداد المغاربة تشبيهاً بالبوئيقية، وبالديانة القرطاجية، في الماضي؛ وكلما ازداد الاستعمار الفرنسي تغللاً الآن في الأرض المغاربة ازداد البربر اتشبيهاً بالعربية والإسلام. إنه يريد أن يقول باحتشام: إن التاريخ يعيد نفسه. هذا ما كتبه هذا المؤرخ الفرنسي، إنه يؤكّد الأصل العربي للبربر، من المحرفيات والكتابات الأثرية، التي اكتشفها علماء الآثار الفرنسيون والأوروبيون بالمغرب العربي.

ويؤكّد مؤرخ آخر بريطاني هو "فریند" Freind يقول: «لقد بنت الكتابات البوئيقية المكتشفة بالمغرب، والتي تحمل تاريخ 162 و 147 قبل الميلاد (أي تحت حكم ماسينيسا) مدى ارتباط الأهالي بقرطاج دينياً من خلال عبادتهم

(1) Henri Basset: Les Influences Puniques chez les Berberes, Revue Africaine, V.62 (1921) p340.

لجعل عمون، الإله القرطاجي، وهذا يؤكد السيطرة المستديمة للديانة القرطاجية على السكان المحليين. أريد التحدث عن استمرار البوئيقية، فقد بقيت متشرة بال المغرب بعد تدمير قرطاج وفي العهد الروماني، وحتى عهد القديس أوغسطين الذي ذكر مراراً أن السكان الذين كانوا يحيطون به، يتكلمون البوئيقية. إن اللغة البوئيقية استمرت بين بعض البربر كلغة ثقافة... بل إن الدوناتية مقدمة لإلغاء الإسلام للمسيحية، وللثقافة الرومانية بال المغرب. ويقول غوتié، إن أوغسطين عندما كان يسأل هؤلاء الأهالي في دروسه الوعاظة، ما هو أصلكم؟ كانوا يجيبونه: نحن كنעניون»⁽¹⁾.

والكنعانيون هم الفينيقيون. ويدرك المؤرخ الفرنسي "رينان E.Renan": «إن البربر اعتنقوا الإسلام بسهولة، لأنهم كانوا يعرفون البوئيقية»⁽²⁾. ويدرك "غوتié E. Gautier": «إن استعمال البوئيقية كان سائداً في كثير من نواحي المغرب الشرقي؛ حتى القرن الخامس الميلادي»⁽³⁾. ويؤكد المؤرخ "وليم مارسي W.Marçais": «إن البوئيقية كانت لغة الدوناتيين، ويأسف القديس أوغسطين لأن فلاحي المنطقة التي كان يعيش فيها (عنابة)، كانوا لا يجهلون تقاليد الكنعانيين والمورو، ويقول: عندما نسأل فلاحيتنا من أنتم؟ يجيبوننا بالبوئيقية، نحن كنعنيون. كما أن القديس أوغسطين لم يشر أبداً إلى اللغة البربرية».

إن معنى هذا أن لغة الكاثوليك، المذهب الرسمي للاستعمار الروماني، وبالتالي لغة القديس أوغسطين، كانت اللاتينية؛ وأن لغة المذهب الدوناتي مذهب الشعب بالمغرب العربي، كانت البوئيقية. وقد ظهر هذا المذهب المسيحي في المغرب في القرن الرابع الميلادي، على يد الأب دونا الذي

(1) Jean Lassus: l'Antiquité, Revue Africaine, V100, 1956, p87.

(2) E. Renan: Histoire Générale des Langues Sémitiques 7^e edition, p199.

(3) Revue Africaine, V94.

كان يسميه الرومان (دوناتوس) الذي توفي سنة 355 م. وارتکز هذا المذهب على عنصرين أساسيين، الأول: اعتماد التوحيد ورفض الثالوث الذي يرى فيه بدعة دخيلة على المسيحية. والعنصر الثاني: اعتماد الدين المسيحي كدين جاء لرفع الظلم عن المظلومين، ولهذا فلابد أن يساعد المغاربة على تحريرهم من الاستعمار الروماني، وهذا هو الذي جعل المؤرخ البريطاني "فريند Freud" يقول: «كانت الدوناتية مقدمة لإلغاء الإسلام للمسيحية، وللثقافة الرومانية بالغرب». المعروف أن الأب دونا سجنه الرومان بل ومات في سجنه. دون أن تعتبره الكنيسة مؤرخوها، في ذلك الوقت، شهيداً للمسيحية، فتضييف لاسمه كلمة القديس، المعروف أن الأب دونا استشهد في نفس السنة التي ولد فيها القديس أوغسطين، الذي كتب رأي فيه وهو أنه كان عميلاً كبيراً للاستعمار الروماني، سخر المسيحية ضد نضال شعبه البربرى من أجل التحرر من الاستعمار، وحرض السلطة الاستعمارية على إلغاء الدوناتية، واضطهاد أتباعها، والإلقاء بأساقفتها في السجون سنة 411 م، حيث ماتوا فيها. واستمر أتباع هذا المذهب الشعبي يمارسونه في الخفاء إلى أن جاء الإسلام فوجدوا فيه ضالتهم فاعتنقوه. وسرد في الكتاب تفاصيل أخرى عن هذا المذهب. وقد كانت القبائل البربرية، قبل الإسلام، تمارس طقوس الديانة البوذية باعتراف الكاتب البربرى المشهور "أبوليوس Apule" ، الذي كتب باللاتينية، والذي اعترف بأن آباء كان مسيحيًا، وأمه وثنية.

ومعنى ذلك أيضًا أن البوذية كانت قبل الفتح الإسلامي، تقوم بنفس الوظيفة التي صارت تقوم بها اللغة العربية، بعد الفتح الإسلامي، وأن دخول العربية جاء ليختلف البوذية، بأسلوب تطوري طبيعي، من لغة عربية قديمة، إلى لغة عربية حديثة، طورت على يد الإسلام.

ويستمر المؤرخ مارسيه، فيقول: «إن فاليروس Valerus قال: سمعت الفلاحين يثرثرون بلغة أجهلها، ويرددون كلمة (ثالوث Salus)، وعندما سأله عن معناها أجابوني: معناها (ثلاثة). والملاحظ أن القديس أوغسطين لم يشر أبدا إلى اللغة الليبية (البربرية). وعندما هربت العذراء (ديميتریاس) من روما بعد احتلال من طرف الغوت، علق القديس جيروم Saint Jerome (347 - 420 م)، على دخولها الرهبنة المسيحية بقوله: من يتبع عرسك غير أصوات مصر صر باللغة البوئيقية، تودعك بفاحشة مقيدة...»⁽¹⁾ (ويقصد بكلمة "ستریدور" Stridor اللاتينية الزغرودة البوئيقية التي ترافق الزفاف).

وهذا يشير إلى أن الزغرودة المعروفة في الوطن العربي مشرقاً ومغارباً، هي عادة عربية قديمة كانت مستعملة لدى الساميين (العرب القدماء).

ويروي الكاتب التوأمدي البربرى المشار إليه قبل قليل، أبو ليوس (125 - 180 م) في كتابه "دفاع Apologie": «أن ربى سيسينيوس كان لا يعرف اليونانية، ويجهل اللاتينية، أو يرفض بعناد استعمالها، وكان لا يتكلم إلا البوئيقية». وسيرد في الكتاب رأي المؤرخ المصري رشيد الناصوري، حول علاقة البربر بالفينيقيين ومصر الفرعونية. ولا ينبغي أن يتملكتنا العجب من التأثير الفينيقي في المغرب، فقد بدأ يظهر بالغرب المؤرخون الذين يؤكدون الأصل العربي القديم للحضارة اليونانية، مثل بيير روسيه الفرنسي الذي سيرد تحليل لكتابه في هذا الكتاب. وأود أن أشير إلى آخر ما صدر في المكتبة الأوروبية، وهو كتاب: (أثينا السوداء: الجذور الإفريقية الآسيوية للحضارة الكلاسيكية) للكاتب الإنجليزي المولد،الأمريكي الإقامة (مارتن برنال M. Bernal) الذي طبع بلندن سنة 1991 ، فقد قال: «لابد لنا من أن نعيد التفكير في أسس الحضارة الغربية، وفي التسليم بدور التزعة العرقية الأوروبية في كتابة وفلسفة التاريخ،

(1) William Marçais: Revue Africaine, T94 (1950), p280.

وبأن أوروبا هي العالم، وبأن العقل هو العقل الأوروبي، فقد سادت أروبا موجة عاتية من الإنتية والعنصرية».

ثم يتكلم عن التأثير السامي (العربي القديم) في اليونان، فيقول: «إن الوثائق المسجلة التي وصلت إلينا من منطقة إيجية، هي أواح مكتوبة بالإغريقية، ويرجع تاريخها إلى القرنين الرابع عشر والثالث عشر قبل الميلاد، وتشتمل على كلمات مستعارة من السامية، وعلى الكثير من الكلمات المصرية، وثمة أوجه شبه مذهلة بين مضمون هذه الوثائق وبين عديد من المسائل الاقتصادية مثل المكابيل، والموازين، التي كانت سائدة في المشرق وفي بلاد ما بين النهرين... إن المصريين والفينيقيين أقاموا المدن والمستوطنات في اليونان القديمة، وأدخلوا فيها نظام الري، الفينيقيون هم الذين علموا اليونانيين القدماء الأبجدية، بينما علمهم المصريون الدين وأسماء الآلهة وكيف يعبدونها. أي أن الإغريق كانوا يمارسون طقوساً وشعائر مصرية في معابدهم، أو لنقل بعبارة أخرى أن منصورهم إلى العالم لم يكن أروبياً... وتندعم هذه الاكتشافات رواية الإغريق القدماء من أن كيكروريس مؤسس مدينة أثينا قد أتى من مصر، بل اسم أثينا اسم مصرى. فقد كان المصريون يسمون بلدتهم (أثيناي)، وهو الاسم الدينى لبلدة سايس، العاصمة المصرية. وجدير بالذكر أننا نجد تمثيل للإلهة أثينا سوداء، أي مصرية إفريقية، إذن فقد كان لمصر وللساميين الغربيين دور يقيني في تشكيل بلاد الإغريق. فقد استوطن المصريون بلاد الإغريق من موقع السيادة السياسية والثقافية. ويدرك أن أفالاطون يقرر في محاورة طيماؤس، أن هناك علاقة نشوئية بين مصر واليونان... إن اللغة اليونانية هي أساساً لغة هندواروبية، لكن أكثر من خمسين بالمائة من معجمها كلمات مصرية فينية، وبخاصة فيما يتعلق منها بعلم الدلالات (السيمنطيقا) وتطورها، ومفردات الترقية، والعلاقات السياسية، لا الأسرية، والقانون والدين والمجدرات فإنها ليست هندواروبية.

فهي، أي اللغة اليونانية، بوصفها هذا انتاج لاستعمار مصرى فينيقي. لقد تكونت اللغة اليونانية خلال القرنين السابع عشر، والحادي عشر قبل الميلاد، وهي ذات بنية هندوأروبية، ومفردات أصولها مصرية وسامية غربية... قليلة جدا هي أسماء الأماكن والبلدان اليونانية التي يمكن تفسيرها على أساس هندوأرABIي. وأن عددا كبيرا جدا من أسماء البلدان والمعالم اليونانية هي من أصل سامي أو مصرى. مثل نهر يارданوس في كل من كريت وبليبيونيز، وهو مشتق من ياردا أو (الأردن). وأسم (أنيجروس) مصدره جذر سامي: نجر، بمعنى فاض. وزراه كثيرا متضمنا معنى واحة أو نهر وسط الصحراء في كثير من بلدان شرق آسيا، وشمال إفريقيا (نهر النيل)... ومثل أسماء الجبال والمجدرات والجوامد، مثل ذلك الجذر (سام) الذي يتكرر في غالبية الأسماء الإغريقية مثل ساموس وساموكون...إلخ. وهي أسماء مشتقة من الجذر السامي (سام بمعنى مرتفع). أما مدينة اسبرطة اليونانية فقد تمصر مجتمعها فيما بين 800 و500 قبل الميلاد، وأسمها مستمد من موقع جغرافي مصرى (سيبت، أو سبرت، بمعنى حي، أو مقاطعة، أو عاصمة). بل إن أسماء الأساطير اليونانية هي أسماء مصرية مثل (أغا ممنون)، وهو مشتق من كلمتين مصريتين أغا بمعنى عظيم، وممنون وهو منحوت أو منمحت... ويختتم المؤلف كتابه بقوله: إن هذا الكتاب هدفه فتح مجالات بحث جديدة، لذوي الأهليات الأفضل والأكثر تميزا، ثم الحد من غطرسة الثقافة الأوروبية⁽¹⁾

ولنلاحظ أن هذا المؤاخ يدمج بين المصريين والفينيقيين في الأصول اليونانية القديمة، وهذا يؤكد أن المصريين ساميون أي عرب قدامى. وأن الحضارة المصرية سامية أي عربية قديمة وهو ما أكدته المؤرخ الليبي علي

فهمي خشيم⁽²⁾.

(1) Martin Bernal: Black Athena, The Afroasiatic Roots of Classic Civilization, London 1991.

(2) علي فهمي خشيم: آئية مصر العربية، ج 2، ليبيا 1990.

ويعتبر الشيخ البشير الإبراهيمي عن هذا كله بحدسه وإحساسه، لأنه لم يكن مطلعاً على هذه الكتابات، منطلاقاً من ثقافته العربية القديمة الواسعة، ومن اطلاعه، بل وحفظه عن ظهر قلب لمعجم اللغة العربية، فيقول: «إن عروبة هذا الشمال الإفريقي، جرت في مجاريها طبيعية مناسبة لم يشبها إكراه، وإنما هي الروح عرفت الروح، والفترة سابت الفطرة، والعقل أعدى العقل، وكأن هذه الأمم التي تغطي هذه الأرض قبل الاتصال بالعرب، كانت مهيأة للاتصال بالعرب، أو كان وشائج من القربي، كانت مخبوعة في الزمن فنظهرت لوقتها، وكانت نائمة في التاريخ فتنبهت لحينها»⁽¹⁾.

إذن فإن كل الدلائل تشير إلى أن البربر عرب في أصولهم، وأن اللغة البربرية لهجة من لهجات العربية القديمة (أي لما يسمى خطأ باللغة السامية): كل المتخصصين في الدراسات البربرية أثبتوا أن البربرية واحدة من اللغات السامية (أي العربية القديمة)، فقد تكون مشتقة من اللغة البوئيقية، مثلما يرى صراحة المؤرخ الفرنسي للحضارة العربية، «غوستاف لوبيون G. Le Bon»⁽²⁾. وكل المكتشفات الأثرية المتعلقة بالنقوش والكتابات القديمة، تبين أن البربر أقرب إلى الحميريين. إن هجرات عديدة تمت من الجزيرة العربية إلى شمال إفريقيا. فالهكسوس مثلاً شعب هاجر من الجزيرة العربية واستقر في مصر، في الفترة ما بين 1730 و 1570 قبل الميلاد. وهي من هذه الهجرات السامية التي سجلتها التاريخ. فالمؤرخ التونسي عثمان الكعاك يرى: «أن البربر قدمو من الجزيرة العربية، في زمن لا يقل عن ثلاثة قرون ق.م، وأن الفينيقيين اختلطوا بالبربر على طول السواحل الإفريقية المغربية، في القرن الثاني عشر قبل الميلاد، ولما كان البوئيقيون عرباً من بني كنعان، فقد اختلطوا بالبربر، الذين هم عرب من العاربة القحطانية».

(1) عيون المصادر، الجزء الثاني، ص. 477 - 478.

(2) غوستاف لوبيون: حضارة العرب، ترجمة عادل زعير، ط2، ص. 301.

ويؤكد المؤرخون أن مدينة سوسة بتونس بناها العرب القادمون من جنوب الجزيرة العربية، قبل أربعة آلاف سنة، وأعطوها اسم (حضر موت). ويسجل المستشرق الألماني رولسلر التشابه بين الأكديّة والبربرية⁽¹⁾.

بل إن محمد كاتي الذي هو من مدينة (تبكتو) بمالي، يقول في كتابه (طارق الفتاش)، الذي ترجم إلى الفرنسية في باريس سنة 1913، يقول في صفحته 25: «إن القبائل الساكنة على ضفاف نهر النيل، حتى المحيط الأطلسي، جاءوا من اليمن». والذي يؤكد ارتباط البربرية بالحميرية، أن وزن (أفعول) الذي تشتهر به البربرية، هو وزن حميري اشتهرت به هذه اللغة. فقد نشر الباحث اليماني القاضي إسماعيل بن علي الأكروع مقالاً بمجلة المجتمع العلمي السوري (عدد نيسان - أبريل 1986) تحت عنوان (الأفعول وما جاء على وزنه في اليمن). كما كتب الأستاذ مظفر الإبراني في مقال حول (نقش جبل أم ليلي) وردت فيه ثلاث صيغ على هذا الوزن، وهي أسماء لفروع لقبيلة خولان باليمن القديم، وسجلت بالخط المسند وهي:

أحْتُوب

أعْبُوس

أحْبُوس⁽²⁾

ويخلص الكاتب الفرنسي "فلوريان" التطابق الكامل بين العرب والبربر، فيما يلي: «أصل مشترك، لغة واحدة، عواطف واحدة، كل شيء يساهم في ربطهما ربطاً متينا». أما عن تسمية البربر، فالنقوش الأثرية المكتشفة تشير إلى أن كلمة بربر وجدت في اليمن. فجزيرة بربرة جزيرة تابعة لليمن توجد في مضيق اليمن، كما وجد اسم قبيلة البر مكتوباً بالخط الصنائي. ويقول محمد شفيق، من المغرب الأقصى، وهو متعصب للبربرية: «كتب المؤرخون العرب وجزموا بأن البربر من

(1) O. Rosler. Za. 50 (1952). Orientalia 20 (151).

(2) دورية الإكليل، عدد 4، سنة 1989 (عن كتاب عروبة البربر، ص 49).

أصل يماني، من العرب العاربة، وتكمّن فكرة التأكيد اليوم على القرابة القديمة المحتملة بين الأمازيغين واليمانيين، في ثلاثة فرائين: أولاً: أن عدداً لا يأس به من أسماء الأماكن، على الطريق الذي يمتد بين المغرب الكبير واليمن لها صبغة أمازيغية واضحة. منها في صعيد مصر (أبتو، أسيوط)؛ وإيغيم في جبل حوران في سوريا؛ وتيما في شمال السعودية، وتاركما، وأتبار وتيمرابين في السودان، وأكسوم، بأسمرة، وأكولا وأكودات (أكروؤضاد)، في أرتريا، وجزيرة أنتوفاش في اليمن. ثانياً: لقد عثرت على عدد من الأنفاظ العربية التي قال بشأنها صاحب لسان العرب، أنها حميرية، أو يمانية، وهي الفاظ لها وجود في الأمازيغية، إما بمدلولها الحميري، أو بمدلول معاكس (الأصداد). ثالثاً: بين حروف التيفيناغ القديمة، ومنها التوارقية، وبين حروف الحميريين (الأبجدية الحميرية - المسند) شبه ملحوظ^(١).

وتوجد أسماء باليمن متطابقة مع أسماء لقبائل بربرية كالسلوح: اسم قرية وقبيلة باليمن، والسلوح تجمع كبير لقبائل البربرية بالمغرب الأقصى. والأكتوس، عشيرة من بني مهاجر باليمن، ومكناسة بالمغرب.

ومنما يؤكّدعروبة البربر، أن المغرب العربي لم يحكم بالخلافتين الأموية والعباسية، فقد انفصل منذ وفاة عمر بن عبد العزيز، وحكم البربر المسلمين أنفسهم بأنفسهم منذ ذلك التاريخ، من خلال أكثر من عشر أسر بربرية حكمت المغرب العربي حتى مجيء الأتراك، ولم يحدث أن قال حاكم واحد من هؤلاء أن المغرب بربري، وأن العربية لغة دخلة، ولا بد من ترسيم البربرية. بل عملوا كلهم على نشر العربية وتطويرها. بينما نجد الأتراك والفرس حكموا من الخلافتين الأموية والعباسية أكثر من خمسة قرون، وب مجرد سقوط الخلافة العباسية، عاد الفرس فرما بلغتهم، والأتراك أتراكاً بلغتهم.

(١) محمد شفيق: لمحات عن ثلاثة وثلاثين قرناً من تاريخ الأمازيغين. (عن كتاب عروبة البربر).

هل بقاء المغرب عربياً حتى الآن صدفة تاريخية؟ لا توجد صدفة في التاريخ. كما بينما فإن البربرية لم تكن لغة في تاريخها، وإنما كانت دائمًا لهجة أو لهجات إلى جانب لغة الحضارة والثقافة في شمال إفريقيا، التي كانت اللغة البوئيقية. فالمؤرخ الفرنسي "أندري باسي A. Basset" ينشر كتاباً سنة 1929 تحت عنوان "اللغة البربرية" يقول فيه: "لم تقدم البربرية أبداً لغة حضارة، لا في الماضي ولا في الحاضر، كما أنها لم تقدم لغة موحدة موزعة على مجمل البلاد، كما لم يكن لها آداب مكتوبة، أو مدارس تعلم فيها. لقد كانت ولا زالت لغة محلية. لقد فترت البربرية إلى لهجات متعددة، مجرأة حسب كل قرية، لدرجة أنه لا توجد لهجات للبربرية، ولكن يوجد لها واقع لهجوي. بل إن التفاهم بين جماعة بربرية وأخرى قليل أو معدوم"⁽¹⁾.

كما يقول المؤرخ الفرنسي (غوتير E.F.Gautier): «ويفلحوظ أنه لا يوجد كتاب واحد كتب بالبربرية، كما أنه لا توجد كتابة حقيقية لها، بل لا توجد لغة بربرية منتظمة⁽²⁾.

أما عن الحروف التي تمتاز بها البربرية ولا توجد بالعربية فإن الكثير منها موجودة بالعربية كالزاي المفخمة التي توجد بالكتابة العربية الجنوبية، فحرف X بخط المسند اليمني هو هذه الزاي المفخمة، التي يقول عنها ابن منظور صاحب قاموس لسان العرب: «أنه حرف عربي قديم، حذف من العربية الحديثة»، ولا زالت البربرية تحتفظ به، وهذا يدل على الأصل العربي للبربرية⁽³⁾.

كما أن الكاف المعطشة بالبربرية ليست غريبة عن العربية، فاختلاف نطق الكاف ليس غريباً عن العربية التي تعتبر اللغة الوحيدة بالعالم التي ينطق فيها الكاف بعدة مخارج حروف، وفقاً للهجات العربية، كالشكسنة والشننسنة، وغيرها.

(1) A. Basset: *La Langue Berbère*, Paris 1929.

(2) E.F. Gautier: *Considération sur l'Histoire du Maghreb*. Revue Africaine, Vol. 68 (1927).

(3) كتاب عروبة البربر، ص 29.

يقول الأستاذ محمد شفيق: «إن البربرية صورة مثبتة مجمدة من لغة قديمة، تفرعت عنها اللغة العربية في وقت ما، وهذا يدعم وحدة اللغتين القديمة»⁽¹⁾. وهذه اللغة القديمة التي يشير لها الأستاذ شفيق، ليست سوى اللغة العربية القديمة، التي أطلق عليها خطأً اسم السامية. ولا اعتبر الأستاذ شفيق من غلاة البربرية، ولعل السبب راجع إلى تكوينه بالعربية، بينما نجد غلاة التزعة البربرية بالجزائر متكونين بالفرنسية.

وحدة الأمة من وحدة اللغة:

لا يمكن لبلد أن يستقر أمه إلا إذا كان يتمتع بوحدة لغوية؛ ففرنسا نفسها تكمن قوّة تماسك مجتمعها في وحدتها اللغوية، وتعترف بذلك موسوعة (يونيفيرساليس) الفرنسية فتقول: «إن الوحدة اللغوية لفرنسا مرتبطة بوحدتها السياسية، وتطور المركزية فيها»⁽²⁾.

إن الحرب التي تدور في أفغانستان، منذ أكثر من ثلاث سنوات، تعود في الأساس إلى تعدد اللغات فيها. فالشعب الأفغاني تمزقه ثمانى لغات، هي: (الباشتو، والفارسية التي يتكلّمها التاجيك، والأوزبكية، والهزارية، والنورستانية، والبلوشية، والقرغيزية، والتركمانية)⁽³⁾.

وفي غياب الوحدة اللغوية تendum الوحدة الوطنية للشعب الأفغاني، لأن الوحدة الوطنية ترتكز على وجود نسيج اجتماعي منسجم، والخطير الرئيسي الذي يشد هذا النسيج هو اللغة القومية المشتركة. حقاً إن الفارسية شبه رسيبة بالبلاد، لكن بضيق تعليمها واتساع انتشار الأممية، تبقى فعالية هذه اللغة كلغة مشتركة محدودة.

(1) المرجع السابق، ص 30.

(2) Encyclopedie Universalis, T7, p222.

(3) أبو العينين فهمي: أفغانستان بين الأمس واليوم، القاهرة 1969.

والباكستان تendum فيها الوحدة اللغوية، والقلائل التي تهزمها مصدرها الرئيس صراع لغوي، فالبنغال انفصل عن الباكستان الأم في السبعينيات، بدافع لغوي أساساً. ولا زال الباكستان تمزقه أربع لغات هي: البنجابية، والباشتو، والبلوشية، والسنديّة. بالإضافة إلى لغات أخرى صغيرة كالراجپوتية، والمانديّة، والسانجاليّة. ونتيجة لهذا التعدد اللغوي لا زالت لغة المستعمر السابق، اللغة الإنجليزية هي اللغة الرسمية السائدة والمهيمنة على الحياة الباكستانية، وللغة المشتركة بين الباكستانيين، فالباكستاني الباشتو إذا التقى مع مواطنه البلوشي، مثلاً، اضطرّ لاستعمال الإنجليزية للتفاهم فيما بينهما إذا كانا المتعلمين، أما إذا كانوا أميين فلا مجال للتفاهم بينهما إلا بواسطة الإشارة. ويشعر الباكستانيون بهذا النقص في بلادهم، فقد حاولوا تفاديه باعتماد اللغة البنجابية، لغة الأغلبية، كلغة قومية ورسمية، لتحل محل اللغة الإنجليزية، وأحياناً اللغة الھجینيں الأوردو، لتحل محل اللغة الإنجليزية، لكن كانت كل قومية تشر، قائلة، ولماذا لا تكون لغتي هي الرسمية؟ لدرجة أن أحد علماء الباكستان قال لي سنة 1979: «صرنا نرى أن الحل الوحيد الذي يخرجنا من هذا المأزق اللغوي، هو اعتماد اللغة العربية، كلغة رسمية مشتركة، التي ستقبلها سائر القوميات، لأنها لغة القرآن الكريم والإسلام».

أما الهند فلما زالت تمزق وحدتها أربع عشرة لغة، ونتيجة لذلك فلا زالت اللغة الإنجليزية لغة المستعمر السابق للهند، هي اللغة الرسمية والمشتركة بين سائر الهند، وتختفي الهند نتيجة لهذا الوضع إلى لغة قومية مشتركة، تلعب دور الخيط الرئيسي الذي يشد الخيوط الأخرى للنسيج الاجتماعي للهند ويساهم في تحقيق الأمة الهندية الواحدة.

أما إندونيسيا فقد استطاعت حل المشكلة اللغوية، عندما اجتمع مؤتمر الشعب الأندونيسي، سنة 1939، وقرر اعتماد اللغة البهاسية كلغة قومية

ورسمية للبلاد، مشتركة بين سائر الأندونيسيين، تتحل محل اللغة الهولندية التي سيطرت على البلاد ثلاثة قرون، كما قرر المؤتمر اعتماد الإنجليزية كلغة أجنبية، وإلغاء الهولندية، قطعاً لدابر كل الآثار والرواسب التي خلفتها هذه اللغة في الذات الأندونيسية. وهذا ما لم تفعله الجزائر، أي لم يستبدل الفرنسية بالإنجليزية كلغة أجنبية.

وهكذا استطاع توحيد اللغة باندونيسيا أن يوحد بلداً يتكون من ثلاثة آلاف جزيرة، على امتداد خمسة آلاف كيلومتر، وعلى مساحة تتجاوز مليوني كيلومتر مربع، تنتشر بها مائتاً لغة، فيخلق من شتاتها تجمعاً، ومن تنافرها انسجاماً، ومن تجزتها وحدة. وتسود اللغة الأندونيسية الآن سائر مراحل التعليم، ومختلف تخصصاته. وهذا هو الذي جعل المؤرخ الأمريكي (ديتس سميث Datus Smith) يقول: «إن أقوى العوامل التي ربطت بين الأمة الأندونيسية ثلاثة: اللغة، والدين، وحب الاستقلال»^(١).

وكانت الصين ممزقة بين عشرات اللغات، وكانت الإنجليزية هي التي تربط بين مثقفيها، إلى أن قرر (ماوتسي تونغ) سنة 1949، اعتماد اللغة الخانية كلغة قومية ورسمية مشتركة بين سائر الصينيين. وصار مليار صيني، منذ ذلك الوقت، يتفاهمون بلغة قومية واحدة. واستطاع ما بهذا القرار الثوري، أن يوجد الخط الذي ي تكون السبب المنسجم للمجتمع الصيني، الذي كان قبله يمزقه انعدام الوحدة القومية بسبب انعدام وجود اللغة، وتسيطر على مثقفيهم الإنجليزية التي خلقت في نفوسهم عقدة الاستعلاء على بني جلدتهم. وتحقق للأمة الصينية هذا الهدف العظيم بفضل الوحدة اللغوية، وبخاصة بعد تعميم التعليم، والقضاء على الأمية. وتعتبر اللغة الصينية أصعب لغة بالعالم، فعدد

(١) ديتس سميث: آندونيسيا: شعبها وأرضها (بالإنجليزية)، ترجمة حسن محمود، ص 210، القاهرة - نيويورك 1962.

حروفها أربعون ألفا، ويرفض الصينيون استعمال الحروف اللاتينية. وبفضل المركبة اللغوية القومية، وصلت الصين قمة النمو، تهافت عليها الاستثمارات العالمية، ويتبناها أن تحتل بعد سنوات المركز الثاني بالعالم، بعد الولايات المتحدة الأمريكية. في القراءة الاقتصادية، ومن يزور أمريكا الآن، يشاهد الأسواق الأمريكية مغرة بانبعاث الصينة المنتجة باستثمارات أمريكية. ولا تعرف الصين الحروب اللغوية التي تعرفها جارتها الهند.

أما الفيتنام فإن قاعدة عضمة ثورتها اللغة الفيتنامية. يقول نغوين فام هوين وزير التربية الأسبق الفيتنامي: «ينبغي علينا نحن الفيتناميين أن نعزز شامخنا الأنوف، لأن اللغة الفيتنامية ساهمت في انتصار الثورة، وفي تحقيق أمجادها، وكبرت معها»⁽¹⁾.

كانت الفرنسية التي سيطرت على الفيتنام طيلة ثمانين سنة، تسيطر على كل شيء في الفيتنام غداة استقلالها، وبحركة قلم الغي هو شيء منه الفرنسي من الحياة الفيتنامية، وذلك عندما قررت الفتنمة الشاملة في السنة الأولى لاستقلال الفيتنام⁽²⁾. إن الولايات المتحدة تتمتع بوحدة قومية بفضل وحدتها اللغوية، إلا أنها الآن مهددة بتيار يدعو إلى تعدد الثقافات. وقد بين الأستاذ إدوار بيهير، في كتابه القيم الذي أصدره سنة 1995 تحت عنوان: (أمريكا التي تخيف)، خطر هذا التيار على وحدة أمريكا، واعتبره القنبلة الموقوتة التي تهدد الأمة الأمريكية بالانفجار، وليخصر هذا الخطر في عبارة «فرضي الشخصية المتعددة»⁽³⁾، وهذا هو الذي جعل السيد بوب دول، مرشح الحزب الجمهوري الأمريكي، يلقي خطابا في حملته الانتخابية سنة 1996، يتبناه فيه الرأي العام إلى خطورة تعدد اللغات والثقافات، فيقول: «إن أمريكا في حاجة إلى إسمنت اللغة لدعم وحدتها».

(1) Le Vietnamien et l'enseignement supérieur au Vietnam (Hanoi 1968).

(2) عثمان سعدي: التعرّب في الجزائر، الجزائر 1993.

(3) Edward Behir: une Amerique qui fait peur, p314, Paris 1995.

لقد استلمنا نحن الجزائريين الجزائر سنة 1962، من آبائنا وأجدادنا، بلداً موحداً لغوريا ودينيا، بناها هؤلاء الأجداد العظام من خلال ثلاثين جيلاً، ولم يبرز جزائري واحد طوال الأربعين عشر قرنا الماضية، سواء كان قبائلياً، أو شاوياً، أو تارقياً، يقول بأن للجزائر لغة أخرى غير العربية. إننا لا ننكر وجود لهجات بالجزائر، عربية، وأمازيغية، لكن اللغة الأم لهذه اللهجات كلها هي العربية: فاللهجات العربية لهجات للعربية الحداثة، واللهجات البربرية الأمازيغية لهجات للعربية القديمة. إن رفع شعار (الأمازيغية لغة وطنية ورسمية) في مستوى واحد مع اللغة العربية، هو تغيير للوحدة الوطنية من خلال تغيير الوحدة اللغوية. ونظراً لعدم وجود لغة أمازيغية مركبة أم يتفاهم بها سائر الناطقين بالأمازيغية. فإن كل فئة ستطالب باعتماد لهجتها، وستبلقن عند ذلك الجزائري، ويفتح الباب على مصراعيه للحروب اللغوية، كما هو جار بيوجوسلافيا الآن.

عندما طالب الأكراد العراقيون بحقوقهم، لم يقولوا: «لابد على الطفل البغدادي أو الموصلبي، أو البصراوي، أن يتعلم اللغة الكردية». وإنما قالوا: «اسمحوا لنا نحن الأكراد بتعلم لغتنا في المحافظات (الولايات) التي يوجد بها الأكراد، مع التسليم بأن اللغة العربية هي اللغة الرسمية العامة بالعراق، وبأن الكردية لغة محلية جهوية». كما أن البروتون الفرنسيين لم يطلبوا من رئيس الجمهورية الفرنسية بضرورة إصدار مرسوم يعتمد فيه اللغة البروتانية لغة وطنية ورسمية، في مستوى واحد مع الفرنسية، وإنما طالبوا بالسماح للبروتانيين بدراسة لغتهم كلغة محلية جهوية في بروتانيا، مع التسليم برسمية ووطنية الفرنسية على سائر التراب الفرنسي بما فيه بروتانيا.

لكن الذي يطالب به البربرист بالجزائر، أن يتعلم الطفل الوهراني والتلمساني، والجيجلبي، والورقلبي، العربي، اللغة الأمازيغية التي ليس لها وجود

كلغة مركزية، وهذا ما لا يقبله منطق ولا عقل ولا عدل. من حق الشاوي أن يتعلم الشاوية في مناطق الشاوية؛ كما أن القبائلية من حقه أن يدرس القبائلية؛ كما أن المزابي من حقه أن يدرس المزابية. إلا أن كل ذلك لابد أن يتم وفقاً لاستفتاء يجري بين الشاوية والقبائل والتوارق والشرشاليين، وغيرهم من الفئات البربرية، للتأكد من رغبتهم في دراسة لهجاتهم في مناطقهم، لأن هذه الرغبة مشكوك في وجودها بينهم، لكونهم لا يريدون بدلاً لعربتهم، لغة قرآنهم الكريم.

النزعة البربرية: BERBERISME

النزعة البربرية هي التيار الذي أوجده الفرنسيون بالجزائر من أجل تفكيك الوحدة الوطنية فيها. لقد عمل الفرنسيون قبل استقلال بلدان المغرب العربي، على عزل أقلية الجماعات الناطقة بالبربرية عن غالبية السكان العرب؛ ونشر التعليم الفرنسي والمبشرين بمناطقهم، وبث فيهم فكرة «أنهم هم أصحاب البلاد الأصليون، وأن العرب مستعمرون، وأن اللغة العربية دخيلة، وأنه لابد من التكتل للتخلص من الوجود العربي، وأنهم أي البربر لا علاقة لهم بالعرب ولا بالساميين، وأن أصلهم أروبي، وأن مجيء فرنسا لشمال إفريقيا هو لمساعدتهم على العودة إلى أمهم أوروبا».

ولأجل تطبيق خطتهم هذه، عمد الفرنسيون إلى نشر التعليم في المناطق البربرية، خاصة في منطقة القبائل التي قاومت جيوشهم بشراسة، من 1830 وحتى 1857. «إحصائيات 1892 تبيّن أن المدارس الفرنسية المخصصة للجزائريين، انتشرت بالمناطق الناطقة بالبربرية، بنسبة خمسين في المائة من كل انتشارها بسائر القطر الجزائري، وأن نسبة 34 في المائة منه تركزت في ولايتي تيزي وزو ووجدة»⁽¹⁾. علما بأن عدد الولايات الجزائر 48 ولاية، وأن نسبة البربر لسائر السكان عشرون بالمائة، وفقاً لإحصائية الإدارة الاستعمارية.

(1) Fanny Colonia: les Instituteurs Algériens. (1883 - 1893). OPU Alger 1975. p 46 et 107.

أما الإرساليات التبشيرية المسيحية الفرنسية فقد لعبت دوراً كبيراً في التبشير للاستعمار الفرنسي، وسخرت المسيحية لخدمته كما فعلت الكاثوليكية في العهد الروماني. فالكابتن لوغلاي، المشرف على التعليم بالجزائر يخطب في المعلمين الفرنسيين في بلاد القبائل، فيقول لهم: «علموا كل شيء للبربر ما عدا العربية والإسلام»⁽¹⁾.

ويقول أحد المبشرين: «إن السماح للمسيحية بأن تؤثر على الروح البربرية يعني ولاشك تفتت الكتلة العربية، والقضاء عليها بقوة، وبمعنى تبعاً لذلك القضاء على الإسلام في أرضنا بشمال إفريقيا، لفائدة حضارتنا. ولا يجوز أبداً السماح بتعريب البربر». ويقول (الكاردينال لافيجري Ch. M. Lavigerie) في مؤتمر التبشير المسيحي في بلاد القبائل، سنة 1867: «إن رسالتنا تمثل في أن ندمج البربر في حضارتنا التي كانت هي حضارة آبائهم، ينبغي وضع حد لإقامة هؤلاء البربر في قرائهم، لابد أن تعطى لهم فرنسا الإنجيل، أو ترسلهم إلى الصحراء القاحلة بعيداً عن العالم المتمدن».

أجبر الفرنسيون سنة 1930 ذلك المغرب على إصدار الظهير البرברי، وهو مرسوم ملكي يعترف فيه للبربر بأن لا تطبق عليهم الشريعة الإسلامية في الأحوال الشخصية، وإنما يطبق عليهم العرف البربرى. فتصدى له زعماء البربر أنفسهم، عندما توجه شيخ قبائل آيت موسى وزعيموه إلى فاس، وأعلنوا أمام علماء جامع القرويين رفضهم للظهير البريري، وفشل خطة فرنسا هذه. وفي نفس السياق عاملت الإدارة الفرنسية بالجزائر البربر معاملة تفضيلية في (القضاء) ببلاد القبائل سنة 1841 - 1854. كما قام المقيم الفرنسي العام بالغرب لوسيان بتأسيس (الأكاديمية البربرية) لإحياء اللغة البربرية، وكتابتها بحروف لاتينية. ووضع المستشرق الفرنسي (جود فري دي مونيه) مستشار التعليم بالمغرب، مشروعه مفصل لهذا الغرض، سنة 1914. وفي سنة 1929

(1) C.R. Ageron: Politique Coloniale au Maghreb, p. 109 - 148, Paris 1972.

أقامت الإدارة الفرنسية بال المغرب كلية ببريرية في (أزرو)، لإعداد حكام لتولى الإدارة بالمناطق البربرية، على أساس التنكر للعروبة، وفشلت هذه الكلية لأن معظم خريجيها صاروا من المناضلين الأشداء ضد الاستعمار الفرنسي.

مؤامرة التزعع البربرية في الأربعينيات:

إن أخطر مؤامرة حيكت على الشعب الجزائري، ما عُرف بالتزوع البربرية (Berberisme) التي كان مهندسها الحاكم الفرنسي العام شاتينيون، الذي أدرك أن سرقة الحركة الوطنية في وحدتها، وأوغر إلى عمالء المخابرات الفرنسية أن يحرّكوا هذه التزعع داخل حزب الشعب الجزائري، العمود الفقري للحركة الوطنية. وقد خصص الأستاذ بن يوسف بن خدة أحد زعماء هذا الحزب، والرئيس الثاني للحكومة المؤقتة، في كتابه (مقدمة لأزمة التزعع البربرية) الصادر أول نوفمبر 1954) فصلاً كاملاً لهذه الأزمة، تحت عنوان (أزمة التزعع البربرية)، في ثمانية عشرة صفحة، أقدم خلاصة لها فيما يلي:

• في سنة 1949 تعرض حزب الشعب الجزائري - حركة انتصار الحريات الديمocratique، لمؤامرة داخلية هددت وحدة الحزب والأمة الجزائرية، وعرفت هذه المؤامرة بالتزوع البربرية، وقد دعم هذه المؤامرة الحزب الشيوعي الجزائري. وكان المؤسسون للتيار البريري داخل حزب الشعب: علي لعمش، وحسين آيت أحمد الطالب بالثانوية؛ عمار ولد حمودة، وعمر أو صديق، الطالبان بمعهد المعلمين بحي بوزريعة بالعاصمة، وعلي بناني.

• في سنة 1946 أسس حسين آيت أحمد، وولد حمودة، وعمر أو صديق، وبناني، نواة للمجموعة البربرية، وكانوا كلهم أعضاء في اللجنة المركزية، لحزب الشعب الجزائري - حركة انتصار الحريات الديمocratique. وكان هؤلاء متاثرين بالماركسية، ويرفضون العروبة والإسلام، اللذين يعتبرهما حزب الشعب ثابتين من الثوابت الوطنية.

• ركز الاستعمار الفرنسي على بلاد القبائل، فوجه إليها إرساليات تبشيرية وعمل على نشر التعليم بها أكثر من أية منطقة أخرى، وتأسيس نخبة مفرنسة تؤمن بالرعم بالأصول الرومانية والأرية للقبائل، وتعتبرهم أقرب إلى الفرنسيين، وأكثر استعداداً للاندماج بالأمة الفرنسية.

• كان المناضلون، في غالبيتهم العظمى، يرفضون أفكار هؤلاء التي يعتبرونها من تأسيس الاستعمار الفرنسي. وكان أول من نبه إلى هذا الخطر، الأستاذ أحمد بودة، الذي أثار المسألة في اجتماع للجنة المركزية في ديسمبر 1948، وهاجم البربرист، فناشه حسين آيت أحمد، وبناي، وولد حمودة.

• وجدد دعاهذه التزعة ميداناً خصباً بفرنسا في أواسط المغتربين، فقد استطاع الطالب محمد علي يحيى المعروف برشيد، أن يحصل على بعثة من الحزب إلى فرنسا في ربيع 1948 وراح يعمل لكسب المناضلين بالحزب لهذا التيار.

ووعند انفجار الأزمة البربرية في ربيع 1949، تمكّن من أن يجعل اللجنة المديرة لنشاط الحزب بفرنسا تصدر قرار (باتجاه خرافنة الجزائر العربية المسلمة)، وثارت قاعدة المناضلين بفرنسا على القرار، وأرسلت برسائل إلى قيادة الحزب بالجزائر تتحجج فيها على أعمال هذه العناصر الملحدة التي تحارب الإسلام والعروبة.

• قامت قيادة الحزب بإرسال وفد إلى باريس، يتكون من شوقي مصطفاوي، عضو المكتب السياسي، والصادق سعيدي الشخصية المعروفة ببلاد القبائل. وانضم إليهما في باريس محمد خضر، وبتقاسم راجف. ومنع الأربعه من دخول قاعدة الحزب من طرف البربرист الذين صاروا يسيطرون على مركز قوة، معتمدين على المغتربين من القبائل الصغرى في الدائرة التاسعة عشرة، والدائرة العشرين لمدينة باريس، وفي بروفارنس، ناحية الجنوب الشرقي، وبفضل البشير بومعزة قاومت القاعدة هذه العناصر. وحدث الاشتباك العنفي،

وبعد معركة عنيفة، تمكّن مندوبي القيادة من السيطرة على الوضع، واسترداد مكاتب الحزب من البربرист بواسطة مجموعة من الفدائيين الحربيين بقيادة بلقاسم راجف. وقام المناضلون بتطهير مقرات الحزب في سائر نواحي باريس وفرنسا من هذه العناصر البربرista، واستغرق هذا التطهير ثمانية عشر شهراً من العمل الدؤوب. وقرر الحزب طرد محمد علي يحيى، وكل الذين عملوا معه، أو أيدوه. كما تقرر غلق صحيفة نجم شمال إفريقيا التي كانت تصدر بفرنسا. وخلاصة ما توصل إليه الحزب من هذه المحنّة، أن هذه التزعّة البربرية (البربريزم) تعتبر عملاً تدميراً للحركة الوطنية تعمل لصالح الاستعمار. وانضم معظم هؤلاء المطرودين إلى الحزب الشيوعي، ومنهم الصادق هجريس الذي صار زعيم هذا الحزب فيما بعد.

- أما بلاد القبائل فقد قاومت هذا التيار وظهرت منه إحدى عشرة قسمة للحزب، ولم تشد سوى قسمة واحدة وهي عين الحمام، وبلغت مقاومة التيار البربرista حداً تبودل فيه الرصاص، حيث جرح أحد دعاته بتيري وزو وهو على فراخات.

- كان يطبع هؤلاء حقدتهم على كل ما هو عربي، وعلى الإسلام، وعلى اللغة العربية.⁽¹⁾

والذي يؤكّد ما قاله الأستاذ بن يوسف بن خلدة، من تركيز الفرنسيين على منطقة القبائل في خلق (التزعّة البربرية)، الكتاب الفرنسي الذي صدر بالجزائر في النصف الأول من سنة 1956، تحت عنوان (مساهمة في دراسة الزوايا الظرفية)، بقلم الجنرال ب. ج. أندرية (P.J. Andre) عضو أكاديمية العلوم الاستعمارية، والذي كتب مقدمته جاك سوستيل (J. Soustelle) الوالي العام الفرنسي بالجزائر. إن سياسة الفرنسيين واضحة، فقد أوجدوا من العدم التزعّة البربرية واستعملوا ورقتها لضرب الشعب الجزائري، أمل الثورة المسلحة،

(1) Ben Youcef Ben Khedda: *Les Origines du 1er Novembre 1954*, Alger 1989, p 169 - 186.

بالأربعينيات، لكنهم بدأوا يطهرون استعمالهم لورقة الترعة البربرية، منذ منتصف الخمسينيات. فالجنرال أندريه يقول عن المغرب الأقصى الذي أُعلن استقلاله: «من المحتمل أن يأتي يوم تهب فيه الأمة المغربية البربرية لاحياء وعيها القديم بذاتها، وترفع فكرة الجمهورية البربرية، إذا سادت فكرة الجمهورية (التيوقراطية) العربية بالغرب الأقصى»⁽¹⁾.

أما الجزائر فقد كانت سنة 1956 جزءاً من فرنسا، واللغة الفرنسية هي اللغة الرسمية لها، والفرنسيون لا زالوا يعمقون الترعة البربرية، لكن وبالرغم من ذلك فإننا نرى الجنرال يطلق تلميحات تشير إلى بدء الفرنسيين في التفكير لإعداد خطة لمستقبل الجزائر تمثل في استعمال ورقة الترعة البربرية، انطلاقاً من القبائل بأسلوب يتناسب مع احتمال انفصال الجزائر عن فرنسا واستقلالها، فيقول: «إن المسألة البربرية بالجزائر هي في الحقيقة مسألة قبائلية (...)، فمنطقة القبائل هي أكثر افتتاحاً على الحركات الخارجية من منطقة الأوراس (...) هل من الضروري أن يكون هناك عمل أجنبى خارجي لدفع البربريزم؟ (...) في نهاية 1955 تبين أن الحركة البربرية - القبائلية صارت تمرداً مدعوماً من القومية العربية المصرية، بهدف خلق وطنية جزائرية تؤدي إلى تأسيس دولة عربية بالجزائر (...). لابد من أن يرافق التهدئة العسكرية عمل نفساني (سايكولوجي)، فالحكومة الفرنسية اتخذت موقفاً صارماً مناهضاً لتأسيس دولة عربية بالجزائر (...). لابد من التفكير في حلول للمشكل الجزائري على أساس اتفاق مع الجماعات الجزائرية، وبخاصة مع البربر - القبائل: العنصر الأصيل والصلب والمتفهم لنا، لأن القبائل ورغم إسلامهم العميق فهم أقرب نفسانياً إلى الشعب الفرنسي الميتروبولitan (...). وفي النهاية ينبغي علينا أن نفهم عقلية البربر - القبائل التي ستتيح تاريخياً وعلقاناً التوصل إلى

(1) General P. J. Andre (C. R) de l'Academie des Sciences Coloniales: Contribution à l'étude des Confréries Religieuses Musulmanes, p 351 (Alger 1956)

شراكة فرنسية - قبائلية (...). إن القبائل محتاجون لفرنسا (...) إننا نتمنى أن تصير الشراكة الفرنسية - القبائلية حقيقة وبسرعة». وبختم الجنرال أندريه كتابه فيشير إلى ضرورة الإعداد للمستقبل «لأن المسألة البربرية تطرح الآن (1956) بالجزائر والمغرب الأقصى»⁽¹⁾.

تأسيس الأكاديمية البربرية في باريس:

أسس «الفرنسيون الأكاديمية البربرية» سنة 1967 في جامعة باريس 8 فانسين⁽²⁾ وذلك من أجل تعزيز خصتهم في البقاء على الجزائر المستقلة، في ذلك التأثيري الفرنسي⁽³⁾. فقد بدأت هذه الخطوة تنفذ منذ مجيء الجنرال ديغول للحكم سنة 1958، الذي كان مقتناً أن الجزائر مستقلة لا محالة، وأن الذي يقبها مرتبطة بفرنسا هو البقاء على وضع اللغة الفرنسية المهيمن على الحياة الجزائرية. وأعطي تعليمات بتوسيع ما يسمى (بيرموسيون لاكورست)، والتي تمثل في إعداد مئات من الإداريين الجزائريين الشبان في المراكز الإدارية الفرنسية، لكي يخلفوا الغربيين الذين كانوا يسيطرون على الإدارة بالجزائر. وكان ديغول مقتناً أن هؤلاء سيغادرون الجزائر بعد الاستقلال.

وتأسست الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية بالقاهرة في نفس السنة لمجيء ديغول للحكم، وبدل أن تعد خطة مضادة لخطبة ديغول، وذلك بأن تؤسس نواة لإدارة الدولة الجزائرية باللغة العربية، (كما فعل هو شيء منه ورفاقه في تاريخ الثورة الفيتنامية)، معتمدة على مئات الطلبة الجزائريين الذين كانوا يدرسون في جامعات ومعاهد المشرق العربي، وفي الزيتونة والقروريين بالمغرب العربي. بدل أن تفعل ذلك أحضرت طلاب الجامعات الفرنسية إلى

(1) المصدر السابق صفحات: 352 - 353 - 354 - 355 - 356 .

(2) Benjamin Stora: Ils venaient d'Algérie. Paris 1991. p 426.

(3) أورد الدكتور أحسين نعسان معلومات قيمة حولها في كتابه: (فرنسا والأطروحة البربرية في الجزائر).

ص 162.

القاهرة، وكانت متهم نواة إدارة الدولة الجزائرية باللغة الفرنسية، ومعنى هذا أنها نفذت خطة مكملة لخطة ديعول.

وجاء هذا الانحراف ملخصا في توقيع اتفاقيات إيفيان في مارس 1962 بحضور واحد وهو النص الفرنسي، الذي مثل الوفدين الجزائري والفرنسي، بينما نجد الفييتนามيين سبقونا بسبعين سنوات، فأبرموا مع الفيتناميين اتفاقية جنيف سنة 1954 التي وضعت نهاية للاستعمار الفرنسي ببلادهم بتصنيف: النص الفرنسي ومثل الوفد الفرنسي، والنص الفيتنامي ومثل الوفد الفيتنامي برئاسة فام فان دونغ.

واستقلت الجزائر، وعاد إداريو وساسة الحكومة المؤقتة من تونس والمغرب والقاهرة وطرابلس، والعواصم الغربية بقيادة إنجلترا (الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين "UGEMA"). ليجدوا أنفسهم يعذرون مع عناصر برومسيون لاكورونت على نعم واحد وهو نعم الفرنسة. وجسد هذا الانحراف في عهد الاستقلال عبد الرحمن كيوان أحد أقطاب حزب الشعب الجزائري، الذي عين مباشرة بعد الاستقلال مديرًا عامًا للوظيف العمومي؛ وميسوم الصبيح قطب من أقطاب برومسيون لاكورونت، الذي عين على رأس مدرسة الإدارة التي أسسها. ووضع كل من هذين الرجلين اليد في اليد مدة أربع عشرة سنة، شنا خلالها حربا على اللغة العربية. وأنا أكن احتراما كبيرا للأستاذ عبد الرحمن كيوان، فقد كنت أعتبره أحد فرسان حزب الشعب الذي ناضلت في صفوفه. ولا زلت أذكر ذلك اليوم الذي حضر فيه إلى مدينة قسنطينة، حيث كنت هناك طالبا، وألقى خطابا دام ساعات في ساحة (لابريش) نهاية الأربعينيات، هزني بعنف. وليس عبد الرحمن كيوان وحده الذي وقف موقفا لا وطنيا من العربية بعد الاستقلال، وإنما فعل ذلك جيل كاعل لا تنكر وطنية، وقع تحت تأثير الثقافة الفرنسية التي لعبت دور المخدر لوطنية هذا الجيل، وبخاصة في عهد الاستقلال؛ فساهم من حيث لا يشعر في تحقيق (الجزائر الفرنسية) في عقود الاستقلال الأربع.

وهكذا فتح الباب على مصراعيه منذ 1962 لتحقيق ما عجزت فرنسا عن تحقيقه في قرن وثلث قرن من الاستعمار المباشر، ألا وهو (الجزائر الفرنسية). وتحقق ذلك نبوءة دigoول التي أطلقها سنة 1962، عندما علق على استقلال الجزائر فقال: «الجزائر حرة لكنها جزائر - فرنسية». وقد ذكرت جريدة لوموند الفرنسية بنبوءة دigoول هذه في عددها الصادر يوم 20 أغسطس 1994، للتأكيد على بقاء الجزائر فرنسية.

واستمرت الأكاديمية البربرية في باريس تعمل، تحت رعاية الأجهزة الفرنسية الخاصة، وسخرت لها أموالاً ضخمة، وهدفها البعيد ليس خدمة البربرية ولا البربر، وإنما خدمة بقاء عيمة اللغة الفرنسية بالجزائر والمغرب العربي. ويرى استراتيجيو الاستعمار الفرنسي الجديد أن الشعب الجزائري لا بد وأن يقسم إلى شعبيين: شعب يتكلّم البربرية وشعب يتكلّم العربية، حتى يضمن أن تبقى وإلى الأبد، اللغة الفرنسية لغة مشتركة بين الشعبيين. ومادام المغرب الذي توجد فيه أكبر نسبة من الناطقين بالبربرية: 60 بالمائة من السكان. (النسبة بالجزائر 20 بالمائة)؛ منضبطاً داخل النادي الغرانكفوني، ملتزمًا بإبقاء الفرنسية في ميدان تدريس العلوم بالتعليم العام والجامعة، سسيطرة على الكليات العلمية بالجامعة وعلى الميدان الاقتصادي، فيتبغى آلاتاثار المسألة البربرية فيه.

أما الجزائر التي تملك خلفية ثورة أول نوفمبر، فيبقى فيها خطر التعرّيب قائماً على استمرار هيمنة اللغة الفرنسية. ولهذا فقد كونت الأكاديمية البربرية في باريز، منذ تأسيسها سنة 1967، مجموعة من الجزائريين وأعطتهم الجنسية الفرنسية، وعلى رأسهم سالم شاكر، وتواسعديت ياسين، ومنحthem شهادات الدكتوراه في الدراسات البربرية، ووجهتهم لإدارة عملياتها بالجزائر. ويقوم شاكر بجولات بالعالم على نفقـة الأجهزة الفرنسية الخاصة، يحاضر فيها الجزائريين المقيمين بالمدن الأروبية والأمريكية حول المسألة البربرية، من وجهاً نظر فرنسا.

والعقد المؤتمر الرابع لحزب جبهة التحرير الوطني بالجزائر، واتخذ لأول مرة قرارات ثورية بتعريب البلاد. وبذلت قراراته تطبيقاً مع بداية الثمانينيات، فصدر قرار اللجنة المركزية المشهور في ديسمبر 1979، الذي عرب بموجبه تعريضاً شاملأ التعليم العام من أساسى وثانوى، كما عبرت كليات العلوم الإنسانية بالجامعات؛ وبذل في تعريب الكليات العلمية والتكنولوجية، كما تكونت اللجنة المركزية للحزب لجنة عليا لإعداد مشروع قرار خاص بتعريب الإدارة. وثارت الحكومة الفرنسية التي تعتبر الجزائر أكبر آخر معقل للفرنسية بإفريقيا وبالعالم، إن سقط انهيار مركزها العالمي. إن فرنسا لا تمانع في أن تعلم العربية بالجزائر لتنسى، لكنها تعارض وبعنف، أن يعرب الميدان العلمي والتكنولوجي، وميدان التسيير الإداري.

وحركت فرنسا عملاً لها بالجزائر، فأواعزت إلى الكاتب مولود معمرى (الجهوي) بالتحرك، فقام سنة 1980 بمحاولة إلقاء محاضرة بالمركز الجامعى لتizi وزو، لم يكن الهدف منها خدمة الثقافة بقدر ما كان إحداث قلاقل ببلاد القبائل، وأحسن والي تizi وزو في ذلك الوقت الأستاذ محمد الشريف خروبي بخطير الموقف، فاتخذ قراراً بمنع المحاضر من إلقاء محاضرته. ومولود معمرى مشهور بعمالته للاستعمار الفرنسي من عشرات السنين، وها هو المؤرخ الجزائري مسعود مداد الذى يكتب بالفرنسية، يقول عنه في كتابه الذى أصدره بالجزائر سنة 1992: «كان مولود معمرى من أعمدة الاستعمار الفرنسي، كان عضواً في هيئة تحرير مجلة (أمل الجزائر - Algérie Espoir) مع بوله غرينجو، وموريس بوران، ومحفوظ قداش، وهنرى ديشندال. وكانت هذه المجلة منبراً للإنتماجيين، الداعين للذوبان في الثقافة الفرنسية والشخصية الفرنسية»⁽¹⁾.

ومن الغريب أن مولود معمرى لم يثر التزعع البربرية في أثناء الاستعمار المباشر، واستمر منذ الأربعينيات وهو يكتب باللغة الفرنسية، دون إثارة مسألة اللغة البربرية، لأن اللغة الفرنسية كانت في ذلك الوقت هي السيدة بلا منازع،

(1) Messaoud Meddad: Guerre d'Algérie, Alger 1992.

حيث كانت الجزائر جزء من فرنسا، لكن ما أن استقلت الجزائر حتى تحول إلى المحرك الرئيسي للنزعنة البربرية، يعمل ضمن حركة انفصالية تدار من فرنسا، وأنا أتكلم في هذه المسألة بلا عقدة لأنني من الذين يقال عنهم ببربر.

ومن آن منع معمرى من إلقاء محاضرته حتى تحركت آلة الاستعمار الفرنسي الحديث بالجزائر، التي راحت تشن -بواسطة عملائها- حملة، فتحرمت المظاهرات بولاية تizi وزو التي قامت بإشعال الحرائق، وتدينىس أصರحة الشهداء، وتمزيق العلم. وانطلقت الصحف الفرنسية بفرنسا تدافع عن حقوق البربر، وتهاجم الاضطهاد المزعوم للقبائل. ومن الغريب أن يزور رئيس الحكومة مدينة تيزى وزو - أياما قبل انتخابات 16 نوفمبر 1995 الرئاسية - ليعطي اسم مولود معمرى لجامعة تيزى وزو. بدل أن يعطيها اسم العقيد عميرة وش (القبائلي) بطل ثورة أول نوفمبر، الذي كان يمنع حضوره في الولاية الثالثة من التحدث بالفرنسية. أو باسم الشيخ الفضيل الورتلاني (القبائلي)، رجل الإصلاح الكبير، أو باسم المرحوم مولود قاسم نايت بلقاسم (القبائلي)، الوزير، رئيس المجلس الأعلى للغة العربية.

وتأسست في هذا الجو (حركة الثقافة البربرية M.C.B) التي بنت تأسيسها على الحقد على الإسلام وعلى كل ما هو عربي. تأسست على محاربة انتمام الجزائري العربي الإسلامي والعمل من أجل بربرة الجزائر وربطها بفرنسا، وقطع كل علاقة لها بالوطن العربي، وبالعالم الإسلامي. وزعماء الحركة البربرية لا يتذكرون أن الذي خلق التيار البربرى هم المبشرون المسيحيون الفرنسيون، الذين تجاوز نشاطهم خدمة الدين المسيحي إلى خدمة أهداف الاستعمار الفرنسي الجديد. فقد صرخ معطوب الناس، وهو من أقطاب حركة الثقافة البربرية، إلى القناة التلفزيونية الفرنسية الأولى (TF1) في برنامجها (سبعة على سبعة) الذي أذيع يوم 8 يناير 1995، والذي قال فيه: «إن الذي علمنى

هويتي البربرية هو الأب شارل ديكيرس (Ch. Deckers) الذي اغتيل من طرف الإسلاميين، مع رفاته الثلاثة في تizi وزو قبل أسبوع (31/12/1994)، مع العلم أن الراهب المذكور بلجيكي الجنسية، متخصص في العمل ببلاد القبائل، فهو يحسن التحدث بالقبائلية، وسبق أن ضبطه مفتش شرطة قبائلي بمدينة تizi وزو في 1976 ، وهو يجمع في بيته مراهنين ومراهقات ويمرنهم على ممارسة الجنس تحت عنوان التربية الجنسية. وقادت السلطات بطرده مع عدد من رفاته، وذلك في عهد الهاواري بومدين. من الغريب أنه كان مستشارا في التكوين المهني بوزارة العمل الجزائرية التي كان يسيطر عليها الشيوعيون. وكان مزدوج الجنسية، يتمتع بالجنسين: الجزائرية، والبلجيكية. ثم جاء الشاذلي بن جديد، وفي إحدى زياراته إلى بلجيكا توسط ملكها لدله للراهب المذكور، فسمح له بالعودة إلى الجزائر، حيث بقي فيها إلى اغتياله. وأنا ضد الاغتيالات مهما كانت أسبابها ودوافعها. فالآجاتب ضيوف، يتطلب منهم بأن يغادروا البلاد إذا أخطؤوا، مثلما فعل الرئيس بومدين، أما أنا يغتالوا فلا.

وفي 20 أفريل 1995 وقف معطوب الوناس خطيبا أمام الجماهير في مسيرة نظمت بمناسبة ذكرى ما يسمى (بالربع البربرى) وإلى جانبه زوجة السيد سعيد سعدي رئيس حزب (RCD)، حيث قال بالحرف الواحد: «لو بقيت اللغة الفرنسية رسمية بالجزائر بعد الاستقلال مثلما كانت قبله، لما وصلنا إلى ما وصلنا إليه». أي لما أثيرة قضية اللغة البربرية أو الهوية البربرية. ومعنى هذا الكلام: أن قضية اللغة البربرية تثار من أجل هدف واحد وهو خدمة اللغة الفرنسية حتى تبقى هذه اللغة هي المشتركة بين العرب والبربر، كما يتنا.

أقامت حركة الثقافة البربرية مهرجانا يوم 27 أكتوبر 1994 بقاعدة حرشة بالعاصمة، وتداول خطباء البربريزم على المنصة ملقين خطبهم بالفرنسية مع ترديد جمل بالقبائلية، ووقف نائب رئيس جامعة بجاية العضو بالحركة يلقي

خطابه بالعربية، فتصدى له زملاؤه بالمنصة والحاضرون ومنعوه من التحدث بالعربية، فأجابهم قائلًا: «دعوني أتحدث بالعربية، لأرد على التهمة التي تقول بأننا نحن ضد العربية». فردوا عليه قائلين: إنها ليست تهمة، تكلم بالفرنسية أو بالقبائلية أو أزل من المنصة». ونزل الخطيب من المنصة دون أن يلقي خطبته⁽²⁾. وهذا يؤكد عداء حركة الثقافة البربرية للغة العربية؛ وترأس المهرجان فرحة مهني ..

وفي بداية السنة الدراسية (1994 - 1995) استغل زعماء الحركة البربرية الوضع المتدهور بالبلاد، الناتج عن إلغاء الانتخابات التشريعية في ديسمبر 1991، وشنوا إضراباً مفتوحاً في مدارس وجامعتي تizi وزو، وبجاية، من أجل اعتراف الدولة بتدريس البربرية، والاعتراف بها كلغة وطنية ورسمية. وكان مخطط الحركة أن يعم الإضراب سائر الولايات التي يتواجد فيها الناطعون بالبربرية، لكن الفئات التسع البربرية الأخرى لم تستجب للإضراب الذي جاء محظياً من بدايته، كشف أن التيار البربرى مقصور على فئة واحدة وهي فئة القبائل. بل إن الكثير من القبائل لا يوافقون على أهداف الحركة ومطالبها الانفصالية، وإنما اكتفوا بالصمت نظراً لجو الإرهاب الذي تفرضه الحركة على بلاد القبائل. فبعد السلام بعيد، مثلاً، القبائلي، عندما كان رئيس حكومة، أجرت معه صحيفة الحركة البربرية حديثاً. طلبت منه أن يصدر قراراً يعتمد فيه البربرية لغة وطنية ورسمية، فأجاب قائلًا: أرفض أن يكون للجزائر لغتان وطنيتان رسميتان، لأن ذلك معناه أن أمتين اشترين تعيشان على أرض الجزائر، وأنا لا أؤمن إلا بأمة واحدة؛ ثم إنه لا توجد لغة بربرية مركبة، بل لا توجد قبائلية مركبة، بل توجد عدة لهجات قبائلية، ولهجات بربرية⁽³⁾. وعندما قيل له: «لكن أنت لست عربياً، إنك قبائلي»، أجابهم بقوله: «أنا عربي لأنني قبائلي».

(1) جريدة المساء، عدد 30/10/1994.

وانتهى الإضراب بإصدار الدولة لقرار بتأسيس (المحافظة السامية للغة الأمازيغية) تخثار الحركة أعضاءها، وتقوم بإعداد اللغة التي ستدرس، ويأن تدرس الأمازيغية في المدارس لسائر الجزائريين كلغة كل الجزائريين، ولم توافق الدولة على مطلبين للحركة وهما: اعتبار الأمازيغية لغة الجزائر، واعتمادها لغة رسمية تكون لغة التعليم والإدارة، واعتبرت السنة الدراسية سنة بيضاء، خسر فيها التلاميذ والطلبة سنة من أعمارهم في الولايات المذكورتين.

ويعتبر البربرист أن اللغة الأمازيغية هي القبائلية التي تحضرها أكاديمية باريز البربرية، منذ 1967، وهي لغة جديدة لا علاقة لها بأية لهجة بربرية، قام فيها الآباء البيض وتلاميذه من أمثال سالم شاكر بحملة تطهير واسعة من الكلمات، التي تشم فيها رائحة الإسلام. فاستبدلوا تحية الإسلام التي ترددتها سائر اللهجات بما فيها القبائلية وهي (السلام فلاون). وفلاون كلمة مدحوج فيها حرف الجر (في وعلي)، أي أن التحية معناها (السلام فيكم وعليكم). فاستبدلوا بها تحية جديدة وهي (آزول فلاون)، وكلمة آزول ليس لها وجود في اللهجات البربرية، والأقرب إليها هي الكلمة آزو ومعناها الشوك. والناس العاديون حتى في بلاد القبائل لا يفهمون التحية الجديدة ولا زالوا يرددون تحية الإسلام. كما استبدلوا اسم الله بكلمة (يلو). والبربر سائر اللهجاتهم يتداولون ^{*} **كلمتي** (الله، ورببي).

ويستعمل البربرист من قنوات الإذاعة والتلفزة لنشر الكلمات الجديدة، ويعتبر الشريف معمرى مذيع الموجز بالقبائلية متخصصا في هذا؛ ويدو أنه يتلقى يوميا بالفاكس من باريز كلمات، ويقوم بتسريبها بالشارة، فيقدم الكلمة الجديدة ويقوم بشرحها بالفرنسية. ومن يقارن بينه وبين سليمان خاطر مقدم الموجز الشاوية، يتأكد مما أقول. فهذا الأخير يقدم لهجة الشاوية صافية كما يتحدثها الشاوية، دون حذف الكلمات العربية المسلمة منها. وقد أشار مقدمو

(قاموس اللغة القبائلية) للأب دالل (J.M.Dallet) تلاميذه الأساتذة الثلاثة: مادلين آلان (M.Allain) وجاك لانفري (J. Lanfry) وبيتر ريسينك (P. Reesink) الذي نشر سنة 1982، إلى هذا العمل لتغيير القبائلية، واعتبروه مناقضاً للأسس العلمية للغات⁽¹⁾.

وها هو المستشرق الفرنسي (جاك بيرك Jacques Berque) يقول: «من الخطأ الكبير الاعتراف باللغة البربرية كلغة رسمية ثانية إلى جانب العربية من طرف بلدان المغرب العربي. ولا أعتقد أن مطلب اللغة مشروع، لأنه سيؤدي في النهاية إلى انقسام أنولاً». وكانت قد وجّهت اللوم إلى صديقي عبد الكريم غالاب، صاحب جريدة "العلم" بالمغرب، الذي كان قد تقدّم بمشروع يقضي بتدريس اللغة البربرية في المدارس المغربية، بطريقة إلزامية، وقلت له: «لست على حق في ذلك، إذ كيف تجبر أطفال مدينة فاس العربية على تعلم اللغة الأمازيغية. إن هذه النعرة الذاتية والجهوية التي ترتفع في أوساط البربر وعلى الخصوص في بلاد القبائل هي إحدى التداعيات الملموسة لنجاح المخطط الاستعماري، وللحالة التأزم الصعب الذي تعيشها الجزائر وعلى رأسها حالة التردّي الحضاري والثقافي التي تعاني منه البلاد. فالدّوائر الاستعمارية كانت تبذل جهوداً مضنية لفرض الفتنة بين العرب والبربر بهدف ضرب الوحدة الوطنية، كما أنها كانت أول من وضع (فكرة العروبة) في مواجهة (فكرة البربرية)، وترجح إحداثها على الأخرى حسبما تقضي بذلك مصلحتها»⁽²⁾.

إليه أوجه ندائٍ إلى أبناء جرجة الأسم، الذين عرفتهم تاريخ الجزائر على أنهم أبناء الجزائر البربرة، الذين عملوا طوال أربعة عشر قرناً على إعلاء كلمة الله، ونشر لغة القرآن الكريم. ألم يكن زين الدين ابن معطي أول من نظم قواعد التحوّل العربي في ألف بيت من القبائل في القرن الثاني عشر الميلادي؟ هذه

(1) Dallet: Dictionnaire de la langue Kabyle, Paris 1982.

(2) جريدة الأهرام، عدد 18 / 06 / 1995.

الألفية التي درست قرونا في المشرق والمغرب، وكان يحفظها طلاب العربية في العالم الإسلامي كله، واعتبرت لقرون أنها أجمع طريقة لضبط قواعد اللغة، وقلده الكثيرون حتى من الأوروبيين في عملية تصنيف قواعد اللغة ومنهم ابن مالك في الفيطة المشهورة. ألم يكن ابن آجروم (أبو عبد الله)، الذي عاش في القرن الرابع عشر الميلادي، صاحب كتاب (الآجرومية في مبادئ علم العربية)، الذي لا زال يدرس حتى الآن في النحو بالأزهر وغيره، من أمازيغ المغرب؟ وكلمة آجروم أمازيغية (بربرية) معناها الفتير والصوفي.

إننا نهيب بأبناء جرجرة، لا ينساقوا وراء العقلية الاغترارية، فالمحترمون في فرنسا قضوا زهرة شبابهم هناك، وعادوا بعد تقاعدهم بأراض اجتماعية وثقافية، ينشرونها بالجزائر. لم يحضرروا معهم حب الفرنسي للغته والدفاع عنها، حتى ولو كان بروتانيا، لم يحضرروا معهم حب الفرنسي لوحده الوطنية فيعملون على الدفاع عن الوحدة الوطنية الجزائرية. وإنما عادوا بأفكار الاستعمار الفرنسي الجديد، حولوا بفرنكاتهم المرتفعة، بالمقاصة، بساتين التين والزيتون إلى فيلات، بعد أن قطعوا آلاف الأشجار المثمرة؛ وزرعوا قرى ومداشر أرض المقراني، ولالة فاطمة نسومر، وعميروش، والفضيل الورتلاني، ومولود قاسم نait بلقاسم بالحانات والبارات^(١). ثم نشروا نزعة البربريزم، لا من أجل خدمة الأمازيغية، وإنما من أجل الإبقاء على هيمنة اللغة الفرنسية على حساب الوضع الطبيعي للغة العربية.

(١) نشرت جريدة Libéria في عدد 18/09/1996 مقالاً طويلاً عنوانه (إيفر جوتن...) تبين هذه الظاهرة ببلاد القباش. وتقول إن شيئاً حاجزاً هاجم في هذه القرية مخزن للمخمر بشاحنته، وأدخل السجن.

الأصول العربية للأمازيغ

كانت التوجيهات تصدر للمؤسسات الثقافية الفرنسية بإبراز أصل البربر الأوروبي في دورياتها ومنتشراتها. ولهذا فإننا نجد الموسوعات الفرنسية التي نشرت قبل استقلال الجزائر، تصرخ على النعمة الاستعمارية كموسوعة (كيبي Quillet) مثلاً، التي ورد فيها عشرة أسطر عن البربر في المادة المخصصة لهم، مبتورة، يحس القارئ من بين أسلوبها أن محررها غير مقتنع بما يقول. وأرى أن آعرض للقارئ الكريم ما ورد في هذه الموسوعة.

«إن البربر ليسوا ساميين مثل العرب .. وبأنهم سبقو العرب على هذه الأرض (أي شمال إفريقيا). وبأنهم ينسبون عرقيا إلى السكان الذين يعيشون في أروبا».

وواضح من هذا النص أن الكاتب صدرت إليه تعليمات بأن يقول هذا فقاهة. والتعليمات تمثل في إبراز أربعة عناصر:

- 1 - أن البربر ليسوا ساميين.
- 2 - أن البربر لا يرتبطون بأية صلة بالعرب.
- 3 - أن البربر سبقو العرب إلى شمال إفريقيا.
- 4 - أن البربر من أصل أروبي.

وواضح من تحليل النص أنه مهلهل. تجنب محرره غير المؤمن به تعزيزه بأى نص تاريخي، أو أية اكتشافات أثرية علمية.

نبدأ بعلم الحفريات عن الجماجم البشرية؛ فقد اكتشفت أربع جماجم الأولى في الجزائر والثانية في ليبيا والثالثة في اليمن والرابعة في فلسطين. وووجد بين هذه الجماجم الأربع تطابق كامل. وعمرها ما يقرب من خمسمائة ألف سنة. يقول الأستاذ الدكتور رشيد الناصوري في كتابه "المغرب الكبير" مايلي: «وفيما يتعلّق بانسان العصر الحجري القديم الأوسط في المغرب، فقد عثر على فك إنسان يتّبع إلى هذه المرحلة في تهف (هوافتح) غرب (درنة). وقد

استخدم الكربون المشع 14 في اختبار عمر الفحم الخشبي الذي وجد في مواد هذا الموقع والمتمنية لهذه المرحلة، وقد أُعطي سنة 43000 ق. م كتاريخ له، وقد ثبت من الدراسات المقارنة تشابه هذا الإنسان مع إنسان (نياندرتال) في فلسطين. كما أن هذا التشابه أيضاً يمكن ملاحظته في الصناعة الحجرية المتمنية لهذه المرحلة، مما يؤيد وجود نوع من الصلات الحضارية والبشرية بين جنوب غربي آسيا، وجنوب شرقي ليبيا.. ويتجه العلماء إلى اعتبار إنسان "مشة العربي" الذي اكتشف جمجمته بالجزائر متشابهاً مع إنسان "نياندرتال" ^(١).

يتبع من النصر السابق أن علم الجمامجم أثبت بالدليل العلمي التشابه بين إنسان شرقي ليبيا وإنسان الجزائر وإنسان نياندرتال في فلسطين، مما يدل على أصلهم الواحد. وحيث أن الهجرات كانت تتم من الشرق إلى الغرب، وبما أن علماء السلالات يشترون علمياً أن مصدر هجرات حوض البحر المتوسط هي شبه الجزيرة العربية، فإن الاحتمال الأرجح بل المؤكد أن البرير قبائل قدمن من شبه الجزيرة العربية ومنطقة الهلال الخصيب، عبر صحراء سيناء ومصر، واستوطنت شمال إفريقيا، في هجرات متتالية سابقة للهجرة الإسلامية، ويعود تاريخ أقدمها إلى ما قبل خمسين ألف عام.

البربر والساميون: أي العرب القدامى

يغلب كثير من المؤرخين أن الساميين والحاميين سلالة واحدة، وأنه لا وجود لسلالتين منفصلتين، وأن المهد الأصلي للسلالة (الحامية - السامية) كان الجزيرة العربية وقرن إفريقيا، حيث يعتبران أمتداداً جغرافياً واحداً.

يقول الأستاذ عبد الرحمن باعجي في كتابه *حياة القبر وان*:

الفريق من المؤرخين يرون أن أصل الحاميين والساميين واحد، وأن مهدهم الأصلي كان شرق إفريقيا.. وعلماء الجيولوجيا يعتبرون الجزيرة

(١) المغرب الكبير، ج ١ ص ٦٢، تأليف الدكتور رشيد الحسوري، أستاذ التاريخ بجامعة الاسكندرية.

العربية امتداداً طبيعياً لإفريقيا، ليس يفصلها عنها سوى منبع نهر النيل ونهر البحر الأحمر⁽¹⁾.

ويذهب معظم المؤرخين إلى القول بأن مصادر الهجرة البشرية ثلاثة:

1 - أواسط آسيا بالنسبة لشرق آسيا وأستراليا وشمال أروبا.

2 - شبه الجزيرة العربية بالنسبة لحضور البحر المتوسط وجنوب إفريقيا ونهر النيل.

3 - أمريكا (مصدر هجرتها غير محدد ومحض).

إذن فشبه الجزيرة العربية والهلال الخصيب هما مصدر هجرة البربر الرئيسي إلى بلدان شمال إفريقيا، يقول الأستاذ عبد الرحمن باغي: «فليس لنا بد من أن نتمثل ما يذكره العلماء من أن الجزيرة العربية كانت في حقبة من الحقب مصدرًا يوزع على العالم ثروة بشرية»⁽²⁾.

ويورد محررو مادة (بربر) في موسوعة "أونيفرساليس Universalis" ، وهي أول موسوعة فرنسية، تحرر بعد استقلال الجزائر - فقد نشرت سنة 1968 - وتقر نسبة البربر إلى العرب. أصلًا ولعة.. ورد في الموسوعة ما يلي: «أكثر طريق إلى الحقيقة إعادة البربرية إلى أصول حامية سامية التي تجمع في بوتقه واحدة البربرية، والمصرية القديمة، والكونية، والسامية»⁽³⁾.

وبحلرو الموسوعة نفسها يقررون بأنه «لا يوجد رأس أو جنس ببربر مستقل بذاته. إن الناطقين بالبربرية يمثلون عدة أنواع عرقية (إثنية).. ولم تتحقق أية دراسة تعتمد على أنواع الدم، فهو نوعية البربر إذن لم تحدد على مقاييس عرقية»⁽⁴⁾. وتعترف نفس الموسوعة بأن البربر لا تعود أصولهم إلى أصل غربي، وإنما ينحدرون من «أصل شرقي»⁽⁵⁾.

(1) حياة البربر ان لـاستاذ عبد الرحمن باغي. ص ٢٣.
(2) نفس المصدر السابق.

(3) Encyclopaedia Universalis ج ٣، ص ١٧٢.

(4) نفس المصدر السابق. ص ١٥٦.

(5) نفس المصدر السابق.

وينكر المؤرخ العراقي أحمد سوسة تسمية "السامية" ويرى استبدالها باصلاح "عربية" ، فيقول:

«إنها تسمية أطلقت على بعض الشعوب التي زعم أنها انحدرت من صلب سام بن نوح، وكان أول من أطلقها بهذا المعنى العالم التماذري (شلوترز Chirotzer) عام 1281 م للميلاد، فشاعت منذ ذلك الحين، وأصبحت عند علماء الغرب علماً لهذه المجموعة من الشعوب، وسرت إلى المؤرخين العرب، على الرغم من أن هذه التسمية لا تستند إلى الواقع التاريخي، أو إلى أساس علمية عنصرية صحيحة. أو وجهة نظر لغوية، لذلك يرى بعض الاختصاصيين وجوب تسمية هذه الأقوام بالأقوام العربية لتشمل كل من سكن الجزيرة العربية وخارج منها، لأن العرب والساميين شيء واحد»^(١).

ويقول أحمد سوسة أيضاً: «يتضح مما تقدم أن الحضارة التي سميت بالسامية خطأ إنها هي حضارة عربية، ومصدر طاقتها البشرية جزيرة العرب لا غيرها»^(٢). ويتفق مع الدكتور سوسة الدكتور جواد علي - المؤرخ العراقي - فيقول: «ولعلي لا أكون مخطئاً أو مبالغ، إذا قلت إن الوقت قد حان لاستبدال مصطلح (سامي) و(سامية) بـ (عربي) و(عربية)»^(٣).

ويتفق مع الدكتور أحمد سوسة أيضاً المؤرخ الفرنسي (بير روسيه P. Rossi) حيث يقول: «إن التسمية السامية حالياً من كل معنى، لندرة أن (الموسوعة الإسلامية) نفسها - التي نسبت العرب للساميين - لا تفرد لكلمة (سامية) مادة في فهرست موادها.. إن كلمة سامية لا أثر لها في المعجم اليوناني ولا في المعجم اللاتيني.. وهي لم تظهر للوجود إلا في نهاية القرن الثامن عشر على يد العالمة

(١) حضارة العرب ببراحل تطورها عبر العصور، للدكتور أحمد سوسة، ص 19، بغداد 1979.

(٢) نفس المرجع السابق، ص 12.

(٣) تاريخ العرب قبل الإسلام، للدكتور جواد علي، ج ١.

النمساوي (شلوتزر Shlotzer)، الذي ابتكر اصطلاح (سامي) في كتابه المعنون (جدول الأدب التوراتي والشرقي»⁽¹⁾).

كما يؤكد المؤرخ الفرنسي أيضاً بأن التسمية الحقيقة (للساميين) هي العرب.

«كل شيء يمكن أن يكون بسيطاً لو أنها بدل أن تتحدث عن الساميين - الأبطال الوهميين - تتحدث عن العرب، عن الشعب الذي وجد في الواقع، له كيان اجتماعي وثقافي ولغوي دائم، الشعب الذي منح الحياة والتوازن للبحر المتوسط منذآلاف السنين»⁽²⁾.

«والأثار هنا شاهدة على ذلك، تؤكد أن حضارتنا (نحن الأوروبيين) ولدت وترعرعت في المنطقة الممتدة بين نهري النيل والمهندوس، وبين القوقاز ومضيق باب المندب، فأربع أمم أقامت إمبراطورية على امتداد زمني طويل وهي: المصريون، والسوريون - الكنعانيون، واليونانيون - الحبيشيون، والبابليون»⁽²²⁾.

وحيث أن التسمية السامية لا أساس لها تاريخياً، وفق ما يرى الكثير من المؤرخين، وحيث أن هؤلاء المؤرخين ينكرون أيضاً وجود عرق اسمه العرق (الحاامي)، وأن الساميين والحااميين أمر واحد، فالتسمية الصحيحة للبربر إذن هي العرب، وخاصة وأن المؤرخين يتذمرون على أن تسمية (البربر) لا تعتمد على أي أساس علمي، كما سترى في هذا البحث.

(1) La cite d'Isis, Histoire vraie des Arabes. (Nouvelles Editions latines, Paris 1976), Pierre Rossi.

- مدينة إيزيس، تاريخ حقيقي للعرب، ص 72.

(2) المراجع السابق، ص 18.

الهجرات العربية السابقة للإسلام:

يرى الأستاذ غوتييه (Gautier) المؤرخ الفرنسي المشهور، أن موجات الهجرات السامية العربية القديمة إلى المغرب تمت عن طريق مصر. يقول: «لم يعد بعيداً عن الاحتمال أن موجات الهجرة نحو المغرب سلكت طرقاً أخرى غير طريق مصر»⁽¹⁾.

فعلم دراسة الجماجم القديمة، ودراسة جذور السلالات ، أثبت بأن البربر لا يُولفون جنساً مستقلاً بذاته، وإنما قدموا من الشرق، وبالذات من الجزيرة العربية والهلال الخصيب. فقسم من العمالقة الذين سكنوا بلاد الشام هاجر إلى المغرب، وساهموا في تكوين التجمع السكاني الذي عرف بالبربر. يقول المؤرخ العربي أبو جعفر الصوري.

«وعسليق وهم العمالقة ومنهم البربر وهم بنو ثميلاً بن مأرب بن فاران بن عمرو بن عمليق بن لوذ بن سام بن نوح. ما خلا صنهاجة وكتامة، فإنما هم بنو فريقيش بن قيس بن صيفي بن سبأ»⁽²⁾.

ويستمر الطبرى في إثبات أن البربر هاجروا من بلاد جنوب الجزيرة العربية عبر الشام، فيقول:

«وزعم هشام بن محمد الكلبي أن إفريقيش بن قيس بن صيفي بن سبأ بن كعب بن زيد بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، هم متوجهة إلى إفريقيا فاحتلتهم حتى سواحل الشام حتى أتى بهم إفريقيا، فافتتحها وقتل ملكها جرجرا، وأسكنها البقية التي كانت بقيت من الكتاعانيين الذين كان احتملهم معه من سواحل الشام»⁽³⁾.

(1) Le Passe de l'Afrique du Nord. E.F. Gautier. p23.

(2) تاريخ الطبرى، ج ١، ص ٢٥٧.

(3) نفس المرجع، ص ٤٤٢.

إذن فالمسير في العريبي الطبراني يثبت في كتابه المعروف أن البربر هاجروا على عدة موجات ضاربة في القدم، ويحدد الهجرات التي تمت من بلاد الشام إلى المغرب فيذكر أنها جاءت من قبائل الكنعانيين ثم من قبائل العداليّة.

وينقل الطبراني «أن البربر أخلاط من كنعان والعماليق وغيرهم»⁽¹⁾.

ويؤكّد رأي الطبراني المؤرخ المغربي شهاب الدين السلاوي فيقول: «ومن هذه الأقوال يتضح الاتصال بين (الساميين والحاميين)، وكيف يميل النسبة العرب إلى أنهم كانوا معاشر تنازعوا وانفصلوا، وذهب منهم جمع إلى شمال إفريقيا. وبقي كثیر منهم في فلسطين في أرض الشام إلى زمن داود. وقد كان يحکمهم ملکهم جالوت. ولما قتل داود جالوت أجلوا من بلاد كنعان وفلسطين إلى أرض المغرب ولحقوا بمن سبقهم»⁽²⁾.

إذن فالسلاوي يتفق مع الطبراني ومع كثیر من المؤرخين بأن هجرات سحيقة في القدم من عهد الملك داود، تمت من الشرق العربي الآسيوي نحو شمال إفريقيا.

ويورد السلاوي أيضاً بأن هجرات أخرى متعددة تمت من اليمن إلى شمال إفريقيا بالإضافة إلى هجرات بلاد الشام، يقول:

«فقد غزتهم (أي سكان المغرب) ملوك اليمن من قراهم هرارا، وذكر الكلبي أن حمير أبا القبائل اليمينة ملك المغرب مائة سنة»⁽³⁾.

وعندما يتكلّم ابن خلدون عن إفريقيش يقول:

«هو إفريقيش بن قيس بن صيفي من ملوك التباعة غزا المغرب وإفريقيا، وقتل الملك جرجس وبني المدن والأمسار»⁽⁴⁾.

(1) حياة القبور وإن للأستاذ عبد الرحمن باعجي، ص 15.

(2) الاستقصاء للسلاوي، ج 1.

(3) الاستقصاء للسلاوي، ج 1.

(4) تاريخ ابن خلدون، ج 6، ص 176.

بل إن ابن خلدون يذهب إلى أن البربر هم بقايا القبائل القديمة التي كانت تسكن فلسطين والتي انقرضت باستثناء البربر يقول:

«وكان بينبني فلسطين هولاء وبينبني إسرائيل حروب كثيرة، وكان بالشام كثير من البربر إخوانهم، ومن سائر أولاد كنعان يصاهمونهم فيها، ودشت أمة فلسطين وكلعنان وشعوبها لهذا العهد، ولم يبق إلا البربر»⁽¹⁾.

بل ويذهب المؤرخ الأمريكي (وليام لانغر W. Langer) في تاريخه: «موسوعة تاريخ العالم» إلى تفسيـر فكرة هجرة البربر من أروبا، أي الهجرة من الشمال إلى الجنوب، ويقرـ مع جميع مؤرخي الـ هجرات البشرية إلى أن الهجرة في حوض البحر المتوسط تـمت من جنوـبه إلى شمالـه وليس العكس، لأنـه فيـ الوقت الذي كانـت فيه أروـبا كـتلة من الجـليلـ لا حـيـاةـ فيهاـ لا حـيـوانـيةـ ولاـ بشـريـةـ، كانـ شمالـ إفـريـقيـاـ مـاهـولاـ بـالـبـشـرـ، يقولـ الأـسـتـادـ لـانـغـرـ:

«وـ انتـشـرـ فـرعـ من عـناـصـرـ الـبـحـرـ الـمـوـسـطـ وـ الـصـحـراءـ، الـطـوـيـلـةـ الرـؤـوسـ وـ أـقـارـبـهـمـ منـ الـعـربـ وـ الـبـرـبرـ وـ غـيـرـهـمـ فيـ جـنـوبـ أـرـوـباـ وـ شـمـالـ إـفـريـقيـاـ وـ الـشـرـقـ الـأـدـنـيـ»⁽²⁾.

إذن فالـ مؤـرـخـ (لانـغـرـ Langer) يـعـتـبـرـ الـبـرـبرـ وـ الـعـربـ تـجـمـعاـ سـكـانـيـاـ وـاحـداـ، عمرـ مـنـاـصـقـ الـشـرـقـ الـأـدـنـيـ وـ شـمـالـ إـفـريـقيـاـ وـ جـنـوبـ أـرـوـباـ. وـ يـوـضـعـ الـمـؤـرـخـ لـانـغـرـ رـأـيـهـ هـنـاـ فيـقـولـ:

«وـ إـذـنـ فـقـدـ كـانـ الـاتـجـاهـ الـعـامـ لـلـحـرـكـةـ الـحـضـارـيـةـ مـنـ جـنـوبـ إـلـىـ الشـمـالـ، وـ مـنـ الشـرـقـ إـلـىـ الـغـربـ، وـ لـهـذـاـ كـانـتـ الـمـنـاطـقـ جـنـوـبـيـةـ وـ شـرـقـيـةـ فيـ أيـ وـقـتـ مـضـيـ تـمـتـعـ بـحـضـارـاتـ أـكـثـرـ رـقـيـاـ مـنـ حـضـارـاتـ الـمـنـاطـقـ الـهـامـشـيـةـ فـيـ شـمـالـ الـغـربـيـ»⁽³⁾.

(1) تاريخ ابن خلدون، ج 5، ص 156.

(2) موسوعة العالم لوليام لانغر، ج 1، ص 25 - 26 (الترجمة العربية).

(3) المرجع السابق، ص 32.

إذن فالمؤرخون الأروبيون، التزيمون طبعاً، يقررون بأصول البربر العربية (السامية) المشرقية. ويقررون بأن سكان جنوب أروبا أنفسهم بحضارتهم اليونانية والرومانية يعودون إلى أصول عربية مشرقية، وهو تفنيد واضح من مؤرخين أروبيين غير مغرضين مثل العلامة (لانغر Langer) والمؤرخ الفرنسي (بيير روسيه P. Rossi)، لآراء أولئك المؤرخين المنظرين للاستعمار الغربي، والذين تتلمذ عليهم دعابة النزعـة البربرية الجزاـريـون والمغاربة السطحيـون. ويدـهـب (بيـير روـسيـه P. Rossi) بعيدـاً، فيـرى أنـ اللـغـةـ الـأـرـامـيـةـ هيـ أـمـ الـلـغـاتـ اليـونـانـيـةـ وـالـلـاتـيـنـيـةـ وـالـفـارـسـيـةـ، فيـقـولـ:

«وكانت هنـاكـ لـغـةـ وـاحـدـةـ منـطـوـقـةـ وـمـكـتـوـبـةـ فـرـضـتـ أـخـيـراـ نـفـسـهـاـ، وـعـمـتـ هـذـهـ الـمـنـطـقـةـ الـوـاسـعـةـ أـلـاـ وـهـيـ الـلـغـةـ الـأـرـامـيـةـ الـتـيـ تـعـتـبـرـ الـيـونـانـيـةـ الفـرـعـ الغـرـبـيـ لـهـاـ، وـلـقـدـ تـطـوـرـتـ الـأـرـامـيـةـ بـوـتـيرـةـ طـبـعـيـةـ وـبـيـدـوـنـ صـدـامـ إـلـىـ الـلـغـةـ الـعـرـبـيـةـ الـتـيـ وـرـثـتـ مـاضـيـ الـمـصـرـيـةـ، وـالـكـنـعـانـيـةـ، وـالـحـيـثـيـةـ، وـالـبـابـلـيـةـ. هـذـاـ هـوـ الـمـقـيـاسـ الـحـقـيقـيـ لـلـثـقـافـةـ الـعـرـبـيـةـ الـتـيـ تـعـتـبـرـ الـأـمـ وـالـمـلـهـمـ لـلـهـيـلـيـنـيـةـ الـتـيـ صـاغـتـهـاـ فـيـ رـوـحـهـاـ وـقـوـائـنـهـاـ»⁽¹⁾. وـيـرـىـ الـمـؤـرـخـ الـفـرـنـسـيـ أـنـ الـأـلـهـةـ الـيـونـانـيـةـ كـانـتـ مـنـحدـرـةـ مـنـ الـأـلـهـةـ الـعـرـبـيـةـ، (فعـشـتـارـ صـارـتـ فـيـنـوسـ الـرـوـمـانـيـةـ فـيـمـاـ بـعـدـ»⁽²⁾.

وـالـثـقـافـةـ الـعـرـبـيـةـ عـنـدـ الـمـؤـرـخـ الـفـرـنـسـيـ المـذـكـورـ أـمـ الـثـقـافـاتـ الـغـرـبـيـةـ وـالـشـرـقـيـةـ يـقـولـ: «عـنـدـماـ نـؤـكـدـ بـأـنـ الشـرـقـ مـحـدـدـ بـوـاسـطـةـ الـثـقـافـةـ الـعـرـبـيـةـ، فـيـ مـجـالـ عـرـبـيـ، فـيـنـاـ لـاـ بـنـتـكـرـ شـيـناـ مـنـ عـنـدـنـاـ. وـلـوـ أـنـ الـيـونـانـ لـمـ يـتـكـونـ فـيـ الـثـقـافـةـ الـعـرـبـيـةـ لـمـ ظـهـرـ اـبـتـةـ أـرـسـطـوـ إـلـىـ الـوـجـودـ.. إـنـ رـوـمـاـ أـسـتـ فـيـ بـوـتـقـةـ الـثـقـافـةـ الـعـرـبـيـةـ.. لـاـبـدـ أـنـ نـحدـدـ الـعـرـوـبـةـ كـثـقـافـةـ وـحـيـدةـ لـلـشـرـقـ، وـأـنـ نـرـاجـعـ مـاـ لـقـنـاـ فـيـ الـمـدارـسـ عـنـ الـشـرـقـ وـالـيـونـانـ.. إـنـ الـيـونـانـ لـمـ يـكـنـ سـوـىـ شـرـفـةـ أوـ مـلـحـقـ لـلـبـنـاءـ الـعـرـبـيـ بـالـشـرـقـ،

(1) La cité d'Isis, vingt histoire des Arabes. P. Rossi.

(2) السـرـجـعـ السـابـقـ، صـ 24ـ.

واليونانيون يعترفون بذلك، إن أصول الحضاراتين القريطية والقبرصية القديمتين مصرية كنعانية⁽¹⁾، أما عن الحضارة الفارسية فيقول (روسيه P. Rossi):

«في حوالي 500 سنة قبل الميلاد، كتب بالأramaic داريوس - إمبراطور فارس الذي هزم الإسكندر الأكبر - القوانين المصرية ونشرها في إمبراطوريته»⁽²⁾. ويفسر (روسيه P. Rossi) نجاح عبور الإسكندر الأكبر التاريخي إلى انتصار هذا الأخير واليونان إلى الثقافة العربية، يقول:

«إن الوقت قد حان لكي نفسّر لماذا لم يلاق عبور الإسكندر الأكبر صعوبات أمامه، ولماذا كانت اللغة والسياسة والإدارة اليونانية آسيوية بعمق، أي (سامية) إذا الجأن إلى هذا الاصطلاح السخيف»⁽³⁾.

ويعيد الأصول العربية لهذه الثقافات إلى فترات قديمة جداً، يقول:

«منذ القرن السابع قبل الميلاد صارت اللغة الكنعانية تحمل اسم (الكرينية)، أي اللغة المشتركة للمنطقة الممتدة من النيل وحتى الهندوس، وهو المجال العربي، ثم صار حوض البحر المتوسط مزدوج اللغة: اليونانية كلغة ثانية بالميدان الأدبي، والأramaic استمرت كلغة أولى»⁽⁴⁾. وكما أوضحتنا من قبل فقد أكد ما قاله روسيه كاتب بريطاني في سنة 1991، وهو ويليام برنال.

وإذا استعرضنا العلاقة التي كانت بين البربر وقدماء المصريين، وجدنا أنها ذات أخذ وعطاء بالنسبة لمسار الهجرات البشرية. فبعض المؤرخين يرون بأن أول حضارة نشأت في منطقة الشرق الأدنى والأوسط وحوض البحر المتوسط كانت على ضفاف بحيرات كانت تنتشر في الصحراء الكبرى الجزائرية، وعندما جفت هذه البحيرات وعم القحط هرب هؤلاء السكان من الجفاف، وانتشروا

(1) المراجع السابق، صفحات: 29 - 30 - 32 - 33.

(2) المراجع السابق، صفحات: 40 - 51 - 57.

(3) المراجع السابق.

(4) المراجع السابق.

في هذه المنطقة وبالعالم ، ويسمى هذا الرأس الأصلي للبشرية "الرأس الليبي البربرى" . بل إن مؤرخاً كغوتié يرى أن أول من سكن حوض النيل⁽¹⁾ جاء من منطقة الصحراء الكبرى . ويحتمل إذا اعتمدنا على هذا الرأي الذي لا زال حتى الان مجرد احتمال - بأن يكون أصل سكان هذه المنطقة الواسعة، من الصحراء الكبرى ، هاجروا من فناف بحيراتها، ثم استوطنوا في شبه الجزيرة العربية وبين النهرين والنيل عشرات القرون أو مئات القرون، ثم عادوا ضمن هجرات ليعمروا شمال إفريقيا وجنوب إثربان الجليد منها.

ويؤكد المؤرخون أن الأسرتين المصريتين الفرعونيتين الثانية والعشرين والثالثة والعشرين كانتا ببريتين، وهما من الأسر الكبيرة التي حكمت مصر القديمة . وهذا يعبر دليلاً واضحاً على التفاعل الموجود بين البربر وقدماء المصريين .

وكلما سبق أن بيان، فإن الهجرات من الجزيرة العربية نحو شمال إفريقيا وحوض البحر المتوسط وجنوب أروبا، تمت خلال الخمسين ألف سنة الماضية، وخاصة إثر دورة الجليد المعروفة لدى المؤرخين باسم (Warm 3) قبل العشرين ألف سنة الأخيرة، عندما بدأ الجفاف يعم الجزيرة العربية، والجليد يذوب من أروبا وحوض البحر المتوسط، يقول أحمد سوسة: «كما يتضح أن العالم يجتاز اليوم الدورة الدفيئة الثالثة التي بدأت في اعتاب دورة الجليد (Warm 3)، كانت أروبا مغطاة بالجليد، في حين كانت الجزيرة العربية تتمتع بجو معتدل رطب، تكثر فيه الأمطار في كل المواسم، مما ساعد في هذه الفترة على الأخذ بالزراعة التي تعتمد على الري، ونمو الغابات الكثيفة في المنطقة . ولما دخلت الدورة الدفيئة الثالثة عادت أروبا إلى حالتها الطبيعية التي كانت عليها في الدورة الدفيئة السابقة، وانقلب أرض الجزيرة العربية إلى صحراري، تاركة في جوفها طبقات نفطية متكونة من بقايا غاباتها بتأثير الضغط عليها»⁽²⁾.

(1) Le passé de l'Afrique du Nord, E.E. Gautier p.23

(2) حضرة العرب ومراحل تطورها عبر العصور، للدكتور أحمد سوسة، ص 62 - 63 .

وهذا هو رأي الكثير من المؤرخين، فتوبيني، وجاييلد «يرىان أن عامل الجفاف الذي حل في أعقاب العصر الجليدي، كان حافزا في قيام الهجرات المتواصلة من جزيرة العرب، وبالتالي نشوء الحضارات المهمة في وادي النيل ووادي الرافدين»^(١).

البربر والفينيقيون:

ويؤكد الأستاذ (غوتير E.F. Gautier) «أن التأثير الفينيقي بال المغرب «دام ما يقرب من ألف سنة، ولم يسجل لنا التاريخ سوى القرن الأخير من الوجود الفينيقي، أن القرن الذي انهارت فيه إمبراطورية قرطاج. أما القرون التسعة الأخرى فقد بقيت غامضة تاريخيا»^(٢).

ويؤكد المؤرخون بأن البربر تفاعلوا مع الفينيقيين واندمجوا فيهم أكثر من تفاعلهم مع الرومان والبيزنطيين، لأن الطرفين من أصل واحد. هاجروا من مصدر هجرة واحد، ويعرف بذلك حتى المؤرخون الأوروبيون، التزهاء طبعا، يقول الأستاذ جورستاف لوبيون: «إن البربر قبل الفتح العربي كانوا يعبدون آلهة قرطاجنة كفورزيل ومامسيمان. ويروى عن (تيروليان Tertulien) (وهو كاتب فيلسوف مشهور من فلاسفة الكنيسة، ولد بالشمال الجزائري وتخرج من الجامعة الرومانية المشهورة التي كانت تقع في موقع القرية الجزائرية مداوروش)، أن البربر كانوا يضحون بعض الأولاد تقديرا إلى إله الزمن كيوان، وكانوا يعبدون النار أيضا»^(٣). إذن فـ (تيروليان Tertulien) فيلسوف الكنيسة الذي عاش في القرن الثالث الميلادي بالجزائر، يقر بأن البربر كانوا يتبعذون وفقا للعبادات الفينيقية، ويؤكد هو وغيره من المؤرخين العالميين، أن البربر لم يتباذلوا مع المسيحية كثيرا، لأنها وردت لهم من أروبا وعن طريق روما المستعمرة.

(١) المرجع السابق، ص ٢٢.

(٢) *Le Passé de l'Afrique du Nord*, E.F. Gautier, p31.

(٣) حضارة العرب لغورستاف لوبيون، ترجمة عادل زعفر، ط ٢، ص ٣٣٧.

كما أن المؤرخين يشتبهون أن البربرية كانت تكتب بالحروف الفينيقية، يقول الأستاذ الناصوري: «فقد بدأ البربر في تسجيل لهجاتهم في القرن الثاني قبل الميلاد متأثرين باللغة البوئية الفينيقية الأصل، والتي نجح الفينيقيون في التوصل إلى اختراع خطها لأول مرة في حياة الإنسانية بصورة نهائية»^(١).

ويعتبر الكنعانيون أحد الشعوب الأربع التي يعود إليها البربر في أصولهم، والكنعانيون هم مخترعوا الكتابة أو الأبجدية قبل أن تنقل على أيدي الفينيقين بأكثر من ألف سنة، يقول الدكتور أحمد سوسة:

«من المتفق عليه أن الكنعانيين الذين هاجروا من جزيرة العرب، واستقروا في فلسطين، كانوا أول من استعمل الحروف الأبجدية في الكتابة، وهي الحروف التي اكتشفت في شبه جزيرة سيناء، ويعود تاريخها إلى سنة 1850 قبل الميلاد، ومن الكنعانيين انتقلت إلى الفينيقين الذين نقلوها بدورهم فيما بين سنة 850 و750 قبل الميلاد إلى الإغريقية واللاتينية، وصارت تعرف في اليونانية باسمها العربي (الأنف باء)»^(٢).

إذن فالبربر اندمجو وتفاعلوا مع الفينيقين وأعتبروا أنفسهم دائماً أنهم والفينيقين من أصل واحد، يتحالفون معهم ضد الرومان، وأن قرطاجنة كانت تعتبر إمبراطورية مشرقة إفريقية في جنوب المتوسط، في مواجهة إمبراطورية روما بشمال البحر، وأن الوطنية المغربية في ذلك الوقت كانت تمثل في التحالف مع قرطاجنة ضد روما. ومن هذا المنطلق فإن سيفاكس - رئيس مملكة ماريسيلا وزوج صنان بعل، ابنه صدر بعل (هزدروبال) - حليف قرطاجنة، هو الوطني الذي ناضل وحارب دفاعاً عن الإمبراطورية الشمال الإفريقية (قرطاجنة)، ضد الإمبراطورية المستعمرة الأجنبية الغربية عن شمال إفريقيا إلا وهي روما.

(١) كتاب د. رشيد الناصوري (المغرب الكبير).

(٢) حضارة المغرب وتراثها عبر العصور، ص 32.

ومن الغريب أيضاً أن مؤرخي الرومان وأروبا حاولوا إقناعنا بأن الرومان هم الذين أدخلوا التطور والحضارة إلى نوميديا والبربر. لكن الحقيقة التي تعمدوا إخفاءها هي أن الذي أدخل الحضارة لسكان شمال إفريقيا وأخر جهم من العصور المظلمة أو بتعبير أدق من العصر الحجري القديم، هم الفينيقيون، يقول الأستاذ الناصوري: «عندما اتصل الفينيقيون بالبربر الذين كانوا لا يزالون في مرحلة العصر الحجري الحديث، بدأت العلاقات الفينيقية البربرية في التطور في المجالات الاقتصادية والحضارية، مما ساعد على انتقال البربر من المرحلة القبلية الهمجية، إلى مراحل أكثر تقدماً نحو تكوين دولة بربرية»⁽¹⁾.

بل إن ديوانت مؤرخ الحضارات الإنسانية، يرى أن العرب هم أول من ابتكر الزراعة واستأنس الحيوان قبل المصريين وغيرهم، يقول: «إن هناك ما يدل على أن الحضارة، وهي هنا زراعة الحبوب، واستخدام الحيوانات المستأنسة، قد ظهرت في العهود القديمة غير المدونة، في بلاد العرب، ثم انتشرت منها في صورة مثلت ثقافي إلى ما بين النهرين سومر وبابل وآشور، وإلى مصر»⁽²⁾.

البربر والرومان والضنداو والبيزنطيون:

مما سبق يثبت أن البربر لم يتفاعلوا مع الرومان، وأنهم استمروا في اعتبارهم دخلاء على شمال إفريقيا مستعمرین أجانب. فحتى الكنيسة - التي انتشرت بالشرق العربي - لم يعتنقها البربر، لأنها جاءت من روما حملتها غزاة مستعرون، بخلاف وضع الكنيسة في المشرق العربي. يقول الأستاذ العلامة الناصوري: «وحقيقة كون الرومان ينتمون إلى عائلة الشعوب الأوروپية، وكذلك سيادتهم العسكرية، قد حال دون استطاعتهم - رغم محاولاتهم الكثيرة - تحويل البربر إلى شعب روماني الترعة»⁽³⁾.

(1) المغرب الكبير، رشيد الناصوري، ج 1، ص 221.

(2) قصة الحضارة لديورانت، الترجمة العربية، ج 2، ص 43.

(3) المرجع نفسه، ص 287.

ومن الغريب أن عدم الدمج البربر مع الرومان كان شبيهاً بعدم الدمج عرب المشرق بهم أيضاً، يقول الأستاذ النااصروري:

«ونفس هذه الظاهرة تنطلق على كافة شعوب الشرق الأدنى .. بخلاف العناصر السامية العربية التي تسكتت من التأثير الكلبي على المصريين والبربر، وتعريضهم لغوريا وفكريا، ولا يقتصر هذا على البربر فقط بل ويشمل الشرق الأدنى كله»⁽¹⁾.

وقد شهد المؤرخون الأربعمائة التزهاء على تناقض البربر مع الرومان، وعدم اندماجهم لا بهم ولا بحضارتهم. ويقول محرر و مادة (بربر) في موسوعة "يونيفيرساليس" ("Universalis")

«لم ترضخ القبائل البربرية للرومان، بل استمرت في تمددها ضدّهم، فالحضارة الرومانية لم تدمج في بحثتها البربر، كما أن الحضارة الرومانية لم تؤثر سوى على قلة قليلة جداً من المغاربة»⁽²⁾.

ونفس عدم التفاعل هذا للبربر تم إزاء (الأندلس)، وهي القبائل الجرمانية التي غزت شمال إفريقيا في القرن الخامس الميلادي. فقد قضى الواندال فتره احتلالهم بشمال إفريقيا في سلسلة من الحروب والثورات مع البربر، ولعل أخطر ثورة كانت ضدهم هي ثورة "تراسا موند"، واعتبرت هذه الثورة ثورة الفلاحين ضد الكولون (الإقطاعيين) الواندال، وكان مصير الجيش الواندالي الغازي هزيمة ساحقة سنة 523 م في معركة ركاب الجمال. وهزم الواندال وطردوا من شمال إفريقيا، رغم استعمارهم الذي دام حوالي قرن.

نفس الشيء حدث مع البيزنطيين ورثة ممتلكات روما، فلم يكدر يمضي عامان على احتلال البيزنطيين للمغرب، حتى اندلعت ثورات البربر ضدهم

(1) حضارة العرب لغوستاف لوبيون، ترجمة عادل زعبي، ط2، ص307.

(2) موسوعة يونيفرساليس، مرجع ذكر سابق.

واستمرت مشتعلة فيما بين 535 و 545 م.. وحاول كبار قادة الإمبراطورية العسكرية التصدي لهذه الثورات، ولكنهم فشلوا وهم (بليزاريوس، وجرومانيوس، وصوليومون وتروجليتا)، وجهودهم ذهبت عبثا.

ثم حاولت العسكرية البيزنطية مدة 25 سنة فرض الهدوء على ربوع البلاد، وعندما نجحوا في ذلك في منتصف القرن السادس الميلادي، كانت الولايات المغربية هجرها سكانها (إلى المناطق الجبلية والصحراوية) وشملها الخراب⁽¹⁾ وهو نفس الشيء الذي حدث مع الاحتلال الفرنسي بالجزائر.

ثم تلاحت ثورات البربر ضد الاحتلال البيزنطي الذي لم يستقر له قرار طوال وجوده .. «ويقي البربر خارج الخط القنصلي (البيزنطي) يحيون حياة مستقلة»⁽²⁾. وفي سنة 563 م قامت ثورة كبرى في عهد جان روجاتينوس ممثل الإمبراطور البيزنطي بال المغرب.

ويقر محورو مادة برب في موسوعة "يونيفيرساليس Universalis": « بأن البربر غرباء عن الحضارة اليونانية - الرومانية»⁽³⁾.

البربر والفتح الإسلامي:

البربر معروف عنهم أنهم أشداء ذوو جلد وصبر، شعب محارب بشراسة. وفي الوقت الذي نجدهم قاوموا الرومان ورفضوا الاندماج فيهم، واعتنق دينهم، واكتسب عاداتهم ولغتهم وثقافتهم؛ نجدهم استقبلوا العرب بترحاب في القرن السابع الميلادي. لقد تصدى البربر للرومانيون وحاربواهم بشراسة، رغم أن الاحتلال الرومان دام أكثر من ستة قرون، أسسوا فيها المدن والمسارح والجامعات؛ يكفي أن يعلم القارئ أن ثاني جامعة بالإمبراطورية الرومانية

(1) المغرب الكبير، تأليف د. عبد العزيز سالم، ج 2، ص 51.

(2) نفس المرجع، ص 53.

(3) موسوعة يونيفرساليس، ص 170، م 3.

وممتلكاتها بعد جامعة روما، كانت جامعة مداوروش بالشرق الجزائري. يكفي أن يعلم القارئ أن من أهم مسارح روما بالعالم هو مسرح تيسة الداثري، يكفي أن يعلم القارئ أن الحضارة الرومانية المسيحية أنتجت أعظم الفلاسفة اللاهوتيين في تاريخ الكنيسة من أمثال القديس أوغسطين (ST. Augustin) بهربيون (عنابة - الجزائر)، وترطولييان (Tertulian) وأبوليوس (Apulee)، ومينيكوس فيليكس بمداوروش. يكفي أن يعلم القارئ الكريم أن أقدم مدرسة فلسفية حلولية مسيحية ظهرت في جامعة مداوروش بالشرق الجزائري. إذن فهذه كلها شواهد على بقاء الرومان مدة طويلة، وشاهد على تغلغل ثقافتهم وحضارتهم وتراثهم الديني بالمغرب العربي. ببوابة كراكلا (Caracalla-Marcus) بسور تيسة التي لا نظير لها بالعالم، وسور تيسة بكماله وبقائه سليماً لا مثيل له بالعالم، ومدينة تيمقاد، ومدينة جميلة، ومدينة شرشال، وتبازة؛ كلها شواهد على تغلغل الوجود الروماني بالمغرب. لكن رغم ذلك كله فقد بقي هذا الوجود هامشياً سطحياً، لأن نفوس المغاربة لفظته ورفضته لغربيتها عنها ولغربيتها عنه.

لكن ما أن جاء الإسلام ودخل العرب المغرب العربي مرة أخرى حتى استجاب البربر، ولم تكد تمر فترة تقل عن خمسين سنة حتى وجدنا المغاربة وقد صاروا جميعاً مسلمين عرباً، يتحدثون العربية ويكتبونها ويخطبون بها بفصاحة تقدر حتى بين خطباء الجزيرة العربية وبالذات الشام والعراق، لماذا؟ قيل لأن رسالة الإسلام عادلة، ذات مستوى روحي محبب لنفوس الشعوب ذات التكوين القبلي.

وهذا سبب وجيه ومعقول، لكن جل المؤرخين يقررون أن أسباباً أخرى غير هذا السبب تكمن وراء الاستجابة السريعة للبربر للفتح الإسلامي - العربي. وهي تمثل في الشابه الكبير بين حياة البربر والعرب وبين تراثهم الحضاري والثقافي والفنى.. أي أن البربر عندما دخل العرب بلادهم تصوروهم غرباء

عنهم مثل الرومان، فتصدوا لهم بمقاومة شرسة، وما أن احتكوا بهم في القتال حتى اكتشفوا في العرب أصولهم، وهذا ما سببه عندما نورد قصة الكاهنة مع الجيوش العربية.

ومن غير شك فإن ما وصل العرب من شراسة حروب البربر ضد الرومان، جعل الخليفة عمر بن الخطاب يتوجس خيفة من غزو بلاد البربر، خشية مقاومتهم، فيفشل الفتح الإسلامي بالمغرب، مثلما فشل الوجود الروماني.. فقد أرسل عمر بن الخطاب برسالة إلى عمرو بن العاص والي مصر، عندما استأذنه هذا فتح بلاد المغرب، التي كانت تسمى في ذلك الوقت بإفريقية. ورد عمر عليه قائلاً: «لا إنها ليست بإفريقية، ولكنها المقرقة، غادره مخدور بها، لا يغزوها أحد ما بقيت»^(١).

وفتحت بلاد المغرب في عهد عثمان بن عفان. ووجد العرب استجابة فورية وواسعة. ويقول الدكتور عبد العزيز سالم:

«ونجح عقبة بن نافع في كسب كثير من من سكان البلاد من قبائل لواتة، ونقوسة، وتغراوة وهراوة، فدخلوا في الإسلام»^(٢).

وكأن زعماء البربر يتبعون أخبار العرب في الشام وفي مصر، ومن غير شك فقد كانت هناك صلات بين مصر والشام من جهة وبال المغرب من جهة أخرى، ومن غير شك أن يكون قد تم بعض الاتصال بين بعض زعماء البربر وعمرو بن العاص والي مصر. يقول الأستاذ عبد العزيز سالم: «وكانت قد بلغتهم الأخبار باستيلاء العرب على بلاد الشام ومصر، فتطلعوا إلى الخلاص من البربر نظيرين على أيدي العرب»^(٣).

(1) فتح مصر والمغرب لابن عبد الرحمن، ص 40.

(2) المغرب الكبير، عبد العزيز سالم، ص 152.

(3) المرجع السابق، ص 143.

قصة كسيلة:

يحاول أعداء الاتماء العربي للجزائر والمغرب من ذوي التزعة البربرية الهداة، استغلال قصة كسيلة، الزعيم البربرى الذى ارتد عن الاسلام وحارب العرب.. والحقيقة التاريخية حول كسيلة والظروف والملابسات التي أحاطت بارتداده، كان هؤلاء الهدامون وأساتذتهم منظرو والاستعمار يتجاهلونها..

وخلاصة هذه الحقيقة أن كسيلة أسلم، لكن الذى دفعه إلى الارتداد عن الاسلام ومحاربة العرب، هو خطأ أو أخطاء ارتكبها عقبة بن نافع ودفع ثمنها على يد كسيلة نفسه، وإلى القارئ الكريم ما أوردته المؤرخون حول هذه القصة.

بفضل حنكة (أبو المهاجر دينار) وهو أحد القادة المسلمين العرب، استطاع استمالة كسيلة وزعماء البربر لإسلامه، إلى أن وصلت الجيوش العربية الإسلامية إلى مدينة تلمسان بالغرب الجزائري.. لكن عندما جاء يزيد بن معاوية للحكم، عزل أبو المهاجر سنة 62 هـ، وأرسل عقبة بن نافع ليخلقه... واعتقل عقبة أبو المهاجر وكبله بالقيود وصادر أمواله.. وحيث أن كسيلة كانت تربطه صدقة بأبي المهاجر دينار، ومن المحتمل أن يكون استثناء من عزل صديقه، وبأن ذلك قد بلغ إلى عقبة بن نافع، ففقد هذا عليه وتعمد الإساءة إليه وإهانته، ويدرك المؤرخان: المالكي، وابن عذاري القصة التالية: «إن عقبة أتى يوماً بذود غنم للعسكر، فذبح الذود، فأمر عقبة كسيلة أن يسلخ مع السالحين، فقال له: أصلاح الله الأمير، هؤلاء فتاني وعلماني يكفوني، فنهره عقبة، وقال له: قم.. فقام كسيلة مغضباً، فكان كلما دمس في الشاة مسح يده بلحيته مما علق بيده من بلل ذلك. وجعل العرب يمرون عليه وهو يسلخ، ويقولون له: ما هذا الذي تصنع؟ فيقول: هذا جيد للشعر. فمزّبه شيخ من العرب فقال: كلا، إنه ليتوعدكم. فقال أبو المهاجر لعقبة: أصلاح الله الأمير، ما هذا الذي صنعت؟ كان رسول الله ﷺ يستألف جباررة العرب كالأقرع بن حابس التميمي، وعيتية بن حصن، وأنت

تحيى إلى رجل هو خيار قومه، في دار عزه، قريب عهد بالكفر، فتفسد قلبه. توثق من الرجل فإني أخاف فتكه. فتهاون به عقبة، فلما انصرف، نكت البربر ما كانوا عليه^(١).

أما الخطأ الثاني الذي ارتكبه عقبة بن نافع فهو أنه استفز قبيلة أوربة فغزاها استفزازاً، دون أن ترتكب أمراً تستحق عليه هذا الغزو، ونصحه أبو المهاجر دينار أيضاً قائلاً: «إن قبيلة أوربة البرانسية أسلمت بإسلام كسيلة، وليس هناك ما يدعو إلى غزوها، فأبي عقبة أن يتتصح»^(٢).

ودفع عقبة بن نافع كسيلة والبربر إلى التمرد، ففر إلى جبال الأوراس وجمع الجموع وترصد لعقبة وهو عائد من المغرب الأقصى وقتله؛ كما أباد كل من كان معه. ثم دفع كسيلة العرب إلى طرابلس، وأخلت القيروان من الجنود. والمؤرخون يذكرون أن كسيلة لم يلحق أذى بالقيروان رغم استطاعته ذلك، ولم يمسها بسوء، وهذا دليل على أن كسيلة لم يكن يريد شطب الوجود العربي، وإنما أراد الانتقام من شخص عقبة فقط.

ويذكر المالكي: «أنه لم يبق في القيروان بعد رحيلهم إلا الشيوخ والنساء والأطفال، وكل مثقل بالأولاد. فأرسلوا إلى كسيلة يسألونه الأمان فأجابهم.. دخل القيروان سنة 64 هـ. وجلس في قصر الإمارة أميراً على البربر ومن بقي منهم من العرب»^(٣).

بل إن المؤرخ المصري حسين مؤنس، يوضح بجلاء قضية تمرد كسيلة وأسبابه.. ويكشف أن كسيلة وجد نفسه أمام جماهير بربرية مهمة، اعتنقت الإسلام وتفاعلـت مع العرب، وترفضـت الانفصال عنـهم والتخلص كلياً من الوجود العربي بالمغرب، يقول الدكتور مؤنس:

(1) رياض النقوس لمالكـي، ص 29، ولـيانـانـ المغربـ فيـ أـخـيـارـ المـغـربـ لـابـنـ عـذـارـيـ أـبـوـ عـبدـ اللهـ.

(2) المالـكيـ صـ 24ـ.

(3) رياضـ النـقوـسـ لـنسـانـيـ، صـ 32ـ.

«كان في إفريقيا في ذلك الحين نفر عظيم لم يرضهم سقوط القิروان في يد كسيلة، فأثارهم ذلك، وثارت المنازعات بينهم وبين أنصاره. ومن يكون هؤلاء الذين ثاروا تلك الثورة إلا ببربر مسلمين»⁽¹⁾.

ويبدو أن كسيلة نفسه لم يكن مت候ساً كثيراً إلى الاستمرار في مقاومة العرب، أو أن البربر المسلمين كانوا من القوة بحيث لم يسهلوا له مهمته في طرد العرب نهائياً من المغرب. وقضى كسيلة خمس سنوات كاملة يحكم القิروان. هل كان يتضرر أن يعهد إليه بولاية إفريقيا فيعود للإسلام؟ أم أن المقاومة كانت شديدة ضده من طرف البربر المسلمين المستعربين؟ وعلى كل حال، فقد مرت هذه السنوات الخمس محفوفة بغموض لم يجعله المؤرخون. ثم عاد زهير بن قيس على رأس جيش من طرابلس ومصر. ويروي المالكي أن كسيلة عندما اقترب من جيش المسلمين من القิروان خرج من المدينة قائلاً لأتباعه: «إني رأيت أن أرحل عن هذه المدينة، فإن بها قوماً من المسلمين لهم علينا عهود، ونحن نخاف إن أخذنا القتال معهم أن يكونوا علينا»⁽²⁾. ثم قتل كسيلة على يد زهير بن قيس في معركة ممس.

نستنتج مما سبق ما يلي:

- 1 - أن تمرد كسيلة وارتداده عن الإسلام ومحاربته للعرب جاء بسبب خطأين اثنين ارتكبهما عقبة بن نافع في حق كسيلة، ولو بقى أبو المهاجر دينار والياً على المغرب وقادها على الجيوش الإسلامية لما تمرد كسيلة.
- 2 - فشل كسيلة رغم سيطرته على إفريقيا والقิروان مدة خمس سنوات كاملة، فشل في تصفية الوجود العربي الإسلامي. وذلك إما لأنه لم يكن مقتنعاً بما يفعل، وبأن هدفه كان شخصياً وهو الانتقام من عقبة بن نافع، وإما لأنه وجد

(1) فتح العرب لمغارب. للدكتور حسين مؤنس، ص 211.

(2) المالكي أبو بكر: رياض النقوس، ص 32.

أمامه جماهير غفيرة من البربر اعتنقت الإسلام واندمجت في العرب فعرقلت مساعيه لتصفية وجودهم.

3 - يتبيّن مما سبق أن قضية كسيلة التي يستغلها أعداء الاتّمام العربي للجزائر، من ذوي التّزعّة البربرية الاستعمارية المقيمة، ترتكز على أساس واهيّة. لأنّ مقاومة كسيلة لم تأت انطلاقاً من إيمانه ببربريته ضدّ غزو عربي كما يزعمون، وإنما جاءت كرد فعل شخصي عاطفي بل وغريزي. ولم يحدّثنا التاريخ أنّ ردود الفعل العاطفية الغريزية تتمرّ في حركة نضال الشعوب.

4 - يستتّجع مما سبق أيضاً أنّ الوجود العربي الإسلامي تغلغل عميقاً في نفوس البربر. ولو لم يكن كذلك لتمكّن دعاة تصفية هذا الوجود من تأسيس قوة متراصّة قادرّة على التصدّي نهائياً للجيوش الإسلامية. وأظنّ أنّ خمس سنوات من سيطرة كسيلة على المغرب العربي كانت كافية لذلك.

قصة الكاهنة:

ويحاول أيضاً أنصار التّزعّة البربرية الاستعمارية تشوّيه قصة الكاهنة في التاريخ. لكنّ الحقائق التاريخية في هذه القصة تورّدها للقراء الكرام مستمدّة من الكتب العربية الإسلامية، أي من مصادرها الحقيقة، مع ملاحظة أنّ محركي قصة الكاهنة المغارضين يعتمدون في تحريرهم على مؤرخي الاستعمار الفرنسي.

بقيت الكاهنة معتصمة بحال أوراس التّمامسة على رأس قبيلتها (جراؤة)، ونظراً لعدم احتكاكها بالعرب، وعدم اطلاعها على هوية رسالتهم، فقد تصوّرت أنّهم يشبهون الرومان، جاءوا مستعمرّين مستغلّين؛ ولكن عندما حاربتهم واحتكت بهم اكتشفت ذاتها فيهم، وهي السيدة المعمّرة الحكيمـة. كما اكتشفت أصول قومها في هؤلاء القادمين، فقضت آخر حياتها غير متحمّسة لحربهم، بل وأوصت ولديها بأن يعتنقوا الإسلام، ويكفا عن محاربة العرب.

ويروي البكري:

«أن الكاهنة عملت على القضاء على مظاهر العمران اعتقاداً منها بأن العرب يسعون وراء العمران، حيث الذهب والفضة، فوجهت قومها إلى كل ناحية من بلاد إفريقيا يحرقون المزارع. وبهدمة الحصون، وبعد أن كانت إفريقيا ظلا واحداً من طرabilis إلى طنجة قرئ متصلة ومدناً منتظمة، تلاشى هذا كله وشمل الخراب سائر هذه البلاد»^(١).

ومما يدل على أن الكاهنة حاربت العرب بسبب جهلها بهم، قصتها مع خالد بن يزيد العبسي. فقد أسرته مع ثمانين من كبار المسلمين في معركة دارت بينها وبين الجيوش العربية في (مسكيانة) بالشرق الجزائري، وعندهما حدثتهم سألتهم عن دينهم وعن جنسيتهم اكتشفت فيهم أشياء أحدثت صراعات نفسية في أعماقها. وتأثرت بآياتها بالعرب من خلال ما عرفته من هؤلاء الأسرى الثمانين؛ فأطلقت جميع الأسرى، واحتضرت بخالد بن يزيد العبسي، وقررت أن توكل له تربية ولديها، بل وقامت بتبني خالد بن يزيد وفقاً لشعائر دينها. ولنستمع إلى ابن عذاري يروي لنا قصة هذا التبني:

«عُمِدَتْ إِلَى دِقْقِ الشَّعِيرِ فَلَتَّهُ بَرْزِيْتَ، وَجَعَلَتْهُ عَلَى ثَدِيْهَا، وَدَعَتْ وَلَدِيْهَا، وَقَالَتْ كَلَا مَعَهُ عَلَى ثَدِيْيِي، فَفَعَلَّا، فَقَالَتْ: صَرْتُمْ إِخْوَةً»^(٢).

ويجمع المؤرخون أنه ما كادت الكاهنة تعلم بوصول حسان بجيشه إلى إفريقيا، حتى رحلت من جبال أوراس، بعد أن أوصت خالد بن يزيد أن يصاحب ولديها ويستأمن لها عند حسان بن النعمان، فأمنهما. أما هي فقررت أن تقاتل حتى الموت. ويقول ابن خلدون: «وكان للكاهنة ابنان قد لحقاً بحسان قبل الواقعة، وأشارت عليهما بذلك أمهما، وهما لإشارة علم كان لدىها في ذلك من شيطانها، فتقبلهما حسان، وحسن إسلامهما واستقامت طاعتهما، وعقد لهما على قومهما»^(٣).

(1) المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، للبكري أبي عبد الله، ص 35.

(2) ابن عذاري، الأنبيان المغرب، ص 37، ج 1.

(3) تاريخ ابن خلدون، ج 7، ص 18، طبعة بيروت.

ويبروی عن الكاهنة أنها قالت لولديها وهي تودعهما: «.. يا ولدي أوصيكم بالعرب والإسلام خيرا، أما أنا فإنما الملكة من تعرف كيف تموت».

نستنتج مما سبق:

1 - أن الكاهنة حاربت العرب لأنها كانت تجهل عنهم أي شيء، وعندما احتكَت بهم من خلال نقاشها للأسرى العرب الذين وقعوا بين يديها، لم تكتشف فيهم فقط عدالة الرسالة التي حملوها، وإنما اكتشفت في لغتهم وعاداتهم وطريقة حياتهم تشابها كبيرا، بل وتطابقا مع لغتها وعاداتها وطريقة حياة قومها؛ فاهتزَ الإصرار على دحر العرب في نفسها، ولكن قررت - وهي التي عاهدت قومها على القتال - أن تقاتل حتى الموت رغم عدم إيمانها بما تفعل. أو بعبير أدق رغم اهتزاز إصرارها على محاربة العرب.

2 - تدل قصتها مع خالد بن يزيد العبسي، ومع ولديها، على ما أوردها في الفقرة السابقة، لأنه ليس من المعقول أبداً أن يقدم قائد عسكري مثل الكاهنة على تسليم فلذات كبده إلى عدوه يربوهم على دينه، وعلى لغته، وعلى ثقافته. أما عن تخرّج بعض المؤرخين الأوروبيين لقصة خالد بن يزيد العبسي، على أن الكاهنة وقعت في حبه، فهو أمر لا يرتكز على أساس تاريخي، وهو غير معقول أبداً، لأن فارق السن كبير، فالكافنة كانت آنذاك في سن 127 سنة، وخالف شاب صغير، ثم إن قصة التبني وعجبية الشاعر تفند هذا الادعاء.

3 - لقد أورد المؤرخون قصة عن الكاهنة احتاروا في أمرها، فعندما هزمت حسان بن النعمان في موقعة مسكيانة سنة 75 هـ ودحرت جيوشه إلى طرابلس، دخلت مدينة القيروان عاصمة المسلمين بالمغرب في ذلك الوقت، وتجلوت في شوارعها ثم غادرتها، دون أن تتعرض للمدينة ولا لأهلها بسوء، وهو أمر غريب ومحير. هل بدأت تدرك الكاهنة مدى قربها وقرب قومها من الجنس العربي؟ هل بدأت تقنع بعدلة الرسالة التي حملوها مع سيفهم؟ وخاصة

وهي المرأة المحنكة - مثلما أورد ابن خلدون - «عاشت 127 سنة، وملكت 35 سنة»، فأناحت لها هذه التجربة الواجهة في الحياة والملك، أن تكتشف بفراستها أصول قومها في العرب، وأصول لغتهم في اللغة العربية، وأصول طريقة حياتهم في طريقة حياة العرب، فأمرت ولديها في حياتها بأن يكفا عن حرب العرب، وأن يعتنوا الدين الذي جاءوا به، وأن يكتسبا الثقافة التي أحضرواها معهم.

يتبع مما سبق أن قصتي كسلية والكافنة قد حرفتا من طرف المؤرخين الفرنسيين: منظري الاستعمار، وفلسفته، وفلسفة "فرنسا الجزائر"، وأن تلاميذ الآباء البيض، مبشرى الاستعمار وزواجه، وطلائعه، من الجزائريين والمغاربة، لايزال لهم وجود بالجزائر والمغرب العربي حتى الآن، وقد فضحتهم مناقشات مي شاير 1976، ودفعتهم إلى أن يكشفوا عن هويتهم، ويعلنوا عن أفكارهم السامة الموروثة من الآباء البيض مبشرى الاستعمار. وقد تصدلت لهم في بلاد القبائل نفسها، الجماهير، والمشفون الذين كانوا في حصن الحركة الوطنية القرى الذي حال دون تأثير أفكار مبشرى الاستعمار الفرنسي عليهم، وجعلهم في مأمن. وهبت لهم أصوات من جبال الأوراس، ومن الطوارق، ومن الونشريس، وفي وادي ميزاب ترد عليهم وتُفسّر أفكارهم المسمومة.

قبل دخول الفرنسيين الجزائر في 1830، لم يكن بالمغرب العربي شخص واحد يقول بأن البربر غير العرب، أو بأنهم جنس من أصل أزوبي. وفكرة "الزعنة البربرية" فكرة دخلت مع الاستعمار الفرنسي، حمل لواءها فلاسفة والمبشرون بأفكاره.

فقد كان النسبة البربر يوصلون القبائل البربرية بأصول عربية، سواء بالجزيرة العربية وخاصة بجنوبها، أو بلاد الشام. ويروي ابن خلدون «أن نسبة زناته ينسبون أنفسهم إلى حمير، وإلى العمالة»^(١).

(1) تاريخ ابن خلدون، ج ٢، ص ٥.

كما أورد ما يلي:

«وقال هاني بن بكور الضريبي، وسابق بن سليمان المطماطي، وكهلان بن أبي لؤي، وأبوبن أبي يزيد، وغيرهم من نسبة البربر، أن البربر فرقان كما قدمنا، وهما: البرانس والبتر، فالبتر من ولد بر بن قيس بن عيلان؛ والبرانس بنو برنس بن سفجو بن أبرج بن جناح بن واليل بن شراط بن تام بن دويم بن دام بن مازيع بن كنعان بن حام. وهذا هو الذي يعتمد نسبة البربر»⁽¹⁾.

ويورد ابن خلدون في تاريخه شعراً في هذا المعنى، أنشده شعراء يمجدون فيه نسب البربر العربي. مثل قول الشاعرة تماضر:

فأقسم أنا والبرابر إخوة ناما وهم جدّ كريم المتصاب
أبونا أبوهم قيس عيلان في الذرى وفي حرسه يسكن غليل المحارب⁽²⁾
كما يورد ابن خلدون شعراً لقيس بن خالد (البربر) يفتخر فيه بأصله

العربي:

أيها السائلُ عنا أصلنا
نحنُ ما نحنُ بنو بر القوي
وابتلى المجدَ فأورى زندَه
إن قيساً قيس عيلان هم
حسبك البربرُ قومي إنهم
وبيض تضرُبُ الهَمَّ بها
قيسُ عيلان بنو العزِّ الأولُ
عرف المجدَ وفي المجد دخلَ
جَدَنا الأَكْبَرُ فـكاكُ الكَبِيلُ
معدن الحقَّ على الخير دَلَلُ
منكوا الأرضَ بأطرافِ الأَسلُ
هامَّ من كانَ عن الحقَّ نَكَلُ⁽³⁾

ويذكر ابن خلدون كيف كان يتحقق نسبة العرب مع نسبة البربر على الأصل العربي للبربر؛ وابن خلدون كعادته يناقش هذه النسبة ويختلف مع النسبة حولعروبة كل قبائل البربر. لكنه يعترف بعروبة أكبر قبيلتين بربريتين وهم صنهاجة

(1) تاريخ ابن خلدون، ص ١٤٦، ج ٦، طبعة بيروت.

(2) المرجع السابق، ص ١٨٧.

(3) المرجع السابق، ص ١٨٧، الأصل: المرماح.

وكتامة، كما يقر وهو المؤرخ الفهد، بأنهما قدمتا من اليمن في هجرات سابقة للفتح الإسلامي بل وقبل الميلاد، يقول:

«ولا خلاف بين نسبة العرب أن شعوب البربر الذين قدمنا ذكرهم، كلهم من البربر إلا صنهاجة وكتامة، فإن بين نسبة العرب خلافا، والمشهور أنهم من اليمنية، وأن إفريقيس لما غزا إفريقيا أنزلهم بها.. وعندى أنهم من إخوانهم (أي من العرب) والله أعلم»^(١).

وإفريقيس هذا الذي يورده ابن خلدون، والذي ورد ذكره في هذه الدراسة هو «إفريقيس بن قيس بن صيفي، أحد ملوك اليمن»^(٢).

ويورد ابن خلدون في تاريخه أيضاً ما يلي:

«ويروي ابن أبي دينار عن المقرizi أن إفريقيس بن أبرهة ذي القرنين، غزا المغرب ثم ابتنى هناك مدينة سماها إفريقيا»^(٣).

وقد رأينا أن نسرد في هذه الدراسة، النصوص التي أوردها ابن خلدون في تاريخه عن نسب البربر العربي، وهذه النصوص كالتالي:

«قال آخرون: البربر يمنيون، وقالوا أوزاع من اليمن»^(٤).

«وقال المسعودي: البربر من غسان وغيرهم، تفرقوا إثر سيل العرم.. وقيل من لخم وجذام كانت منازلهم بفلسطين، وأخر جهم منها بعض ملوك فارس، فلما وصلوا إلى مصر منعتهم ملوك مصر التزول، فعبروا النيل وانتشروا بالبلاد»^(٥).

«وقال أبو عمر بن عبد البر: ادعت طوائف من البربر أنهم من ولد النعمان بن حمير بن سبا. قال: ورأيت في كتاب الإسفندار الحكيم: أن النعمان بن حمير بن سباً كان ملك زمانه في الفترة، وأنه استدعى أبناءه وقال لهم: أريد أن أبعث منكم

(١) نفس المرجع السابق، ص 192.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية، الترجمة العربية، ج 2، ص 338.

(٣) تاريخ ابن خلدون، ج 6، ص 338.

(٤) تاريخ ابن خلدون، ج 6، ص 182.

(٥) المرجع السابق، ص 193.

للمغرب من يميزه، وأنه بعث منهم لمن أبا لمتونة، مسفو أبا مسوفة، ومرطا أبا مسکورة، وأصناك أبا صنهاجة، ولمط أبا لمطة، وأيلان أبا هيلانه، فنزل بعضهم بجبل دون، وبعضهم بالسوس، وبعضهم بدرعة..» إلخ⁽¹⁾.

«وغزا إفريقيش المغرب ونقلهم من سواحل الشام وأسكنهم إفريقيية وسماهم ببربر. والبربر قبائل شتى من حمير ومضر والقبط والعمالقة وكعنان وقرسين، وتلاقوا بالشام ولخطوا فسماهم "البربر" لكثرة الكلام.. ويقال إن إفريقيش استجاشهم لفتح إفريقيبة وسماهم البربر. وينشدون من شعره:

تبربرت كعنان لما سُقتها من أراضي الضنك للعيش الخصيب⁽²⁾

ويلاحظ أن هذا البيت يذكر سبب هذه الهجرات، وهو الجفاف، ويتفق مع علماء التاريخ المحدثين.

ويروي السلاوي في كتابه الاستقصاء قصة قيس بن عيلان بن مضر بن نزار وزواجه من تمرير بنت يجدول بن عمار بن محمود، وكان من أولاده منها بر. ويقول الأستاذ عبد الرحمن باغي في كتابه "حياة القبروان":

«فليس مما يناقض الحق أن يكون البربر جيلا من الحاميين، قدימה استوطن المغرب مدة طويلة من الزمن القديم، ثم تلاحت به بقية من كعنان من الشام، واحتلوا بهم وامتزجوا فيهم، شأن السومريين، حين نزح لهم الساميون وكانتوا البابليين»⁽³⁾.

وأنا أزيد على رأي الأستاذ عبد الرحمن هذا القيم فأقول: فليس مما يناقض الصواب أبداً أن يكون البربر جيلا من الساميين - الحاميين لأن جل المؤرخين حديثاً توصلوا إلى نتيجة وهي عدم وجود سلالتين منفصلتين بعضها عن البعض الآخر، وإنما هم سلالة واحدة، كان مهدها الأول شرق إفريقيا واليمن في

(1) المرجع السابق، ص 183.

(2) المرجع السابق، ص 183.

(3) حياة القبروان، لعبد الرحمن باغي، ص 19.

العصور القديمة، ثم جاءت هجرات متالية من السبيعين والحميريين والفساسنة، والكنعانيين والعمالقة من اليمن وببلاد الشام. وكونوا التجمع السكاني الذي سمي فيما بعد بالبربر. بل إن تسمية الساميين كما بتنا لا أساس لها علمياً وتاريخياً، وأن كثيراً من علماء التاريخ يستبدلونها بالتسمية العربية.

ويورد الأستاذ عبد الرحمن باغبي في كتابه حياة الفيروان خلاصة آراء عدة مؤرخين يوثق في روایاتهم ونقلهم، يوردها كما يلي:

«ويذكر صاحب الاستقصاء قول ابن خلدون ويطمئن إليه، وهو أن علماء النسب مختلفون على أن البربر يجمعهم جنسان عظيمان هما برنس ومارتميس الذي يلقب بالأبتر. فلذلك يقال لشعوبه البتر، ويقال لشعوب برنس البرانس. وبين النسبيين خلاف هل هما لأب واحد أم لا، فعند ابن حزم أنهما لأب واحد، والجميع من نسل كنعان بن حام، وعند سابق بن سليمان المطماطي وغيره من نسبة البربر أن البرانس فقط من نسل كنعان، وأما البتر فهم بنو بتر بن قيس بن عيلان بن مصر، ثم يرجح السلاوي أن الشعبيين معاً عريقان في البربرية، وأن الجميع من ولد مازيع، وماريغ من ولد كنعان بن حام»^(١).

وكلمة أمازيغ نفسها عربية، فالأمازيغر من الرجال: الأقوياء أشداء القلوب.

تسمية البربر:

لا يوجد لكلمة "البربر" أصل عرقي (أتنى)، فالبربر اشتهروا في التاريخ بالبتر، وبالبرانس أحياناً أخرى، أكثر من اشتهر لهم بتسمية البربر. سُمُّوا بالعهد القرطاجي وعهد مايسينيسا ويوجرطا بالجدالة: سكان الصحراء؛ وبالمرالة: سكان الهضاب؛ وسموا بالنوميديين من طرف اليونان. فقد قال أبو ليوس الكاتب المداور روشي المشهور الذي عاش بالقرن الأول الميلادي: «إن أبي نوميدي وأمي جdaleia».

(١) المرجع السابق، ص ١٩.

ويرى الأستاذ عبد الرحمن باغبي، الذي يغلب أن الكلمة بربور مشتقة من الكلمة اللاتينية (Barbarus)، وهو الاصطلاح الذي أطلقه الرومان ومن قبلهم اليونان، على الشعوب التي تقل عنهم حضارة.

وقد سبق أن أوردنا نص المؤرخ الطبرى الذى يرى أن أول من أطلق هذا الاسم على سكان المغرب هو إفريقيش إذ قال لهم - وهم في بلاد الشام - «ما أكثر بربوركم، فسموا لذلك بربورا»^(١).

ويستدل من جميع آراء المؤرخين عربا وأروبيين نزهاء، أن الكلمة "بربر" لا تعتبر تسمية ذات أصلة تتضمن تحديدا عرقيا (إثنيا)، والغالب أنها أخذت من الاصطلاح الروماني الذي كان يطلق كما سبق أن بيّنا على جميع الشعوب المختلفة، بمستعمراتهم، سواء بالشرق الأدنى أو بشمال إفريقيا أو أوروبا. والغريب أن الذي أوجد الفرق في الكتابة بين التسمية الرومانية هذه، وتسمية البربر هم بعض المؤرخين الأوروبيين، فاستبدلوا حرف (A) في الكلمة (Barbare)، بحرف (E) في الكلمة (Berbere) وهو استبدال مفتعل كما هو واضح، وضع لتكريس انفصال البربر عن العرب بال المغرب العربي. ولو كانت هذه التسمية أصلية لها مصامين عرقية (إثنية)، لاحتفظ بها البربر حتى بعد استقرار الإسلام بالمغرب، مثلما بقىت الكلمة "الفرس" و"الأفغان" و"الترك" و"الهنود"، وغيرهم من الأجناس الإسلامية التي لازالت مسلمة. لكنها احتفظت بتميزاتها العرقية اللغوية حتى الآن.

ومما يؤكد عدم أصلية تسمية (البربر) عرقيا تسميات فئات البربر المتعددة السائدة حاليا، من صحراء مصر الغربية، وحتى المحيط الأطلسي. ولو سألت أي مواطن من هذه الفئات التي تتجاوز عشر فئات «هل أنت بربري» لما فهم ما تقول، لأن تسميات هذه الفئات اتخذت صفات جغرافية أحيانا، ومهنية أحيانا أخرى، وهي أبعد ما تكون جماعتها عن المصامين العرقية.

(١) تاريخ الطبرى أبو جعفر، ج 1، ص 442.

ولنستعرض معاً هذه التسميات مبتدئين من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب في الامتداد الجغرافي المتواجد على صعيد الفئات البربرية.

- بدو سيوة: بالصحراء الغربية بمصر، وهم ينسبون جغرافياً إلى منطقة تسمى سيوة.
- الزواردة: بغرب ليبيا، وهم ينسبون إلى منطقة زواردة، بل إن معنى هذه التسمية عربي من (التزاور).

- الشاوية: تطلق على سكان الشرق الجزائري، نسبة إلى الشاة. وهي عشائر وقبائل تربي الشاة. وفي بادية الشام - الصحراء المشتركة بين سوريا والعراق - مناطق يسمى سكانها (شواية).. وهم يربون الشاة أيضاً.

- الطوارق: وهم في جبال الهوغار وبأقصى جنوب الجزائر. وهي تسمية عربية من طرق باب الصحراء المرعوب يطرقه، فهو طارق وهم طوارق أو طرافق.

- الميزابية: وهم في منطقة غردية بالجنوب الجزائري، وأخذت هذه التسمية من وادي ميزاب الذي يقيمون فيه.

- القبايل: وهي تسمية عربية. جمع قبيلة، وتنطق وتكتب الهمزة ياء، وهذا عربياً أيضاً يسمى "التسهيل"، مثل نطق عزرايل عزرايل وجبرايل جبرايل.

- الروايف: قلة بشمال المغرب الأقصى وهم يسكنون "منطقة الريف" المشهورة.

- ... إلخ.

فهذه التسميات جميعها لم توجد - صدفة - جغرافية أو مهنية، خالية من أية مضامين عرقية، وإنما لها أصل في الواقع والتاريخ، ولو كان البربر أصلاً عرقياً وإثنياً، ولو كان البربر غير العرب وغير (الساميين) لاحتفظوا بتسميتهم واستواعبوها، وغرسوها في نفوس أبنائهم. مثلما حدث ببلاد فارس وتركيا مثلاً. رغم أن هذين البلدين تقع حدودهما على حدود بلاد الشام والعراق، وهما أقرب

جغرافياً لشبه الجزيرة العربية من المغرب. والآن وفي أقصiar الشمال الإفريقي، لا يعرف معنى كلمة (بربر) ومدلولها إلا من تعلم وقرأها في الكتب. وهذا له دلالته. فالبربرية، والتزعة البربرية من خلق غرباء عما يسمى بالبربر، دخلاء عليهم، هدفهم ليس خدمة التاريخ، لأن التاريخ ينكر وجود البربر خارج إطار الأمة العربية، وإنما هدفهم تمزيق الشعب الجزائري وشعوب المغرب العربي، وفصلها عن المشرق والأمة العربية التي تتسمى إليها هذه الشعوب، ومهما يؤكد ذلك أن التزعة البربرية، والانفصالية البربرية، جاءت مع الاحتلال الفرنسي؛ وأن أدبياتها الهرزلية لا توحد إلا بالفرنسية، وأن دعاتها من الجزائريين والمغاربة هم مجرد تلامذة أساتذة الاستعمار الفرنسي ومنظريه، بمبادرة الحركة الصهيونية العالمية، والإمبريالية الدولية طبعاً. وأن إيديولوجيتها (إن قلنا ذلك تجاوزاً) هي «الأكاديمية البربرية» بفرنسا، التي تسييرها عناصر كان بعضهم أعضاء في منظمة الجيش الفرنسي الاستعماري الإرهابية (OAS).

التشابه بين حياة البربر والعرب:

لم يوجد مؤرخ أو جزء التشابة بين البربر والعرب في حياتهم مثل ابن خلدون. فيوتهم (أي البربر) إما من الطين أو من القصب أو من الشجر والشعر والوبر، وينتقلون في البراري طلباً للرعي .. ويربون الشاة والبقرة. أما الخيل فيربونها للركوب والتناسل، كما يربى الرحل منهم الإبل. الضعاف منهم وهي الطبقات الدنيا فيهم يفلحون ويربون الدواجن. أما الأقوياء والطبقات العليا فيعيشون على الرعي وعلى السطرو وقطع الطرق، أما فرشتهم وأثاثهم فمن الصوف .. هذه الحياة التي يرسمها لنا ابن خلدون هي نفسها حياة العرب. ولقد تنقلت بين قبائل عربية عدة بالмесرى كقبائل شمر والحديدين والموالي والهيب، وعنزة، وغيرها، ووجدت أن حياة هذه القبائل هي نفسها حياة قبيلتي بالجزائر وهي قبيلة النمامشة ذات الأصل البربرى، وهاك نص ابن خلدون:

«يَتَخَذُونَ الْبَيْوَتَ مِنَ الْحَجَارَةِ وَالظِّينِ، وَمِنَ الْخَوْصِ وَالشَّجَرِ، وَمِنَ الْأَشْعَارِ وَالْوَيْرِ». ويُطْعِنُ أَلْ العَزِّ مِنْهُمْ وَالْغَلْبَةُ لِاِنْتِجَاعِ الْمَرَاعِيِّ فِيمَا قَرَبَ مِنَ الرَّحْلَةِ وَلَا يَجَازِوْنَ فِيهَا الرِّيفَ إِلَى الصَّحْرَاءِ وَالْفَقْرِ الْأَمْلَسِ، وَمَكَابِسِهِمُ الشَّاءِ وَالْبَقَرِ، وَالْخَيْلِ فِي الْعَالَبِ لِلرَّكُوبِ وَالنَّتَاجِ، وَرَبِّمَا كَانَتِ الْإِبَلُ مِنَ مَكَابِسِ أَهْلِ النَّجْعَةِ مِنْهُمْ، شَاءَ الْعَرَبُ؛ وَمَعَاشُ الْمُسْتَضْعِفِينَ مِنْهُمْ بِالْفَلْحِ وَدَوَاجِنِ السَّائِمَةِ، وَمَعَاشُ الْمُعْتَزِّيْنَ مِنْ أَهْلِ الْأَنْتِجَاعِ وَالْأَضْعَانِ فِي نَتَاجِ الْإِبَلِ وَظَلَالِ الرَّمَاحِ، وَقَطْعِ السَّابِلَةِ، وَلِبَاسِهِمْ أَكْثَرُ أَثَاثِهِمْ مِنَ الصَّوْفِ».

وَإِذَا تَقَلَّنَا مِنْ أَبْنَى خَلْدُونَ وَالْمُؤْرِخِينَ الْعَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ إِلَى الْمُؤْرِخِينَ الْأَوْرُوَبِيِّينَ التَّرْزَهَاءِ، وَجَدْنَا أَنَّ مُحَرِّرِي مَادَةَ (بَرِّير) فِي مُوسَوِّعَةٍ "يُونِيفِيرِسَالِيسِ Universalis" يَقْرُونَ هَذَا التَّشَابِهَ بَيْنَ مَجَمِعِ الْبَرِّيرِ وَمَجَمِعِ مَجَمِعِ الْعَرَبِ. وَهِيَ إِحْدَى دَوَائِرِ الْمَعَارِفِ الْأَوْرُوَبِيَّةِ الَّتِي أَنْصَفَتِ الْحَقِيقَةَ فِي هَذَا الْمَجَالِ، كَمَا سَبَقَ أَنْ يَبْيَأَنَا. وَإِلَيْكُمُ النَّصْرُ مُنْقُولًا عَنِ الْفَرْنَسِيَّةِ.

«كَانَ - وَلِمَدَةِ زَمْنِيةٍ طَوِيلَةٍ - مِنَ الْأَنْاقَةِ مَعَارِضَةِ الْعَادَاتِ الْبَرِّيرِيَّةِ مَعَ الْعَرَبِيَّةِ بِالْمَغْرِبِ وَإِيْرَازِ التَّنَاقْضِ بَيْنِهِمَا. بَيْنَمَا حَقِيقَةُ التَّشَابِهِ بَيْنَ الْطَّرْفَيْنِ، تَبَدُّو أَكْثَرُ وَضُوحاً وَأَهْمَيْةً: فَالْتَّنَظِيمَاتُ الْإِجْتِمَاعِيَّةُ الْمُرْتَكَرَةُ عَلَى عَلَاقَاتِ الدَّمِ، حَقِيقَةُ كَانَتْ أَوْوَهَمَا، وَمَمَارِسَةُ أَعْمَالِ جَمَاعِيَّةِ جَبَرِيَّةٍ، وَاستِعْمَالِ مَخَازِنِ الْحَبَوبِ مُشْتَرِكَةٌ، تَوَجَّدُ عَمَلِيَاً عِنْدَ الْبَرِّيرِ كَمَا تَوَجَّدُ عِنْدَ الْعَرَبِ. حَتَّى مَا يَقَالُ عَنْهُ مِنْ تَقْدِيسِ الأَضْرَحةِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهَا مَحْصُورَةٌ لِدِي الْبَرِّيرِ. نَجَدَهَا عَامَةً فِي جَمِيعِ الْبَلَادِ الْإِسْلَامِيَّةِ»^(١).

لَقَدْ اسْتَعْمَلَ مُحَرِّرُو هَذِهِ الْمَادَةِ فِي الْمُوسَوِّعَةِ المُذَكُورَةِ عِبَارَةً "مِنَ الْأَنْاقَةِ" وَأَنَا أَرَى أَنَّ ذَلِكَ كَانَ يَتَمُّ بِتَوْجِيهٍ مُقْصُودٍ مِنْ طَرْفِ الدَّوَائِرِ الْإِسْتِعْمَارِيَّةِ، وَخَاصَّةً قَبْلِ اسْتِقْلَالِ الْجَزَائِرِ كَمَا يَبْيَأُنَا سَابِقاً.

^(١) Encyclopedie universalis، مجلد 3، ص 171.

الأصول العربية للبربرية:

من الغريب أن الباحثين الفرنسيين منظري الاستعمار، بذلوا جهوداً مضنية لمحاولة اكتشاف علاقة ما - ولو كانت ضئيلة - بين اللغة البربرية من جهة وبين اللغات الأوروبية القديمة من جهة أخرى، لكن جهودهم باعدت جميعها بالفشل الذريع. قارنوا البربرية بلغة الباسك، ولغة البرتون، وغيرها من اللغات الأوروبية القديمة، فلم يجدوا بينهما أي تشابه يذكر. ولكن التشابه الوحيد الذي وجد هو بين اللغات الجونشية (وهي لغات السكان الأصليين لجزر الكناري)، وبين البربرية. وهذه الحزر هي امتداد طبيعي جغرافي وبشرى لشواطئ الوطن العربي الغربية... وبعيدة كل البعد جغرافياً وبشرياً عن شواطئ أوروبا. والمؤكد أن سكان الكناري هم جزء من سكان المغرب العربي. وهذا هو الذي يفسر التشابه بين اللغة الكنارية القديمة وبين اللغة البربرية.

يقر الأستاذ العلامة "لانغر W. Langer" بأن اللغة العربية واللغة البربرية واللغات السامية تنحدر جميعاً من أصل واحد، يقول:

"وتتصل اللغة المصرية القديمة باللغات السامية ولغات البربر بـأصل واحد"^(١).

ويقدر "باسيه A.Basser" الباحث اللغوي الفرنسي «بأن عدد اللهجات البربرية خمسة آلاف لهجة»^(٢).

ويقر محررو مادة بربير في موسوعة "يونيفيرساليس Universalis" «بأن جميع اللهجات البربرية مطبوعة بطبع اللغة العربية»^(٣).

ومحررو الموسوعة المذكورة يرون أن اللغة البربرية ذات أصل حامي -

سامي فيقولون:

(١) موسوعة العالم، وليم لانغر، ج ١، ص ٤٥.

(٢) موسوعة يونيفرساليس، مجلد ٣، ص ١٧٢.

(٣) انمرجع السابق، ص ١٢١.

«أكثر طريق مؤكد إلى الحقيقة هو نسبة اللغة البربرية إلى أصول حامية - سامية التي تجمع في بوتقة واحدة البربرية، والمصرية القديمة، والكونية والسامية»⁽¹⁾.

وتورد الموسوعة المذكورة:

«بأن رولر المستشرق الألماني يذهب إلى الحد الذي يدخل فيه البربرية في اللغة السامية التي تعتبر العربية فرعاً منها: «ونلاحظ في البربرية كما نلاحظ باللغات السامية وجود الحروف الحلقية والعبارات الجزلة»⁽²⁾.

كما يقر محررو الموسوعة المذكورة - في معرض حديثهم عن آداب اللغات البربرية - «بأن آداب البربرية الهزيلة الشفوية البحتة تتكون من أساطير عن الحيوانات، وقصص خرافية، وأغانٍ تقليدية، أو مرتجلة، والواضح فيها كلها أنها مستمدّة من المشرق العربي»⁽³⁾.

ومن المؤرخين اللغويين من يرد البربرية إلى أصول فيئيقية مثل غوستاف لوبيون الذي يقول:

«إن لغة البربر العريقة في القديم، يحتمل أن تكون مشتقة من الفئيقية»⁽⁴⁾.
ومن الغريب أنه إذا حللت الأبجدية التي يستعملها الطوارق اكتشفنا الوجهة في رأي لوبيون هذا.. فالرأي السائد لدى الكثير من الباحثين أن الأبجدية التي يسميها الطوارق (التييفيانغ)، استعاروها من الأبجدية الفئيقية، ثم طرأ عليها مع الزمن الكثير من التبديل. ولقد قمت بتحليل - ساعدهني عليه الأستاذ ربيحي كمال، أستاذ اللغات القديمة في كلية آداب جامعة دمشق - فتوصلت إلى وجود تطابق بين كثير من حروف أبجدية الطارقية (التييفيانغ) من جهة، وبين حروف العديد من اللغات السامية من جهة ثانية، وإلى القراء الكرام هذه النتائج:

(1) المرجع السابق، ص 172.

(2) المرجع السابق، ج 17، ص 172 - 173.

(3) المرجع السابق، ص 170.

(4) حضارة العرب: غوستاف لوبيون، ترجمة عادل زعبي - الطبعة الثانية، ص 307.

- الألف بالتفيناغ، مثل الألف بالخط السرياني واليعقوبي والعربي والحميري (الخط العربي باليمن القديم).
- الجيم بالتفيناغ يشبه حرف الجيم في الخط الفينيقي والأرامي.
- الدال بالتفيناغ، يشبه الدال بالعربية.
- الراي بالتفيناغ، يشبه الخط المسند الحميري والأرامي.
- الياء بالتفيناغ يشبه الفينيقي والأرامي والأنباري.
- النون بالتفيناغ يشبه النبطي السرياني والصفوي واللحياني (وكلها لغات سامية قديمة).
- السين بالتفيناغ يشبه الفينيقي.
- القاف بالتفيناغ يشبه الأرامي القديم والفينيقي والنبطي السرياني والشمودي واللحياني (وكلها لغات سامية قديمة).
- الشين بالتفيناغ يشبه المصري القديم والفينيقي والحميري والأرامي القديم والصفوي والشمودي واللحياني والحميري والحبشي والعربي والكنعاني والمعربى.
- التاء بالتفيناغ يشبه الفينيقي والحميري والأرامي القديم والصفوي والشمودي واللحياني.
- الطاء بالتفيناغ يشبه الصفوي والشمودي.

حروف التيفيناغ: الحروف البربرية المستعملة لدى الطوارق^(١)

الحرف العربي	الحرف البربرى	التفسير
أ	ا	يشبه السرياني واليعقوبي والحميري
ب	B	يشبه اليوناني القديم
ج	ا	يشبه الفارسي القديم والفينيقي والأرامي
د	D	يشبه العربي إلى حد ما
ز	I	يشبه المسند الحميري والأرامي واليوناني القديم إلى حد ما
ي	Z	يشبه الفينيقي والأرامي واليوناني القديم والأنباري والكندي والنبطي
ك	ئ	يشبه النبطي إلى حد ما
ل	ئ	يشبه الحميري أو الأنباري
م	ئ	يشبه المسند الحميري
ن	و	يشبه النبطي والسرياني والصفوي والتحياني
س	ز	يشبه اليوناني القديم والفينيقي
ق	و	يشبه الأرامي القديم والفينيقي والنبطي والسرياني والشمودي والتحياني
ش	W	يشبه لمصري القديم والفينيقي والحميري والأرامي القديم والصفوي الشعوذى والتحياني والحبشى والكتعنانى
ت	X	يشبه الفينيقي والحميري والأرامي القديم والصفوي الشمودي والتحياني.
ط	ئ	يشبه الصفوي والشمودي.

(١) أعد هذا الجدول الدكتور ربحي كمال، أستاذ اللغات القديمة في جامعة دمشق، وذلك عام ١٩٧٥، ويلاحظ أن بعض عشائر الطوارق تستعمل هذه الحروف بطرق معذيرة.

إذن فأكثر من نصف حروف أبجدية "التيفيناغ" التي يستعملها الطوارق متطابقة مع حروف أبجديات اللغات السامية القديمة. وكما يلاحظ القارئ فإن هذا التطابق جاء في معظم الحالات مع عدة لغات سامية قديمة.

ومما يؤكد رأي القائل بأن أبجدية (التيفيناغ) مستمدّة من الأبجدية الفينيقية ما يراه العلامة الدكتور رشيد الناضوري أستاذ التاريخ القديم في جامعة الاسكندرية. فهو يقول في كتابه (المغرب الكبير) ما يلي:

«فقد بدأ البربر في تسجيل لهجاتهم في القرن الثاني قبل الميلاد، متاثرين باللغة البوئية الفينيقية الأصل، والتي نجح الفينيقيون في التوصل إلى اختراع خطها لأول مرة في حياة الإنسانية بصورة هجائية»⁽¹⁾.

يلاحظ أن الكنعانيين الذين هاجروا إلى المغرب العربي سبقو الفينيقين في اكتشاف الكتابة.

بل إن الأستاذ (بات Orie Bates) الباحث اللغوي الانكليزي .. يفرد فصلاً كاملاً في كتابه عن التشابه بين حروف (التيفيناغ) -أبجدية الطرقة- وبين الأبجدية الفينيقية ويتوصل إلى أن أصل أبجدية الطوارق فينيقي، كما يدخل الأبجديتين في إطار واحد، وهو إطار (الحرف المسماري)، الذي تنحدر منه الأبجدية العربية والكتابة السامية القديمة⁽²⁾.

وهذا المستشرق الألماني المشهور (روسلر O. Rossler) يثبت في أبحاثه بما لا يترك أي مجال للشك: «أن اللغة التوميدية لغة سامية، انفصلت عن اللغة السامية في الشرق في مرحلة مغرة في القدم، ثم تطورت بعد ذلك في اتجاه خاص جعلها تبدو مختلفة عن باقي اللغة السامية». كما استطاع روسلر أن يعبر كثيراً من الجوانب الصوتية والصرفية والمعجمية في اللغة التوميدية القديمة، تغيرات حدثت بعد انفصالها عن الأصل القديم المشترك. وقد أوضح روسلر اشتراك كثير من الكلمات التوميدية على أساس المقارنة باللغات السامية في المشرق⁽³⁾.

(1) المغرب الكبير، ج ٢، ص 225.

(2) Orie Bates: The eastern libyans. London. First edition 1914 - New edition 1970.

(3) Dallet: Dictionnaire de la langue Kabyle, Paris 1982.

السمات المشتركة بين البربرية والערבية:

سبق أن عرضنا آراء اللغويين بما فيهم بعض الأروبيين، الذين رأوا أن جميع اللهجات البربرية، مطبوعة بالطابع العربي. والحقيقة أن هذا الطابع العربي لم يشمل فقط المفردات اللغوية، وإنما شمل التركيب اللغوي، والقواعد النحوية والصرفية أيضاً والاشتقاقية. وأعرض للقراء الكرام بعض ما توصلت إليه - بقليل من الجهد - من التشابه بين اللغتين البربرية والعربوية.

بناء التأنيث:

تمتاز العربية من بين جميع لغات العالم -بناء التأنيث تمييزاً للمؤنث عن المذكر- لكن البربرية تستعمل الثاء بدل الثاء، وهو حرفاً لا متقاربان فقط وإنما ينوب كل واحد عن الآخر في كثير من اللهجات نفسها، مثل:
أمغار: العجوز - أمغارث: العجوزة.
كما أن البربرية تشترك مع العربية في جمع المؤنث السالم أيضاً. مثل:
الخلاث: النساء.

استعمال النون للربط:

تمتاز العربية باستعمال النون للربط بين وحدتين صرفيتين مثل نون الوقاية وستعمل بالبربرية أيضاً النون للربط مثل:
- القش نتموطث: ملابس المرأة.
- القش نور كاز: ملابس الرجل.

الضمائر المتصلة:

تشترك البربرية مع العربية أيضاً في الضمائر المتصلة أيضاً. مثل:
- الخلاث اطْسَئُ: النساء نمن.
- نَشْن اطْسَعْ: أنا نمت.

- نتاث هطّسْ: هي نامت.

ومن الغريب أن البربرية تشتراك مع العربية في عدم ذكر ضمير متصل مؤنث لل فعل الماضي، وإنما تكتفي مثل العربية بعلامة التأنيث وهذه العلامة هي الهاء في أول الفعل. والهاء كالثاء أو من أسرة واحدة لها تستعمل للمؤنث.

المستقفات التي تبدأ بالمية:

ومن بين العناصر التي تشتراك فيها البربرية مع العربية بعض المستقفات التي تبدأ بالمية مثل اسم المكان مثلاً، مثل:

- تامر دومث: المكان الذي يعد فيه الفحم الخشبي.

والثاء هنا لتعريف المؤنث. وقد أشار إلى الكثير من هذه الصفات المشتركة في البنية اللغوية بين البربرية والعربية، العالم اللغوي الأمريكي (غرينبرغ Greenberg) في كتابه "لغات إفريقيا" (1).

حروف أئية وهمزة الوصل:

مما يؤكّد أصالة اللغة البربرية في جذورها العربية اشتراكاتها مع العربية في استعمال حروف أئية المعروفة بالعربية، وهمزة الوصل.

- اخسا أيطس: يريد أن ينام (الياء في أول الفعل).

- يا الله انطس: هي ننام (النون بأول الفعل).

- اخسا انتس: ت يريد أن تنام (الثاء بأول الفعل).

- اخسا أضطسخ: أريد أن أنام (الهمزة بأول الفعل).

يلاحظ إضافة همزة الوصل بالبربرية حتى بالفعل. ويلاحظ أن البربرية مثل العربية يبدأ فيها فعل الأمر المسكن الحرف الأول الأصلي عنه بهمزة. مثال بالبربرية:

(1) J.H. Greenberg: Languages of Africa (Indiana university 1966), pp 42, 46, 48, 65.

- إِكْرَ: قم - أَطْسَ: نم بالعربية، أسو: إشرب، أما فعل الأمر المتحرك للحرف الأصلي فلا يبدأ بهمزة مثل: قم: قم - روح: اذهب ... الخ.

المفردات اللغوية:

يكاد الباحث إذا تعمق في التقصي يجد لكل كلمة ببربرية أصلها في العربية. ومن الغريب أن هذه الأصالة العربية في المفردات البربرية، ليست متأتية فقط على أساس النقل، نتيجة للاحتكاك مع العربية، مثل ما هو بالفارسية أو التركية أو الأردية مثلاً، وإنما جاءت هذه الأصالة أمراً فريداً من نوعه. الاحظ أن الكلمات العربية التي يضمها قاموس اللغة الفارسية بنسبة تفوق النصف - دخلت هذا القاموس عن طريق النقل المباشر، أما بالنسبة للكلمات البربرية ذات الأصل العربي، فهي وجدت لا بالنقل وإنما بالاستعمال الأصيل، أي أن هذه الكلمات وجدت بالبربرية منذ وجدت البربرية بالوجود.

ويرى عالم اللغات السامية الأوروبي أولناري، بأن انتشار اللغة السامية مع الهجرات، قد نجم عنه نشأة لهجات متعددة وفقاً للأقاليم يقول:

«ويدلنا التاريخ على أن انتشار اللغات السامية مرتبط بهجرات الساميين المتتابعة من جزيرة العرب إلى بلاد ما بين النهرين، وأرض كنعان، وسوريا، والحبشة، وشمال إفريقيا. أما تكوين اللغات واللهجات المختلفة فيرجع العامل المهم فيه إلى أن كلاً من اللغات السامية خارج الجزيرة العربية، كانت تحت تأثير التداول بين خليط من السكان غير الساميين، مما أدى إلى حدوث تغيرات لفظية وتعديلات لغوية، فضلاً عن إهمال القواعد النحوية، كل ذلك أدخل عدّة إضافات على مفردات اللغة»⁽¹⁾.

وبعبارة أكثر وضوحاً فإنني صرت متقييناً أن اللغة البربرية ما هي إلا إحدى اللهجات العربية القديمة، التي تفرعت عن اللغة العربية الأم، التي يعتبر مهدها

(1) أولناري: قواعد المقارنة للغات السامية (تقلا عن كتاب الدكتور أحمد سوسة: الحضارة العربية ومراحل تطورها عبر العصور، ص 106).

الجزيرة، ثم إن القبائل التي تكلمت اللهجة (البربرية)، انتقلت جميعها بلغتها إلى شمال إفريقيا. ومهما يؤكد ذلك وجود بعض القبائل بجنوب اليمن لازالت تتكلم لغة شبيهة بالبربرية حتى الآن.

إنني متنزع أن البربرية ليست لغة سامية قديمة فقط، بل هي إحدى اللهجات العربية الضاربة في القدم، وسأضرب أمثلة على ذلك، مثال:

- تامطوث: المرأة. لا يتطرق لذهن أي ناطق لها أن لها علاقة بالعربية، لكن إذا تعمقنا في البحث وجدنا أن أصلها عربي ومعناها (الكائن الذي يحيض.. والظمث في العربية معناها: الحيض، أما عن سبق الميم للطاء في التسمية البربرية، فأمر يحدث في جميع اللغات. يقال: المرأة الطامث (بالعربية).

- آركاز: الرجل. وهي مثل اختها تامطوث، عربية ومعناها: رکز شيئاً في شيء أقره وأثبته، والرجل هو ركيزة البيت.

- آخنفو: الأنف. وهي عربية أيضاً ومعناها: حنكَ يخفُّ خنوفاً، أي شمخ بأنفه من الكبير أي التكبر. ومن الغريب أن كلمة (آخنفو) بالبربرية في استعمالها بمعنى الأنفة أقرب إلى العربية من الكلمة الأنفة نفسها..

- آمورث: الأرض البربرية، وهي عربية أيضاً (والمرأة في العربية هي الأرض التي أصابها مطر خفيف).

هذه الأمثلة تدل على أن البربرية ما هي إلا إحدى اللهجات العربية القديمة جداً التي اندثرت من الجزيرة العربية. والتي بقيت حتى الآن مستعملة بشمال إفريقيا، نقلتها القبائل العربية القادمة -مثلما بينا في هذه الدراسة- من المشرق العربي في هجرات تعود إلى آلاف السنين. أنا أرى أن تسمية أطلقت على المرأة بالعربية القديمة اعتمدت على أمر محسوس وهو الحيض، ثم تطورت فيما بعد إلى كلمة (المرأة) بل إن تسمية (تامطوث) أقرب إلى دقة التمييز من كلمة المرأة.

ولا يمكن لقائل أن يدعى أن هذه الكلمات الأربع استعارتها البربرية من العربية بالنقل، لأن البربر عرّفوا المرأة وعرفوا الرجل وعرفوا الأنف وعرفوا الأرض قبل الهجرة الإسلامية.

أمر آخر أن البربر يستعملون الأنف في معاني الأنفة والعزة. ومثلما أوضحت، فإن تسمية آخنفو夫 التي يستعملها البربر -في معاني الأنفة-، أقرب إلى معاني الأنفة في العربية نفسها من كلمة "الأنفة".

أجزاء الخيمة:

ثبت المؤرخون أن البربر عرّفوا الخيمة قبل الهجرة الإسلامية، ومن غير شك فقد أحضرها معهم أجدادهم المهاجرون لل المغرب قبل الفتح الإسلامي بكثير، وتدل على ذلك أسماء الخيمة ذات الأصالة العربية، لا النقل من العربية (لنكن واضحين في هذا المجال).

وإذا استعرضنا مثلاً أجزاء الخيمة وجدناها في معظمها عربية ذات أصالة لا تقل عن الكلمات العربية مثل:

- **أقْنطاس**: وهي الخشبة المتينة التي تدخل في ثقبها الركيزان اللتان تقام عليهما الخيمة الرئيسية. وهي مستمدّة من الكلمة عربية وهي: القنس: ومعناها بالعربية أعلى الرأس، والقنس أيضاً رأس الخيمة.

- **إيجاد حَنْ**: الوتد بالبربرية وهي مستمدّة من الكلمة عربية أيضاً وهي (**الجُدْ جُدْ**) ومعناها الأرض الصلبة أو من الكلمة المجدح: وهي خشبة في رأسها خشباتان يساط بها الشراب، وقلب حرف الحاء حينما في الاستعمال البربرى.

- **آخام**: معناها بالبربرية الخيمة.

أجزاء المحراث:

- **آمحرات**: المحراث.

- إِيْكَرَزْ: يحرث، وتبدو للوهلة الأولى غير عربية، والحقيقة أنها عربية بالأصل لا بالنقل، وهي مستمدّة من الفعل العربي كرز يكرز كُروزاً: أدخل واستخفى في غار أو حفرة، والحرث هو غرس المحراث في الأرض.
- إِقْرَسْة: سن المحراث المعدني الذي يشق الأرض. وهي عربية بالأصل أيضاً مستمدّة من الكلمة العربية القرْسُ: ومعناها الجامد من كل شيء، وسن المحراث من معدن الحديد الجامد الصلب.

ملابس المرأة:

- المِرْفَع: قطعة من الفضة معقوفة تحمل القرطين أو الأقراط وتشبك في المناديل التي تلف الرأس وهي من رفع.
- اخْلَالَتْ: الخلالة - وهي عربية لا تحتاج لشرح.
- اسْوَرِيَثْ: القميص، نسبة إلى سورية مصدر القماش في العهود القديمة.
- اِيمَلْحَفْتْ: من لحاف وهي عربية.
- آزَلَوْمْ: معناها الحزام. وتبدو أيضاً لأول وهلة غريبة عن العربية، والحقيقة أنها كلمة عربية بالأصل لا بالنقل. ففي العربية: فعل زَلَمَ الرَّحْى إذا أدارها وأخذ من حروفها.
- آخْلَخَالْ: الخالخال.
- الْخَوَانِيْمْ: الخواتم.
- الشُّرُوكْ: العقد (من نصب له الشراك).
- اَدَمَاغْتْ: قطعة من القماش الخشن توضع على الرأس لتحول دون تلوث المناديل بالزيت المغمس فيه الشعر، وهي من الدماغ. عربية كما نرى.
- العَقْصَثْ: وهي عربية من العقادص.

حظيرة الأغنام:

إذا استعرضنا تسميات الأشياء لدى المربين للغنم البربر، وجدنا الكثير منها ذات أصل عربي بالأصالة لا بالنقل. (فأولي) معناها بالبربرية الغنم. وتبدو للوهلة الأولى بعيدة عن العربية، والحقيقة عكس ذلك، ونستطيع أن نسندها إلى أصلين عربيين:

- إلى الولي: وهو المصبع.. والشاة معروفة بطاعتها حتى يضرب المثل بها فيقال امرأة عاقلة هادئة ومطيعة كالشاة.
- إلى مصدر آخر وهو يقال في العربية: توالي الغنم عن الماعز تميزت عنها.
- هيئسي: الشاة - وتوجد بالعربية كلمة **الخِيْسِيُّ**: وهو الخباء الذي يصنع من الصوف. وهذا تسمية الكل بالجزء.
- إيزمر: الخروف - ولها أصل بالعربية، يقال زَمَرْ صوْفَه إذا قل. والخروف قصير الصوف طبعا.
- ايسِرْدَقْ: الرَّبِيقُ الذي يوضع حول رقبة الخروف. وأصل الكلمة العربي آت من: سرَدَقَ البيت جعل أعلاه وأسفله مشدودا كله. السُّرَادق: كل ما أحاط بشيء من حائط أو مضرب. ومعنى الكلمة بالبربرية هو الإحاطة برقبة الخروف.
- آذراس نُولُلي: معناها بالعربية جمع الغنم وربطها بالحبال ورؤوسها مقيدة بعضها ببعض لحلبها. ولها أصل أصيل لا منقول من العربية يقال: درَس البعير إذا راضه أو رَوَضَه.
- آغي: الحليب: يتبارد للوهلة الأولى أنها بعيدة عن العربية، والحقيقة غير ذلك. يوجد بالعربية فعل يقال: غويَ الرَّضِيعَ عَيْنَا إذا أكثر من الرضاع. ويتبين من هذه الكلمة أنها عربية بالأصالة وليس بالنقل. وهي في تصوري أكثر أصالة عربية من الكلمة الحليب. لأنها أي آغي مرتبطة بوظيفة يقوم بها الطفل

الرضيع إزاء ثدي أمه. أما كلمة الحليب فهي مرتبطة بوظيفة سحب الحليب من ضرع الحيوان. ومن غير شك فإن الإنسان في عهوده الأولى تعرف على الحليب من ثدي المرأة قبل تعرفه عليه من ضرع الحيوان.

الطعام:

- آغروم: الخبر؛ باليمن الآن معناها: نوع من الخبر.
- أمان: الماء وهي واضحة.
- اكسوم: اللحم. ذات أصل في العربية أي الجسم وينطق حتى الآن في اللهجة السورية الجسم (كسم) بالكاف.
- الْوَسِي: الزبدة. ولها أصل بالعربية بالأصلية لا بالنقل. اللواسة بالعربية معناها اللقمة وتستخرج الزبدة من اللبن المخض على شكل لقمات.
- نَتَشُّلُ الْلَّوْزَغُ: أنا جمعت؛ أصلها عربي آتية من اللُّوز؛ وهو المحنح.

الملابس للرجل:

- الكُركُ: وهو قطعة من جلد البقر أو الجمل تغاط بالجلد من الأمام والخلف وتتخذ نعلًا وخاصة ز من الثلج، ويمنع الانغراز والتزلق. وأصلها عربي من كلمة الكُركُ وهو رداء ذو فروة.
- أَقْلَمُونْثُ: معناها قلنوسوة وهي عربية كما يبدو محرفة قليلاً.
- أَقْشَابِيثُ: عباءة الرجل وهي ذات أصل عربي. يقال قشب الثوب قشابة كان جيداً نظيفاً.

بعض الأفعال والكلمات المتفرقة:

- يَطْسُ (نام): طَسَ الشيءَ في الماء إذا غطسه. والنوم فيه يعني الغطس في اللاإوعي.
- يَوْعَادُ (يُعِيدُ): وهي عربية واضحة.

- سوَسْم (اسكت): وهي عربية محرفة قليلا.
- هَرَط (نسج): من تهز الشيء: تحركه.
- يُدْعَسُ (دخل): دعس القصاب الشاة: أدخل يده بين جلدتها ولحمةها.
- يُكَذِّب (يُخاف): أكذب الشيء: احمر لونه من خجل أو فزع.
- يقيِّم (جلس): أقام يقيِّم.
- يَرْوَل (هرب): هَرَول.
- يَرَز (كسر): رَزَ فلانا: طعنه.
- يُوسِيد (جاء): أو سد في السير: أسرع.
- يَلْف (طلق): لفأت الزريح التراب عن الأرض: فرقته.
- يُلْغَظ (ساق الدابة): لغطوا أصواتاً مبهماً.
- يَنْزَال (يجري): الزول: الخفيف الحركة.
- يَكْرُز (قام): وَكَرَ الظبي: وشب.
- يَنْتَسِ (قال له): آنس الصوت: سمعه. آنس له: تستمع.
- هَيْل (تبكي): انهل الدموع انسكب.
- يَفْرَنْ (ينقى): فاررت: فتشت عن حاله وفتش عن حالها.
- يَتَبَرَّأ (يلعب): التَّرَ: الغلام الصغير.
- يَدْجَلَي (يُحلف): من جل جلاله. والحلف عادة يكون بالله.
- يَسْغَى (اشترى): سوَغَ الشيء: جعله مباحاً حلاً. تملَك الشيء.
- يَنْزَال (يجري): أزل: سار في مكان مجدب. أَزَّ، يَنْزَرُ: تحرك واضطراب.
- يَرَاضِ (ليس): راوِضه: داراه وخاتله حتى يدخل فيه.
- يَتَكَسْ (ينزع بخلع الملابس وغيرها). وكس الشيء: نقصه. وكس ماله: نقصه.
- هَذَلَكَ (تعجب): دَلَكَ السنبل حتى انفرك قشره عن حبه. ودَلَكَ الشيء: دعكه وعزله.

- يسناو (ينضج الخبر وغيرة): أنسى النار: رفع سنها.
- يسافوي (ينفع): سفت الريح التراب وغيرة: ذرته وحملته من مكانه.
- يزاط (يرحي): زاط: فعل جلة.
- يكتئي (يرفع): كن: ستر.
- يشُو (يشرب): يحسو الرجل المرق: يشربه جرعة جرعة.
- أمغار (العجوز): في الحديث النبوي الشريف: أن أعرابياً قدّم على النبي ﷺ فرأه مع أصحابه فقال أيكم ابن عبد المطلب. فقالوا: هو الأمغر المرتفق. أرادوا بالأمغر الأبيض الوجه (السان العرب) والشيب بياض.
- إيخف (الرأس): خفأ الشيء: ظهر. والرأس أبرز شيء في الإنسان.
- الشيفر (الجفن): شفر الجفن: حرفه.
- إغamas (الأسنان): الغمامسة: الطعنة النافذة في اللحم.
- أضاض (الأصبع): الدض: الأصل.
- ايشر (الأظفر): الأئرة: عقدة في رأس ذنب الجرادة.
- ايذرمان (الصدر): المذمر: الكاهل والعنق وما حوله إلى الذفرى وهو الصدر.
- آحبوطت (الصرة): حبط الجلد: ورم.
- آضار (القدم): الضرة من القدم ما يباشر الأرض عند الوطء من لحم باطنها مما يلي الإبهام. ومتها جاءت كلمة الضرة. تقول المرأة أنت ضرتي: أي أنت أسفل قدمي.
- أساكل (الفخذ): من السُّقل: الخاصرة. وسقلت اليد أو الرجل مالت.
- آفوذ (الركبة): الفود: الجانب. يقال نزلوا بين فودي الوادي.
- آسرذون (البلغ): البرذون: ضرب من الدواب يخالف الخيل العراب. وهو غليظ الأعضاء.

- الزَّمْل (الحصان): الزَّامل من الدواب الذي كأنه يضلع في سيره من نشاطه.
- العُوذَة (الفرس الأنثى): العود: المحسن من الإبل.
- آغِيول (الحمار): الغيل (جمع غيول) من الغلمان: العظيم السمين.
- ايكِرزيز (الأرنب): كرز إذا استخفى في حفرة، من صفات الأرنب.
- أفيغَر (الشعبان): فغر فاه فتحه، افعوان.
- أَعْجَمِي (العجل): العجماء: البهيمة.
- ايزِمر (الخروف): زمر إذا قصر صوفه.
- اللَّغْمُ (الجمل): اللُّغَام: زيد أفواه الإبل.
- أوشَن (الذئب): انشَرَ الذئب في الغنم عاث فيها قلاً.
- إِيغِيد (الجدي): الغيدان من الشباب أوله.
- آر (الأسد): الهر: الأسد يسمع صوت جريه إذا جرى.
- أمْثَنَه (المطر): مث السقاء: رشح.
- أقْرِبُوش (هيكل السرج): القربوس: حنو السرج.
- أَقْلِزِيم (الفأس): قلنzer الجراد قلنرا: رز ذنبه في الأرض.
- أبوزَعْسُ (الجرادة): البرغش: حشرة.
- أولِمان (الخيوط الأفقية للمنسج): الولم: حزام الرجل، وحزام السرج.
- لقَ (الآن) ها الوقت: هلق معناها الآن في اللهجة السورية.
- أبوظَقَاعُ الشيءِ: البوظ: البوقة: الوعاء الذي يذاب فيه المعدن.
- أَكْسُوم (اللحم): الكسم.
- يعَرم (كثيراً): العرام من الجيش: كثورته.
- آزْكِرَار (طويل): زكر الإناء: ملأه.

- يورزمير (مريض): استزمروت: تقبض وتنضاءل.
- اكس (انزع): وكس فلانا: وبخه. وكس الشيء: نقص.
- آبريد (الطريق): البريد: المسافة بين كل متنزعين من منازل الطريق.
- آزمالت (العمامة): منحدرة من زمله، أي لفه بلحاف.
- النازيث (الهضبة القليلة الارتفاع): يقال أكمة نازية أي مرتفعة عما حولها.
- أمقران (الكبير): يقال أقرن فلان إذا جاء بأسيرين من شدة قوته وبأسه.
- والناقة القردون هي الناقة القوية التي تملأ إثناءين في حلبة واحدة، ومقرن بالجزيرة العربية اسم لمرجل.
- أفالوا (الخطيط): الفائل: عرق في الفخذ.

لقد تعمدت أن أسوق الكلمات التي لا يمكن أن يقال أنها حديثة عرفها البربر بعد دخول العرب مع الفتح الإسلامي بعد التطور الحضاري الذي حدث في القرون الوسطى مع انتشار الحضارة الإسلامية، فالكلمات التي سقتها عرف البربر مسمياتها قبل الفتح الإسلامي، أما الكلمات الأخرى التي يمكن أن يقال عنها حدديثة فقد عرفها البربر مع التطور الحضاري على يد العرب المسلمين، وهي عربية بوضوح وبالنقل. بل إن كثيراً من العبارات ينطقها البربر بكلمات عربية كاملة مثل الجملة التعجبية: (آبابا حنيني ما أكبر إيخنس) وهي مفهومية للقارئ العربي، ماعدا كلمة إيحف، أي الرأس بالبربرية وهي عربية أيضاً كما بيتبنا، وقد استعمل فعل التفضيل (ما أكبر)، رغم أن الكلمة التي تدل على الكبير في البربرية هي (أمقران). وكلمة أمقران نفسها من أصل عربي.

لقد استعرضت آخر قاموس قبائلي صدر بالجزائر سنة 1995، فوجدت جمل كلاماته عربية من هذا النوع، أي بالأصل لا بالنقل. فحرف العين مثلاً في

هذا القاموس ضم 130 كلمة، 115 منها عربية، والأخرى بين كلمات من الدارجة الجزائرية، وكلمات مأخوذة عن اللغة الفرنسية⁽¹⁾.

ويقول الأستاذ مختار السوسي عن لهجة الشلحة بال المغرب: «إن أول ما يبادر للباحث في الشلحة عندما يقابلها بالعربية أشياء، منها: أنه يجد مخارج الحروف متساوية في اللغتين، حتى حرف الصاد فإنه ينطبق به عند الشلحين، كما ينطق به عند العرب سواء»⁽²⁾.

(1) ملجم اللغة الأمازيغية: نعيم الدين تاقمونت، الجزائر (وحدة الرغالية) 1995.

(2) محمد المختار العربي: التبرير عرب قذافي، ص 168 - الرباط 1993.

البعدان: الوطني والقومي

للتقاليد الجزائرية

إذا استعرضنا تاريخ الجزائر خلال المرحلة الاستعمارية، وجدنا أن الاستعمار الفرنسي عمل طوال وجوده على تدمير الثقافة القومية بالبلاد. وحقق نجاحات لم يتمكن من تحقيقها في ميادين أخرى. لأن الاستعمار عمل على تدمير الثقافة بواسطة النفس الطويل المخطط له سلفاً، ومن طرف أكبر العقول الاستراتيجية، التي كانت تفكّر للاستعمار الفرنسي بالجزائر. وذلك بإفراز الشخصية الجزائرية من مضمونها الوطنية والقومية، وإحلال مقومات الشخصية الفرنسية في الفراغ الثقافي الذي يوجدونه في الذات الجزائرية.

وقد استطاع المجتمع الجزائري، بواسطة أحزابه ومنظمهاته الوطنية التصدّي للمسألة السياسية، وللمسألة الاقتصادية، وللمسألة اللغوية، لأنها مسائل واضحة منظورة، لكن هذه الأحزاب عجزت عن مواجهة الخطة الاستعمارية الثقافية، لاحتواها مضمون خافيّة عن العين المجردة. وقبل أن أدخل في تفاصيل الموضوع، لابد أن نطرح على أنفسنا السؤال التالي:

من نحن؟

نحن عرب، نقيم في جزء لا يتجزأ من وطن كبير اسمه الوطن العربي. نحن أفراد في شعب اسمه الشعب الجزائري، الذي هو جزء لا يتجزأ من أمّة هي الأمة العربية، تعمل الإمبريالية الدولية الآن ومنذ أكثر من قرن على نهب خيراتها، وتستعمل أقوى سلاح ضدها وهو تجزئتها، مع إصرارها (إي إصرار القوى الإمبريالية) على الحفاظ على هذه التجزئة وتكريسها، ضماناً لنهب الخيرات العربية، المتمثلة في البترول العربي، والبترودولارات العربية.

وأنا لا أتصور ثقافة جزائرية إذا لم يكن لها بعد قومي، أي عربي. ودون أن ترتكز على القيم الإسلامية. وقبل التطرق إلى التفاصيل، أود أن أشير إلى:

أولاً: أن الفرنسيين عملوا طوال 132 سنة على تدمير البعد العربي للشخصية الجزائرية، واستعملوا عدة أساليب، وخاصة النفسية منها. فأطلقوا شعاري (Bicot. travail arabe) بيكو. عمل عربي، (sale arabe) العربي القدر. هادفين من وراء ذلك إلى جعل الجزائري يحتقر أصله العربي، واستطاعوا تجميغ رواسب معادية للانتماء العربي الجزائري، بين نسبة كبيرة من سكان المدن.

ثانياً: أن الجزائر ديفول عندما تولى الحكم في 1958، اقتنع بفضل فراسته وثقافته التاريخية الواسعة، أن استقلال الجزائر آت لا محالة، لأن ثورة أول نوفمبر ومن ورائها تصميم الشعب الجزائري يريدان ذلك. فعمل على تأجيل استقلال الجزائر قدر الإمكان، ولو على حساب الخسائر البشرية العالية، واقتصاد فرنسا وسمعتها. لكي يضمنبقاء الجزائر بعد 1962 تدور في فلك الفرنكوفونية. وذلك بإيقائتها خارج الإطار العربي. وبدون إيقائتها خارج إطار الانتماء العربي، فإن مخطط الفرنكوفونية بالجزائر المستقلة سيكتب له الفشل. إن أخطر ما ورثناه عن العهد الاستعماري هو تشويه المفاهيم، تشويهاً يتناقض مع التاريخ ومع المنطق ومع العلم.

فالصفتان "وطنية" بمعناها الإقليمي، و"قومية" بالمعنى العربي الواسع. توجدان بقاموس "اللغة العربية"، بينما لا توجد بالفرنسية إلا الكلمة "وطنية" (Nationalisme). وهذا هو الذي جعل مفكري المغرب العربي وخاصة مفكري الجزائر، المتكونين بالفرنسية، الذين يسيطرون على مفاتيح المراكز الأساسية في الدولة الجزائرية، بما فيها المؤسسات الثقافية والإعلامية، لا يؤمنون بالمفهوم القومي. وقد رأيت أن أقدم عرضاً عن مفهوم الأمة والشعب من الوجهة التاريخية عبر موقف الإسلام، وتحديد القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف لهذا المفهوم. وعبر الفلسفات القومية في القرون الثلاثة الماضية بأروبا، وعبر التحليل الماركسي.

تعريف الإسلام للأمة والشعب:

لا يقر لا القرآن الكريم ولا الحديث النبوى الشريف وجود أمم إسلامية متعددة. وإنما يصر الإسلام على وجود شعوب ضمن أمة واحدة. تقول الآية الكريمة: «وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُورًا وَّقَبَائِلَ لِتَعْارِفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَّقَمُكُمْ». كما ورد في آية كريمة أخرى: «كُنْتُمْ خَيْرَ أَمَّةٍ أَخْرَجْتُ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمُعْرُوفِ وَنَهَيُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ». وفي آية ثالثة: «وَمَنْ ذَرَّنَا أَمَّةً مُسْلِمَةً لَكُمْ». وقد ورد ذكر أمة بمعنى الجماعة من الشعوب في أربع وأربعين آية⁽¹⁾. كما ورد في الحديث النبوى الشريف: «لَا تَفْقُئُ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالِهِ» ولم يقل صلوات الله عليه وسلم «أممى». إذن فانطلاقاً من التفسير الإسلامي لمفهوم الأمة، وبناءً على نصوص القرآن الكريم والحديث الشريف، فإن التعدد في الشعوب لا في الأمم، سواء في الإطار العربي أو في الإطار الإسلامي، وأن وصف الشعب الجزائري بالأمة الجزائرية، يعتبر مخالفة للإسلام ولنصوصه. وهذا هو الذي جعل أنظمة المشرق العربي مع ليبيا، تجمع كلها على عدم وصف شعوب أقطارها بالأمم. ابتداءً من السعودية وحتى ليبيا.

تعريفات أوروبية للأمة:

سوف أتعرض في هذه الدراسة إلى تعريفات الأمة التي كانت متداولة بين المنظرين إلى ثلاثة مجموعات: مجموعة المنظرين الوحدويين الأوروبيين، ومجموعة المنظرين الفرنسيين، ومجموعة الماركسيين الأوروبيين.

فمجموعة المنظرين الوحدويين الأوروبيين، أي المنظرون المستمدون إلى أمم أوروبية كانت تعاني من داء التجزئة، ولم تكن لها ممارسات استعمارية بالمفهوم

(1) معجم ألفاظ القرآن الكريم - مجمع اللغة العربية بمصر - ط 2، القاهرة 1970، ج 1، ص 54. ج 4، ص 25

الكلاسيكي للاستعمار آنذاك. وهي تشبه في تاريخها، الواقع التجزئي للأمة العربية في مراحلتها الراهنة.

وقد عبر عن هذه النظرية، أي نظرية الأمة، الكاتب الإيطالي "ماتسیني G. Mazzini" حيث قال في تعريفه للأمة سنة 1851 عندما كانت إيطاليا مجزأة إلى دولات: «الأمة مجتمع طبيعي من البشر يرتبط بعضها ببعض بوحدة الأرض، والعادات، واللغة، من جراء الاشتراك في العادات وفي الشعور الاجتماعي».

وكان في مفهوم "ماتسیني G. Mazzini" والمدرسة الإيطالية، أن وحدة الأرض لا تعني وحدة الدولة. في مفهومه أن جميع الدول الإيطالية في عصره تمثل أمة واحدة. وإن كانت تفصل بين أجزائها حدود دولية. وقد عرف الأمة مفكرون آخرون إيطاليون قوميون تعريفات مشابهة لتعريف "ماتسیني G. Mazzini" مثل "آرغيلو" و"غاريبالدي V. Garibaldi" و"كافور C.B. Cavour". كما عرّف "فخته J.G. Fichte" المفكر الألماني الأمة سنة 1808، في وقت كانت فيه الأمة الألمانية مجزأة إلى مائتين وأربعين (240) دولة. عرّف الأمة بما يلي: «الأمة الألمانية تتكون من جميع الذين يتكلمون الألمانية».

أما النظرية الثانية، فهي النظرية الفرنسية التي تبلورت في القرن التاسع عشر الميلادي. وهي مطبوعة بالطابع الاستعماري. لأن المنظرين الفرنسيين عندما صاغوها، راعوا في أذهانهم المصالح الاستعمارية للأمة الفرنسية، التي لم تكن تعاني من التجزئة مثلما كانت تعاني الأمة الألمانية والأمة الإيطالية. ويعتبر المفكر الفرنسي الاستعماري "رينان Renan" أباً للنظرية الفرنسية في تعريف الأمة، يقول: «إن أس الأساس في تكوين الأمة هي الإدارة، أي الدولة»، "فرينان" ينفي صفة الأمة عن الشعوب المستعمرة لأنها لا تملك دولاً مستقلة؛ ومن غير شك فإن الذين يشترطون صفة الدولة المركزية الموحدة في تعريف الأمة من المفكرين

متأثرين بالنظرية الفرن西سية، حتى ولو كانوا من اليساريين. "فموريس طوريز M. Thorez" زعيم الحزب الشيوعي الفرنسي الأسبق، عرف سنة 1939 الأمة "Thorez" عندما ن تعرض لمفهوم الأمة لدى الماركسيين. وقد انتقد حتى بعض المفكريين الفرنسيين "رينان". وسأتأتي على تفاصيل تعريف "طوريز" في كتابه "مبدأ القوميات" الذي صدر سنة 1916، انتقد انتقاداً موانئطية "رينان" في شرط الدولة القومية، كعنصر أساسي في تعريف الأمة.

مفهوم الأمة لدى الماركسيين

لقد وقف "ماركس" K. Marx و"إنجلز" F. Engels موقفاً مؤيداً من حركة توحيد الأمة الألمانية، لأن "ماركس"، وإن كان مفكراً أممياً، لم يتخلى عن قوميته الألمانية فائيد وحدة أمتة، رغم أنه كان مقتنعاً أن ألمانيا الموحدة ستكون تحت سلطة دولة مركبة: بورجوازية. وعندما أعلن "بسمارك" O. Bismark عن حركته الموحدة لألمانيا، تلقى التأييد المطلق من "ماركس" و"إنجلز" اللذين تعرضاً لانتقاد مثير من بعض اليساريين الأوروبيين في ذلك الوقت، مثل الباكونيين والبرودونيين، والفووضويين.

أما "لينين" V. Lenin فقد أيد مفهوم الأمة المناضلة ضد الاستعمار ومن أجل وحدتها. ورفع شعار "الشرق الثوري والقومي، ضد الغرب الإمبريالي والمعادي للثورة".

ثم جاء "ستالين" J. Staline فأعطى قبل الحرب العالمية الأولى، تعريفاً أوسع للأمة. ورد بذلك على الماركسيين الذين كانوا يتحفظون على مفهوم الأمة، بسبب ما عانه الإنسانية من التزعزعات القومية الفاشية في أروبا، في مقال بعنوان "القومية والاشتراكية الديمقراطية"، نشر سنة 1913 في مجلة الحزب البلشففي، كتب "ستالين" يقول:

«الأمة هي قبل كل شيء جماعة معينة من الأفراد، وهي ليست جماعة عرقية، ولا جماعة عشائرية. فالأمة الإيطالية الحالية تكونت من رومان، وجرمان، واترسك، وعرب... إلخ.

ويجب أن يقال الشيء نفسه عن الإنجليز، والألمان، وغيرهم من الأمم، المكونة من أناس يتسبون إلى عرق مختلف. الأمة جماعة من الناس تكونت تاريخياً».

إذن فقد نفى "ستالين" عن القومية وعن مفهوم الأمة صفة العرقية، وأكَّد بأنَّه لا توجد أمة بالعالم إلا ويكون تكوينها من عدة أجناس وعرق، وهذا ينطبق أيضاً على أمتنا العربية التي تكونت في مدى أكثر من أربعة عشر قرناً، من عدة أجناس وعرق وقبائل وعشائر.

اشترط "ستالين" أيضاً في تعريفه للأمة وحدة الأرض، وهذا ينطبق على وحدة العالم العربي الذي تعيش عليه شعوب الأمة العربية. يقول "ستالين" في نفس المقال السابق: «لكن لماذا إنجلترا والشمال الأمريكي لا يؤلفان أمة واحدة على الرغم من اللغة المشتركة؟ لأنهما لا يعيشان بجانب بعضهما البعض (ولم يقل "ستالين" لأنهما ليسا تحت دولة واحدة). ويتبيَّن من ذلك، أن وحدة الأرض تكون إحدى الخصائص المميزة للأمة».

وبالإضافة إلى اللغة، فإن "ستالين" يشترط شرطاً ثالثاً، وهو وحدة التكوين النفسي، أي التاريخ المشترك، فيقول: «ويبتَّئن من ذلك أن وحدة التكوين النفسي، التي تتجلِّي في وحدة الثقافة، تكون أيضاً إحدى الخصائص المميزة للأمة».

ويضيف "ستالين" شرطاً رابعاً لتكوين الأمة وهو الحياة الاقتصادية. وقد يسأل سائل معاد للوحدة العربية والأمة العربية. طالما لا توجد وحدة اقتصادية عربية، فلا توجد إذن أمة عربية. ونحن نقول بأنَّ هذا منطق غريب،

فوحدة الاقتصاد هدف ينالى العرب جمیعا من أجل تحقیقه، وعدم وجوده لا ینفي عنا وجودنا، وإنما أیدتنا النظریة الاستعماریة التي عملت ولا زالت تعمل على منع الوحدة الاقتصادیة العربیة من التحقیق، إبقاءً على تبعیة عدة أنظمة اقتصادیة لدولاب الاقتصاد الإمبریالي، والاستمرار في نهب البترول، والبترودولارات العربیة.

ویخلص "ستالین" من قوله السابق إلى تعريف الأمة بما یلي: «فالامة إذن هي جماعة مستقرة من البشر، تكونت تاريخيا من جراء وحدة اللغة، والأرض، والحياة الاقتصادية، ووحدة التكوين النفسي التي تتجلّى في وحدة الثقافة».

وعندما انتقد "میشكوف" و"کوفالنشوك" نظرية "ستالین" واشترطا إضافة شرط خامس لها وهو الدولة القومية المستقلة، ردّ عليهم "ستالین" في رسالة جوابية حملة تاريخ 18/03/1929 بما یلي: «ويتضح من رسائلکما أنكما تعتبران هذه النظرية (ويقصد نظریته) غير وافية لتحديد وتعريف الأمة، ولذلك تقرحان أن یضاف إلى العلائم الأربع المذکورة آنفا، علامة خامسة، وهي وجود دولة قومية مستقلة، وتزعمان أن الأمة لا توجد، ولا يمكن أن توجد ما لم توجد هذه العلامة الخامسة، إنني أعتقد أن النظرية التي تقرحانها لمفهوم الأمة مع علاقتها الخامسة خاطئة خطأ فاحشا، فلا يمكن تبريرها لا من الوجهة النظرية، ولا من الوجهة العملية أي السياسية».

وإذا استعرضنا آراء المفكرين السوفییت حول مفهوم القومیة العربیة في العصر الحديث لما وجدنا أفضل من قول "براماکوف": «ینبغي الإشارة إلى الاتجاهات المضادة للاندماج في أمة واحدة، هذه الاتجاهات التي تقويها أو تعمل لها الإقطاعیة والبورجوازیة»⁽¹⁾. وفي رأي "براماکوف": «أن أعداء الوحدة العربیة هم الإقطاعیون والبورجوازیون. إن أعداء الوحدة العربیة هم الإقطاعیون العرب».

(1) المارکسیة السوفیاتیة والقضايا العربیة، إلياس مرقص، ص 46.

أما عن رأي التقدميين العرب في وحدة شعوب الأمة العربية، والقومية العربية. فإن الذي يعبر عنهم عن جدار هو الأستاذ إلياس مرقص، حيث يقول: «إن النضال الوطني التحرري للعرب، لن يتصر تماماً (أي على الإمبريالية) بدون قيام الوحدة العربية. والثورة الاشتراكية العالمية لن تهزم الإمبريالية في العالم العربي بدون الوحدة العربية، وحركة التحرر الوطني لإفريقيا السوداء ستظل قاصرة وضعيفة ومتتكسة بدون الوحدة العربية»⁽¹⁾.

مفهوم الأمة الخاطئ:

يتفق كثير من اليساريين في المغرب العربي مع الكثير من المفكرين التحريريين، الذين لم يخرجوا عن إطار المفاهيم السياسية للأحزاب الوطنية قبل استقلال أقطار المغرب العربي. يتفقون حول تعريف الأمة، الذي يختلف عن تعريف مفكري المشرق العربي ولبيا. ولعل السبب في ذلك راجع إلى الستار الحديدي الذي فرضه الاستعمار الفرنسي على المغرب العربي طوال مائة واثنتين وثلاثين سنة. هذا الستار الحديدي الذي عزل المغرب العربي عزلاً يكاد يكون كاملاً عن بقية الأقطار العربية الأخرى.

ولعل سبب خطأ تفسير الأمة والقومية لدى مفكري المغرب العربي، ناجم عن تأثيرهم بالثقافة الفرنسية. فالمعروف أن النظرية الفرنسية في تعريف الأمة كما بحثت سابقاً، متأخرة عن النظرية الألمانية والنظرية الإيطالية. كذلك، فإن تعريف الشيوعيين الفرنسيين للأمة كان متأخراً أو متخلطاً عن تعريف الماركسيين غير الفرنسيين، والشيوعيين العرب سواء بالمغرب أو بالشرق كانوا يتبعون الحزب الشيوعي الفرنسي وحتى متصرف الخمسينيات، حيث تحرر الشيوعيون العرب بالشرق العربي من تأثير الحزب الشيوعي الفرنسي، بينما لازال الشيوعيون واليساريون بصفة عامة بالمغرب العربي، متاثرين بتعريف الشيوعيين الفرنسيين للأمة، قبل الحرب العالمية الثانية.

(1) المرجع السابق، ص 47.

في سنة 1939 وضع السيد (موريس طوريز) نظريته المسممة "نظرية الأمة الجزائرية" الآخذة مثلما قال: «في التكوّن على أساس تمازج واندماج البربر والعرب، والأتراك والمالطين، واليهود، والفرنسيين، والإسبان، والطليان،... إلخ. بمساعدة الجمهورية الفرنسية». ولم يوضح "طوريز" على أية لغة تقام هذه الأمة، لكن طالما أشار إلى عبارة بمساعدة الجمهورية الفرنسية، فإن اللغة التي كانت في ذهن السيد "طوريز" هي الفرنسية، كما أن حدود الأمة الجزائرية متداخلة مع حدود الجمهورية الفرنسية، أو "الوحدة الفرنسية وفقاً للاصطلاح السياسي السائد في ذلك الوقت».

وبطبيعة الحال، فإن السيد خالد بكداش كان آنذاك ينقل ما يصدر عن السيد "طوريز" وتفكيري الحزب الشيوعي الفرنسي نacula حرفياً، وخالد بكداش كان يشرف على جميع الأحزاب الشيوعية بالجناح الآسيوي للوطن العربي، فانتطلق ينادي: «بالعمل على تكوين الأمة السورية بمساعدة فرنسا الديمقراطية». لكن خالد بكداش زعيم الحزب الشيوعي السوري أحدث انقلاباً كاملاً في موقفه إزاء القضية، وإزاء نظرية "موريس طوريز"، فأعلن في سنة 1955: «أن الأمة العربية موجودة وتامة التكوين على أساس هذه المميزات نفسها، بما فيها التكامل الاقتصادي، وأن من ينكر هذه الحقيقة الساطعة كالشمس في رائعة النهار، فهو قومي سوري حقير، أو صهيوني أحقر»⁽¹⁾.

إذن فالشيوعيون بالشرق العربي قد غيروا موقفهم من قضية الأمة العربية، فصاروا يؤمنون بأن الأمة العربية تامة التكوين، في الوقت الذي لا زلنا نرى الكثير من اليساريين الجزائريين لازالوا يؤمنون بعدم وجود الأمة العربية، ووجود أمم عربية. والقليل منهم الذي آمن بوجود الأمة العربية، لازال يعتبرها غير تامة التكوين، مثل الأستاذ بوشامة مثلاً»⁽²⁾.

(1) المرجع السابق، ص 30.

(2) جريدة المجاهد اليومية، عدد 7 / 5 / 1976.

قصة وحدة الأمم الألمانية والإيطالية والبولونية:

لقد عانى الألمان والإيطاليون من داء التجزئة أكثر مما عانينا نحن العرب، لكنهم استطاعوا بفضل نضالهم تحقيق الوحدة. فالإمارة الألمانية كانت تضم 360 دولة في القرن السابع عشر. وفي القرن الثامن عشر تقلص هذا العدد إلى 248 دولة. وفي سنة 1815 تقلص عدد هذه الدول إلى 38 دولة. وفي سنة 1871 عندما جاء "بисмарك" ليوحد الأمة الألمانية، وجد عدد دولها 25 دولة، وهو رقم أعلى من رقم الدول العربية الآن.

ونفس مراحل التجزئة تقريباً، -مع تغير النسب- التي مرت على الأمة الألمانية، مرت على الأمة الإيطالية التي استطاعت أن تحقق وحدتها على يد "ماتشيني" و"غاريبالدي" وغيرها من قادة الوحدة الإيطالية العظام.

وفي القرن الثامن عشر، قسمت الأمة البولونية بين ثلاثة دول هي: بروسيا، وروسيا، والنمسا، وبقيت تحت التجزئة مدة قرن ونصف؛ لكن أبناء بولونيا ظلوا متماسkenين يناضلون من أجل وحدة أمتهم. إلى أن تحققت هذه الوحدة سنة 1918.

لامبر لنا كجزائريين أو تونسيين أو موريقانيين أو مغاربة أن نعمل على تكريس التجزئة وبقائها، وإنما ينبغي علينا أن نجعل من أهدافنا الاستراتيجية تحقيق الوحدة العربية، لأنه حتى الاشتراكية التي تنشأ في كل قطر عربي على حدة، سوف تكون ناقصة، وسوف لا تكتمل أو تنجز، إلا مع تحقيق الوحدة العربية، خاصة، ونحن نعيش في عصر التكتلات العظيمة والقوى الأعظم. عصر الوحدة الأوروبي، عصر التجمع الصيني، عصر التجمع الاقتصادي الأمريكي - الكندي - المكسيكي، والتجمع الياباني.

نستنتج مما سبق ما يلي:

أولاً: أن اعتبار الوطن العربي يضم أمماً متعددة منها الأمة الجزائرية. ليس له تبرير لا إسلامياً، ولا ماركسياً، ولا تاريخياً، بل ولا يتفق حتى مع التعريفات الأروبية غير الماركسيّة.

ويتفق فقط مع تعريف المدرسة الفرنسية، وخاصة المفكر الفرنسي الاستعماري "رينان".

ثانياً: إن الجزائر شعب جزء من الأمة العربية، وأن ثقافتها هي جزء لا يتجزأ من الثقافة العربية، بمضامينها الروحية الإسلامية طبعاً.

إن وصف الشعب الجزائري بأنه أمة جزائرية لا يقتضي العمل من أجل "الوحدة العربية" التي تعتبر سياسة ثابتة للدولة الجزائرية. ويتناقص هذا الوصف مع وجود "الأمة العربية". وليس من المعقول أبداً أن تدمج أمة في أمة لتكوناً أمة واحدة.

ثالثاً: إنه قبل 1962، كان لنا مبرر قوي في رفع شعار "الأمة الجزائرية" للرد على الفرنسيين. الذين كانوا ينكرُون علينا الهوية الجزائرية، المنفصلة عن الهوية الفرنسية، لكن بعد أن حصلت الجزائر وبلدان المغرب الثلاثة الأخرى على استقلالها، لم يبق لنا مبرر في استمرار رفع هذا الشعار، فتحن شعوب في إطار واحد هو إطار الأمة العربية.

رابعاً: شعار "الأمة العربية" لا يتناقض أبداً مع شعار "الأمة الإسلامية". فتحقيق الوحدة العربية هو مرحلة لتحقيق الوحدة الإسلامية.

الأصول العربية للثقافة الجزائرية:

كان البربر قبل تدمير قرطاج، يتكلمون اللغة البوئيقية، أي الفينيقية أو القرطاجية. وكانت هذه اللغة هي التي تسير بها دواوين وإدارات الممالك البربرية، بما فيها مملكة "ناسيله" نفسها التي كان على رأسها ماسينيسا. الأمر

الذى جعل المؤرخين الأروبيين مثل "غوستاف لوبيون"، يعتبرون أن اللغة البوئيقية (الفينيقية) هي المصدر الذى اشتقت منه اللغة البربرية⁽¹⁾.

بل إن المؤرخين يجمعون على أن التراث الفكرى والدينى والقرطاجي قد انتقل إلى البربر، واستمر حيا في الثقافة السائدة في المغرب وفي المجتمع البربرى. مما يؤكّد الأصل الواحد الذى ينحدر منه الفينيقيون والبربر. فالبربر ساميون، أي عرب قدماء. فقد استبدل المؤرخون المحدثون كلمة سامي - التي هي من صنع المستشرق النمساوي "شلوتز" Shlotzter في القرن الثامن عشر - بكلمة عربي، وعبارة "أقوام سامية" بـ "أقوام عربية"⁽²⁾. بل حتى الأكاديمية التاريخية بالاتحاد السوفيتى، تخلت عن استعمال (السامية) واللغة السامية⁽³⁾، ويؤكّد البربر أصلهم السامي "العربي القديم"، باستجابتهم العفوية لسائر العناصر السامية من الفينيقين وحتى العرب. ففضل الفينيقين خرج البربر من العصر الحجري الحديث، واكتسبوا منهم وعن طريقهم لمدة عشرة قرون كاملة، أساليب العصر وثقافته ومدنية. وحتى بعد اختفاء قرطاج استمر البربر من خلال أدبهم ومعتقداتهم وثقافتهم الشعبية حاملين لثقافة قرطاج وفنها ومعتقداتها الدينية. حتى أن كاتباً نوميدياً كأبوليوس (125 - 180 م) الذي ولد وعاش بمداوروش بالشّرق الجزائري. يروي عنه المؤرخون: «أنه كان يمثل اتساع الأفق والأصالة الفكرية» كان متأثراً في كتاباته بالثقافة البوئيقية.

(1) حضارة العرب، بغ. لوبيون، ترجمة عادل زعير، ط2، ص 301.

(2) حضارة العرب ومراحل تطورها عبر العصور، أحمد سوسة.

La cite d'Isis, histoire vraie des Arabes, P. Rossi. Paris, 1976.

(3) أخبرني بذلك المستشرق السوفيتى شرياتوف، في الندوة العربية الثالثة للفلكلور التي عقدت في بغداد (سبتمبر 1980).

أبوليوس الكاتب النوميدي الأصيل:

كان أبوليوس أكثر أصالة من الكتاب المغاربة القدماء الذين كتبوا باللاتينية أو اليونانية. وأناأشبهه بالمالك حداد الذي كتب بالفرنسية، لكنه قال أنا المنفي في اللغة الفرنسية. لأن تفكيره كان مشرقاً أكثر منه غربياً لاتينياً. فقد درس في جامعات مداوروش وقرطاج وروما وأثينا وإسكندرية. وكان يحس أن الثقافة البوذية قريبة منه «كان يشعر وهو يقيم بقرطاج أنه في بلده بل وفي بيته»⁽¹⁾.

كان أبوليوس أكثر أصالة ومغرية من الكتاب المغاربة الآخرين الذين كتبوا باللاتينية، وعاشوا بالشـرقـ الجزائـريـ حولـ جـامـعـةـ مـادـاـرـوـشـ (Madaurus) المشهورة، ومن أمثال مينكوس فـيلـيـكـسـ (بالـقـرنـ الثـانـيـ)ـ وـتـيرـتـولـيانـ (بالـقـرنـ الثـالـثـ)ـ وـالـقـدـيسـ أوـغـسـطـسـ (فيـ القـرنـ الرـابـعـ)ـ المـيـلـادـيـ. لأنـ كـاتـبـاتـ أـبـوليـوسـ اـمـتـازـتـ بـطـاعـهاـ المـغـرـبـيـ بـسـبـبـ اـعـتمـادـهاـ عـلـىـ التـرـاثـ الـفـكـرـيـ الـمـشـرـقـيـ:ـ المـصـرـيـ،ـ وـالـفـيـيقـيـ،ـ وـالـيـونـانـيـ:ـ «ـكـانـ مـعـجـباـ بـالـآـلـهـةـ الـشـرـقـيـةـ مـثـلـ إـيـزـيسـ إـلـهـةـ قـدـمـاءـ الـمـصـرـيـنـ،ـ وـغـيرـهـاـ»⁽²⁾.ـ وـكـانـ يـعـتـزـ بـمـغـرـيـتـهـ فـيـقـولـ:ـ «ـأـنـاـ نـصـفـ نـومـيـدـيـ وـنـصـفـ جـدـالـيـ»⁽³⁾.ـ وـجـدـالـةـ قـيـلـةـ بـرـبـرـيـةـ بـدـوـيـةـ،ـ كـانـتـ مـضـارـبـهـ بـالـجـانـبـ الصـحـراـويـ الشـرـقـيـ لـلـمـغـرـبـ الـعـرـبـيـ.

واحساس أبوليوس بـمشـرقـيـتـهـ وـبـمـغـرـيـتـهـ هوـ الذـيـ جـعـلـ مواطنـيـ مـديـنـةـ مـداـرـوـشـ يـقـدـرـونـهـ أـكـثـرـ مـنـ أيـ كـاتـبـ آـخـرـ.ـ فـقـدـ عـشـرـ فـيـ حـفـريـاتـ مـداـرـوـشـ عـلـىـ تـمـثـالـ نـصـفـيـ لـأـبـوليـوسـ أـهـدـاهـ لـهـ سـكـانـ هـذـهـ مـدـيـنـةـ وـكـتـبـواـ عـلـىـ اـعـتـزاـزـهـمـ وـفـخـرـهـمـ بـكـاتـبـهـمـ الـمـحـبـوبـ.ـ وـمـداـرـوـشـ مـديـنـةـ جـامـعـةـ بـالـشـرقـ الـجـزـائـريـ.ـ اـسـتـمـرـ نـشـاطـهـ ثـقـافـيـ لـمـدـةـ قـرـنـيـنـ عـلـىـ الـأـقـلـ،ـ فـيـ اـزـدـهـارـ هـائـلـ.ـ فـيـ أـثـنـاءـ عـهـدـ نـومـيـدـيـةـ.ـ كـمـ اـسـتـمـرـتـ هـذـهـ مـدـيـنـةـ عـلـىـ وـثـيـتـهـاـ مـدـةـ طـوـيـلـةـ⁽⁴⁾.ـ لـقـدـ اـسـتـمـرـتـ

(1) المرجع السابق... Encyclopaedia Universalis, T2, p 181

(2) المرجع السابق.

(3) المرجع السابق.

(4) L'Algérie romaine, Martial Douet, Paris, 1930.

مداوروش - التي كانت تأتي في المرتبة الثانية في ترتيب الجامعات بالعالم بعد جامعة روما -، استمرت في تأدية رسالة الثقافة الشرقية مع جامعة قرطاج، رغم محاولات الرومان لقطع جذورهما الشرقية السامية (أي العربية القديمة).

وكان "أبوليوس" لا يكف عن ترديد العبارات التالية عن حبه لوطنه نوميديا ولقومه ولميته مداوروش والاعتزاز بها جميعا، يقول: «لم يتمكنني في يوم من الأيام أي نوع من الشعور بالخجل من وطني». وكانت أمه وثنية من قبيلة جدالة البدوية البربرية، استمرت طوال حياتها على وثنيتها وعلى المعتقدات الدينية البوئيقية "القرطاجية" في وقت تنتشر فيه الديانة المسيحية.

ورث "أبوليوس" عن أبيه ثروة طائلة أنفقها في التقليل بين جامعات ومكتبات مدن ثقافة عصره مثل قرطاج، وأثينا، وساموسا، وروما وغيرها. فقد كان يملك حبا عارما للتعرف على البلدان، ونهما غريبا لاكتساب المعرف، كما استعمل ثروته في مساعدة أصدقائه القراء؛ كان بليغا يتقن فنون البلاغة والبيان المتداولة في عصره، حللها في كتابه "فلوريدات" - أزاهير -. أما كتابه "دفاع" فقد ضمنه روعة أفكاره الفلسفية التي جعلت النقاد يصفونه وينعتونه بالفيلسوف الأفلاطوني". وفي كتابه هذه عبر "أبوليوس" عن حبه وإعجابه بالزعيم النوميدي "سيفاكس"⁽¹⁾ دون الإشارة إلى "ماسينيسا". وكان يعبر بذلك بطريق غير مباشر عن إعجابه بولاء "سيفاكس" لقرطاج، ويدفاعه عنها ضد روما المستعمرة، وباستشهاده في مواجهة الجيوش الرومانية الغازية والسيف في يده. كان أبوليوس وهو يعبر عن حبه "سيفاكس" يعبر عن حبه للبطولة، وللمغربية ولالأصالة الشرقية، حبه للوفاء لأصالة المغربي التي كانت تمثل في الولاء لقرطاج، الحاضرة السامية (العربية القديمة)، الإفريقية، الشرقية، ضد روما، الإمبراطورية الأروبية، الغربية، المستعمرة. كان بموقفه هذه يعبر عن تمرده على التعظيم الذي فرضه المؤرخون الرومان واللاتين في عصره على

(1) L'Algérie romaine, Martial Douet, Paris, 1930.

تاريخ "سيفاكس" الرعيم النوميدي العظيم، وعلى الإبراز المبالغ فيه لحليفهم "ماسينيسا". وليت المؤرخين المغاربة والجزائريين البيغاويين الذين ينقلون نقاًلا فوتografيا لما كتبه في هذا الموضوع مؤرخو الاستعمار الأوروبي القديم أي الروماني، دون نقد ولا تمحيص، ليتهم يتّعظون بموقف أبوليوس العظيم هذا، الذي عاش بالقرن الثاني الميلادي.

ولم يتحمل الرومان تمرد هذا الكاتب النوميدي. على خطهم السياسي وتراثهم الفكري والثقافي، حيث كان يجاهرون بوثنيته الشرقية ورفضه حتى لل المسيحية التي دخلت المغرب عن طريق الاستعمار الروماني، وبإعجابه بقرطاج وسيفاكس رمز الولاء لقرطاج، ورمز محاربة المستعمرات الرومان. فلفقوا له تهمة نشر السحر والزنادقة بحمله لتعاوذه، ولتمثال زئبقي ولمرأة، ودافع عن نفسه في كتابه "دفاع"، فسخر من متهميه قائلاً: «أن يكون الإنسان جميلاً، وأن يحسن فن التحدث والكلام، تلك تهمتان كبيرتان أنا أعتبر بأن تستدأ إلى». كما سخر من جلاديه، فدافع عن السحر الذي اتهموه به قائلاً: «إن السحر هو الفن البديع الذي لا تموت آلهته أبداً».

إن أهم كتب "أبوليوس" هو كتابه "الحلوليون" والذي يحمل عنواناً آخر أيضاً وهو "الحمار الذهبي" يروي هذا الكتاب قصة إنسان اسمه "لوسيوس" يتحول إلى حمار، ولا يستطيع العودة إلى أصله الإنساني إلا إذا أكل الورود. ويحاط "لوسيوس" بعصابة من اللصوص تمنع عنه الورود؛ وبعد اثنين عشر فصلاً شعرياً من هذه القصة، قضى لها لوسيوس متنقلاً من لص إلى لص (بستانى، جندي، حلوانى.. إلخ) تغيثه أخيراً "إيزيس" ربة قدماء المصريين، وتعيده إلى هيئته البشرية.. كل هذه الأحداث عرضت بفن قصصي حاذق وفصيح، وبأناقه عجيبة في الأسلوب، وبلغة شعرية خلابة، حيث تجاوزت بانسجام سائر العناصر الموجلة في القدم»⁽¹⁾.

(1) Encyclopedie Universalis, T2, p181.

هل يرمز الحمار الذهبي إليه هو، أي إلى أبوليوس كإنسان نوميدي (مغربي)، فرض عليه الرومان أن يسلخ من جلده.. الشرقي، السامي (العربي القديم)، ويلبس ثوب حيوان! ويتحذ هيئة الحيوان، أي أن يمارس ثقافة المستعمر؟ هل يرمز بيايزيس إلى أن ثقافة الشرق التي حاول ويعاول الرومان منع النوميديين من ممارستها، هي القادرة وحدها على إعادتهم إلى هيئتكم البشرية أي إلى أصالتهم، أي إلى أن يكون النوميدي ثقافيا هو نفسه، وليس مسخا لغيره، كما يريد ذلك المستعمرون؟ إنها احتمالات ممكنة بالنسبة لكاتب أحس بشرقيته في محيط معاد للشرق، فلجأ إلى الرمز والتلميح، تجنبا لاضطهاد ومتابعة محاكم التفتيش الرومانية، وقد أحس الرومان بذلك فاضطهدوه وحاكموه، متهمين إياه بالسحر والشعوذة.

نجد في كتاب أبوليوس (الحلواليون) أو (الحمراء الذهبي) أساطير شعبية لاهوتية وثنية قديمة، مستمدة كلها من التراث الشرقي القديم: المصري، والقرطاجي، واليوناني، شابتها حكايات وأساطير متداولة، فإذا لدى العجائز في ملحمة هذه تروي: «أن الفتاة بسيشيه تتعرض لعقاب رهيب بسبب جمالها الخلاب، لكن إيروس -إله الحب لدى اليونان- يتدخل ويقع في حب بسيشيه، فيقودها إلى قصر جميل، حيث يعدق عليها سائر أنواع السعادة، دون أن يسمح لها أن ترى بعينيها زوجها الأسطوري.

وتتقابل بسيشيه مع شقيقاتها اللائي كن يتقدن غيره منها، فيقنعنها بقتل زوجها العجوز، ويزودنها بخنجر وبمصاحف. وتتقدم بسيشيه لارتكاب جريمتها فتنحنى على إيروس، لكن من شدة ذهولها تسقط من المصباح قطرة زيت مغلية على كف زوجها الإله، فيثور هذا ويطردها. وحتى تعثر بسيشيه مرة أخرى على (إيروس) تجتاز امتحانات ومعانات عديدة تملئها عليها (فينوس)، ومن بين هذه الاختبارات نزولها إلى الجحيم. وفي الختام تتزوج مرة ثانية بسيشيه من إيروس، وتنجب منه فتاة تسمىها فولوبتيه⁽¹⁾.

(1) المرجع السابق، ص 181 - 182.

ويتساءل محررو مادة أبوليوس في موسوعة "يونيفرساليس Universalis" ، فيقولون: «هل هذه مجرد قصة؟ أسماء الحب والروح مجرد رمز». ودون أن نتطرق لسائر الاحتمالات، فإننا نؤكد صفة واحدة لهذا الكتاب وهي أنه حمل (عن جدارة كما قال عنه النقاد) اسم (أوديسة الروح الأفلاطونية)⁽¹⁾.

ومن حقنا نحن أبناء الجزائر والمغرب العربي الأصلاء في تفكيرهم، أن نتطرق لسائر الاحتمالات التي أشارت إليها باحتشام دائرة المعارف الفرنسية المذكورة. فنقول: إنه ليس من المستبعد أبداً، أن يكون أبوليوس يرمز بالجميلة بسيشه إلى بلده نوميديا، وبالإله إبروس إلى الشرق وثقافة الشرق، وإلى السامية (أي العربية القديمة) وبالشقيقات الحاسدات إلى التيارات الاستعمارية الثقافية الرومانية، وبأن الذي ينقذ هذا الحب الكبير من الموت هو تدخل ربة شرقية، هي فيتوس. مثلما تدخلت ربة شرقية في قضية الحمار الذهبي وهي (إيزيس)، وأنقذت لوسيوس فأعادته إلى هيئته البشرية. هذه احتمالات ومن حقنا كباحثين مغاربة وجزائريين تعقبها. بعد أن عمل معظم النقاد الرومان والأوروبيين على إخفائها، والاكتفاء بإياخاطتها بتساؤلات حائرة في أحسن الأحوال، كما فعل محررو موسوعة "يونيفرساليس"⁽²⁾. بل إن المؤرخين الرومان، والفرنسيين والجزائريين المتأثرين بهم، أسلدوا ستاراً من التعظيم على الكاتب النوميدي الأصيل أبوليوس، في نفس الوقت الذي سلطوا فيه الأضواء على كتاب متزمنين كالقديس أوغسطين وتيرتوليان وغيرهما.

فالقديس أوغسطين لا يوجد فرق بينه وبين (الكاردينال لافيجري CH.Lavigerie 1825 - 1892)، والأب فوكو (CH. Foucauld 1858 - 1916) أسماء كلها تدخل في قاموس مناهضة طموح الجزائريين والمغاربة

(1) المرجع السابق، ص 181 - 182.

(2) المرجع السابق، ص 181 - 182.

في التحرر من ربيقة الاستعمار الروماني في عهد أوغسطين، ومن ربيقة الاستعمار الفرنسي في عهد لافيجري وفوكو.

لقد انتبه القليل من المؤرخين العرب إلى هذه الحقائق. مثل المؤرخ المصري رشيد الناظوري، أستاذ مادة التاريخ القديم في جامعة الإسكندرية، الذي لم يأخذ ما كتبه المؤرخون الرومان والأوربيون على أنه مجرد مسلمات، بل استعمل حاسة الاستقراء والتقد. يقول الناظوري عن استمرار نوميديا -حتى تحت الاحتلال الروماني- في حمل مشعل حضارة قرطاج أي الحضارة العربية القديمة.

«في المجال الديني جمع البربر بين مؤثرات العقيدة المحلية، والفينيقية، واليونانية الأصل، وبعض الملامح ذات الطابع المصري القديم. ويلاحظ أن المكتبة القرطاجية. بعد تدمير قرطاج، كانت من نصيب البربر، استكمالا لأداء هذه الوظيفة الفكرية»⁽¹⁾.

بل إنه يوجد بعض المؤرخين الأوروبيين التزهاء الذين أنصفوا الساميين (العرب القدماء)، فاعتبروهم الأساتذة الذين لقنوا الدنيا كلها أصول الحضارة والفكر، عن طريق القرطاجيين، والمصريين القدماء، (وقدماء المصريين ساميون مثلما يعترف بذلك حتى المؤرخين الأوروبيين التزهاء من أمثال بير روسيه)⁽²⁾. واستطاعت المختبرات المصرية أن تنتشر بواسطة التجارة الفينيقية، فتصل أقصى الشرق في الهند والصين واليابان قبل أن تعبر المحيط الهادئ، لتأسيس قاعدة ثقافة مائية بأمريكا الوسطى»⁽³⁾.

لقد استمرَ العهد الروماني مدى ستة قرون مسيطرًا بلا منافس على المغرب، من تاريخ تدمير مدينة قرطاج في 146 قبل الميلاد، وحتى غزو

(1) المغرب الكبير، ج 1، د. رشيد الناظوري، ص 286.

(2) La Cite d'Isis, histoire vraie des Arabes, P. Rossi.

(3) Encyclopaedia Universalis, V.5.

الوندال لمغرب عام 429 ميلادي. لقد أشاد الرومان المدن، وأقاموا الحصون، وبنوا الطرق، ليس للشعب المغربي، وإنما لحماية جالية رومانية مستوطنة مستعمرة، تسيطر علىسائر وسائل الإنتاج الزراعية، والصناعية والتجارية، وتستعمل الوطنين كعيدي أو أقنان أرض. أو تسخرهم لشق الطرق وبناء القلاع. بل إن الرومان أعادوا الشعب المغربي القهقرى في القدم الحضاري. فالكثير من القبائل البربرية التي استقرت في العهد القرطاجي وتحولت من الرعي إلى الزراعة، عادت إلى بدوتها، بعد أن سلبها الرومان أراضيها، وزوّوها على النبلاء مثلما فعل الفرنسيون، ورثة الرومان المستعمرات في القرن التاسع عشر والعشرين بالجزائر.

بل حتى المدن التي بناها الرومان لحماية مصالحهم الاستغلالية لم يوجدواها من العدم، وإنما بنيت في نفس موقع المدن القرطاجية السابقة. يقول الأستاذ الناصوري: «ويمكن تلمس ذلك في الواقع الأثري، حيث يلاحظ تواجد الطبقة الرومانية فوق الطبقة النوميدية أو الموريطانية، التي تقع بدورها فوق الطبقة القرطاجية. وذلك أن عملية اختيار هذه الموقع كانت تتفق مع اختيار الرواد الأول من الفينيقيين، من حيث صلاحية المكان وتناسبه مع كافة الأغراض الاقتصادية والدفاعية»⁽¹⁾.

فالرومان إذن لم يخلقوا شيئاً جديداً في المغرب، مثلما يزعم مؤرخوهم أو تلاميذهم من المؤرخين الجزائريين والمغاربة البيغاويين، وإنما اقتدوا الأثر العمراني الفينيقي ثم القرطاجي. يقول الأستاذ الناصوري:

«وقد اعتمدت العمارة الرومانية بالمغرب على حد كبير على العمارة الشرقية واليونانية؛ وعلى سبيل المثال يلاحظ أن قوس النصر الروماني يمكن إرجاعه في أصوله التاريخية إلى الفن الأشوري. ويلاحظ أيضاً وجود بعض

(1) المغرب الكبير، ج 1، د. رشيد الناظوري، ص 332

المسلاط المصرية في روما، وكذلك بعض المقابر الرومانية ذات الشكل الهرمي المصري القديم. وقد تميز المغرب في العصر الروماني في الصياغة الأرجوانية، من الأصداف المحلية على الساحل المغربي في نواحي جزيرة الصويرة. وترجع هذه الصناعة في أصولها إلى العصرين الفينيقي والقرطاجي، حيث كانت من الصناعات المستوردة أصلاً من الساحل الفينيقي. هذا بالإضافة إلى صناعات أخرى مثل السجاجيد والأنسجة وغيرها. وتلزم الإشارة في هذا الصدد إلى دور القرطاجيين في إدخال الكثير من هذه الصناعات إلى المغرب قبل الرومان⁽¹⁾.

إذن فمحاولة المؤرخين الأوروبيين، وتلاميذهم المغاربة والجزائريين، إقناعنا بأن الرومان هم الذين أدخلوا الزراعة ووسائلها، والصناعات، لا يعتمد على أساس تاريخي. ومن الغريب أن بعض مؤرخينا بالجزائر أخذوا هذه المحاولات كمسلمات غير قابلة للنقاش، فلم يسلكوا طريق المؤرخ المصري رشيد الناضوري، أو المؤرخ العراقي أحمد سوسة، أو حتى المؤرخ الفرنسي "بيير روسي" أو المؤرخ البريطاني "ويليام برنال" الذين قاما بعملية استقراء ونقد لآراء المؤرخين الأوروبيين وهم يورخون للحضارة والثقافة بالوطن العربي. وأنا لا أنكر مساهمة الرومان في تطوير ما وجدوه من عناصر المدنية، مثل العمارة، والري، والزراعة. لكن طوروا شيئاً وجدوه قائماً، تركه بالغرب الفينيقيون.

لقد حاول الرومان نشر الثقافة الرومانية ففرضوا بالقوة اللغة اللاتينية وألغوا اللغة البونيقية، التي كانت سائدة بالمغرب كلغة مدنية وإدارة وثقافة، مثلما فعل الفرنسيون بالجزائر، في القرنين التاسع عشر والعشرين بنشرهم للغة الفرنسية وإنائهم للغة العربية من الحياة الرسمية. ولم يستطع الرومان نشر اللاتينية إلا بين أفراد طبقة تضم المستوطنين الرومان وعددًا قليلاً من المغاربة، كانوا يعيشون على فئات موائد المستوطنين الرومان. في نفس الوقت دفعوا الغالية

(1) المرجع السابق، ص 334 - 339 وص 242، 243.

العظمى من السكان إلى الأمية، عندما دفعوا الكثير من القبائل التي وجدها مستقرة في الزراعة لدى دخولهم للمغرب، إلى العودة إلى الحياة البدوية، بعد أن جردوها من ممتلكاتها الزراعية. التي أقاموا فيها (اللوتيفوندات)، أي المزارع الرومانية. وهذا الأسلوب هو الذي أخذه عنهم الفرنسيون في القرنين التاسع عشر والعشرين بالجزائر. إن العهد الروماني مرّ على المغاربة كله ظلام وتقهقر. لقد حاولوا فرض اللغة اللاتينية لكن لم يتمكنوا من ذلك، لأن البربر استمروا في استخدام لهجاتهم البربرية المشتقة من اللغة البوينيقية شفوية، واللغة البوينيقية كتابياً. حاول الرومان فرض معتقداتهم الدينية على المغاربة، وعلى رأسها عبادة الإمبراطور الروماني، فاستجاب لذلك (يبويا) الثاني وأسرته وطبقته المترومنة، لكن - كما يقول الأستاذ الناضوري - البربر لم يتقبلوا بذلك بسهولة، فقد كانوا يعبدون آلهتهم البربرية مثل الربة "ثانيث" والقرطاجية مثل الإله "بعل عامون"⁽¹⁾.

وحتى المسيحية فقد اعتنقها البربر وحولوها إلى سلاح لمقاومة الرومان، الذين كانوا في عهدهم الأول يعارضون اعتناق المسيحية، وعندما اعتنقوا هذه الديانة صاغوا مذهبها خاصاً مستمدًا من بيئتهم وتراثهم، يحمل بذرة الثورة ضد الاستعمار الروماني، ألا وهو المذهب الدوناتي.

لم تتمكن العناصر الحضارية الرومانية، المادية والفكرية، من إيجاد مستقر لها بالمغرب. فقد استمر البربر يقاومون الرؤمنة، محافظين على تراثهم الحضاري البربرى شفوياً والقرطاجي كتابياً، واستمرت هذه المحافظة حتى في العهدين الوندالي والبيزنطي، يقول الأستاذ الناضوري:

«إن الحقيقة التاريخية التي يلمسها الباحث في التاريخ المغربي القديم أثناء العصر الروماني، هي احتفاظ المغرب بنزعته العามية - السامية رغم

(1) نفس المصدر السابق.

محاولات الرومان المستمرة لطبعه بالطابع الروماني، في كافة المجالات الحضارية والمادية والفكرية. وهذه الحقيقة تؤكد الصفة المميزة للمغرب القديم، وهي أصالتها المشرقية الأولى قبل العصر العربي. لقد استخدم الرومان، في هذا الصدد، الكثير من الوسائل العربية المدنية المنشورة وغير المنشورة في سبيل تحقيق وجهة نظرهم، ولكنهم لم يتمكنا من الوصول إلى غايتها النهائية. والتفسير التاريخي لذلك، هو أن المغرب في العصر القرطاجي قدتمكن من الوصول إلى صميم العصر التاريخي، وبدأ يؤدي دوره السياسي والحضاري في منطقة البحر الأبيض المتوسط، على قدم المساواة بالدولة الرومانية. ولذلك لم يكن للاحتلال الروماني فاعليته الكاملة في تعديل هذا الاتجاه. إلى أن استقبل المغرب مرحلة حاسمة جديدة في التاريخ وهي المرحلة العربية، كون فيها المغرب والشرق أمة عربية جديدة^(١).

أما العهد الوندالي فقد كان إيجابياً بالمغرب من ناحيتين: اقتصادية، وتمثل في استرداد الكثير من الطبقات الكادحة من عمال الأرض الأجراء، ومن القبائل المطاردة، للأراضي التي صادرها الرومان. وثقافياً، بقضاءه (أي العهد الوندالي) على الطبقة الرومانية أو المرؤمنة، وبالتالي القضاء على اللاتينية والثقافة الرومانية. أو حسر انتشارها على الأقل لهذه اللغة، التي كانت قبل دخول الوندال مسيطرة على رقاب الثقافة المغربية الأصلية، أي المشرقية السامية (العربية القديمة).

وهذا هو الذي يفسر لماذا لم يحارب البربر الاحتلال الوندالي، في مرحلته الأولى، بل حاربوا، إلى جانب الوندال، الإمبراطورية الرومانية التي أذاقتهم الأمرين واستغلوا تحالفهم مع جانصريك، الملك الوندالي، لتحرير أنفسهم اقتصادياً واسترداد أراضيهم الزراعية، بعد تفتيت هيكل (اللوتيفوندات)، وإعادة الاعتبار

(1) المرجع السابق.

لثقافتهم المشرقة. لكن عندما لمسوا في النصف الثاني من القرن لاحتلال الوندال بلادهم، اتخاذ هذا الاحتلال طابعه الاستعماري الاستيطاني المعتمد على مصادرة أرض الفلاحين، وإقامة المزارع الإقطاعية الشبيهة باللوتيونادات الرومانية، ثاروا عليهم. وتحولوا في آخر العهد الوندالي إلى سادة المغرب الذي صارت تحكم معظم أراضيه بواسطة إمارات ببرية قبلية مستقلة؛ يقول المؤرخ المصري الدكتور السيد عبد العزيز سالم: «واشتُدّ خطر هذه الثورة (الثورة البربرية) في عهد هيلدريك، وكانت العامل الأساسي في إسقاط دولة الوندال في المغرب»⁽¹⁾.

ومع دخول القائد البيزنطي بليزاريوس قرطاج وهزمه غيليمار، الإمبراطور الوندالي. بدأ العهد البيزنطي، الذي دام أكثر بقليل من قرن بالمغرب. ومرةً هذا القرن على المغرب في سلسلة من الثورات الطاحنة على الوجود البيزنطي. وخير ما يعبر عن هذا القرن خلاصة مستمدّة من ثلاثة مؤرخين وهم: جولييان (Ch. A. Julien)، وبيليغرين (A. Pelegrin)، والسيد عبد العزيز سالم، وهي كما يلي: «انصرفت جهود المحاكم العام البيزنطي إلى جمع الأموال بالقوة، والضغط على السكان، دون التفرغ للإشراف على أعمال الإصلاح في البلاد. فكانت الإدارة البيزنطية تبذل كل جهدها لاستغلال السكان استغلالاً فاحشاً، وذلك بإيهافهم بالضرائب الكثيرة وامتصاص كل مواردهم. واضطرب المزارعون في نهاية الأمر إلى ترك مزارعهم، والتجار إلى غلق متاجرهم؛ وعمد الكثيرون إلى احتراف اللصوصية والاعتماد على قوائم سيوفهم. وكانت هذه المظالم عاملاً أساسياً فيما أصاب المغرب من أضمحلال، كما كانت السبب في قيام الأهالي بالفتن والثورات المتواصلة».

(1) المغرب الكبير، ج 2، د. السيد عبد العزيز سالم، ص 37.

الفتح الإسلامي:

في هذه الظروف دخل الإسلام المغرب وتم الفتح العربي، ووُجد العرب استجابةً واسعةً لرسالتهم الإسلامية، ولثقافتهم العربية. ولم تكن فترة تقل عن خمسين سنة، حتى وجدنا المغاربة من حدود ليبيا الشرقية وحتى شواطئ الأطلسي، وقد صاروا جميعاً مسلمين وعرباً، يتحدثون العربية ويكتبونها ويخطبون بها بفصاحة تندر حتى بين خطباء الجزيرة العربية، أو بين الغساسنة بالشام والمناذرة بالعراق.. لماذا؟، قيل لأن رسالة الإسلام عادلة ذات محتوى روحي محب لنفوس الشعوب ذات التكوين القبلي. وهذا سبب وجيه ومعقول. لكن جل المؤرخين يقررون أن أسباباً أخرى تكمن وراء الاستجابة السريعة للبربر للفتح الإسلامي - العربي بسبب أصولهم السامي، أي العربي القديم.

وسرعان ما انتشرت لغة الضاد بين البربر، حيث وجدت فيهم نفوساً مستعدة لتعلم العربية بسهولة، بسبب انتماء البربرية إلى أسرة اللغات السامية، أي إلى العربية القديمة، ووجدت الثقافة العربية بصورة عامة أن البيئة الثقافية السائدة بين البربر ليست غريبة عنها، بسبب محافظة البربر على ممارسات ثقافية فينيقية بونيقية. يقول الكعاك: «فقد حمل الفاتحون العرب معهم اللغة والدين ممثلين في القرآن الكريم، الذي، هو قوام الدين، ودستور سياسة، وبحر أخلاق، وقاموس لغة، وديوان ثقافة. لذلك بني الفتح على الثقافة في يوم الفتح نفسه»⁽¹⁾.

والمسجد بالإسلام هو مكان للعبادة ومدرسة وجامعة في نفس الوقت، ولهذا فقد أدت المساجد دوراً هاماً في نشر العربية بين البربر. فعقبة بن نافع أسس مسجد القيروان الجامع، وموسى بن نصير أسس مسجدي تلمسان وأغمات هيلانة، وإسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر والفقهاء المرافقون له أسسوا المساجد التالية: مسجد الرباطي، وجامع الزيتونة.

(1) مراكز الثقافة في المغرب، القاهرة 1958، ص 12، ص 14.

لقد كانت المساجد الأولى التي بناها المسلمون مراكز علمية هامة، ومعاهد للدرس والتحصيل قبل أن تظهر الجامعات والمدارس. ففيه كان يسمع التلاميذ على أسانتذهم في الفقه واللغة والحديث القراءات، والطب والفلك، وغيرها من الدراسات العلمية: دينية وأدبية ولغوية. ولهذا نشهد ثلاث ظواهر في هذا القرن؛ الظاهرة الأولى، إنشاء المساجد في داخل بلاد البربر. والظاهرة الثانية: إرسال بعثات من علماء العرب وفقهاthem من التابعين إلى سائر أنحاء المغرب. والظاهرة الثالثة: تأسيس مساجد خاصة بقصد الأعمال الخيرية. وأشهرها بالقيروان مسجد الرياطي أو الحبلي، ومسجد أبي ميسرة، ومسجد بن خiron الأندلسي^(١).

عهد الدول المستقلة بالمغرب العربي:

أسس البربر عدة دول بعد الفتح العربي وهي دول «الرستميين، والصفويين، والأدارسة، والقاطميين، والزيريين، والمرابطين، والموحدين، والمرinيين، والحفصيين وبني عبد الواد». وقد أسست هذه الدول كلها على أساس عربي - إسلامي. ولم تشد واحدة عن ذلك، بل إنه لم يحدث طوال القرون الأربع عشر أن طالب زعيم واحد ببربرى، بإقامة دولة على أساس ببربرى عرقى. بل إن الفضل في نشر العربية وأدابها وتعظيم الإسلام بالمغرب العربي يعود إلى هذه الدول العشر.

وإذا استثنينا دولتي الأغالبة والأدارسة اللتين أستنثما أسرقان عربستان، فإن بقية الدول قامت على أيدي أسر بربرية.

لقد زعم البعض بأن الدولة الرستمية أسست على قاعدة ببربرية، بينما الحقائق تكذب ذلك. فمؤسس المذهب الإباضي الذي أقيمت عليه هذه الدولة، بل مؤسسو هذه الدولة الأوائل كانوا كلهم عربا من اليمن، وهم: عبد

(١) عثمان الكعاك: مراكز الثقافة في المغرب، القاهرة 1958، ص 12، ص 14.

الله بن تميم المرئي التميمي، وأبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدي العماني، وأبى عبيدة مسلم، وسلمة بن سعد، وأبى الخطاب عبد الأعلى بن السمح المغافري اليمني. وهذا الأخير هو المؤسس الفعلي للدولة الإباضية التي تحول اسمها فيما بعد إلى الدولة الرستمية.

لقد عمل الرستميون البربر طوال فترة حكمهم التي دامت أكثر من قرن وربع قرن، على نشر علوم العربية والإسلام، وبناء المساجد من طرابلس حتى وهران، في سائر المدن والقرى، واتخذوا مدارس وجامعات لتحفيظ القرآن الكريم ونشر علوم العربية والإسلام. بل وكان أول إمام لهذه الدولة، أي أول رئيس لها عبد الرحمن بن رستم، عالماً ألف كتاباً في تفسير القرآن لم يصل إلينا. ويبدو أنه أتلقى ضمن الصراع المذهبى إثر اضمحلال هذه الدولة. «وكان الإمام عبد الوهاب من رؤساء الدولة يحب العلم ويعمل على نشره وتشجيع اكتسابه. كان يرسل البعثات للعراق لشراء الكتب ولا يمل قراءتها شتاءً أو صيفاً. وقد ألف كتاباً عنوانه "نوازل نفوسه". وهو مجموعة من الفتاوى الشرعية، كان علماء نفوسه يستفتونه فيها»^(١). وكان الإمام أفلح عالماً في الفلك والحساب، كما كان شاعراً. وله قصيدة يبحث فيها على طلب العلم، يقول فيها:

العلم أبقى لأهل العلم آثارا
يُرِيكَ أشخاصَهُم روحًا وابكارا
حتى وإن مات - ذو علم وذورع
ما مات عبد قضى من ذاك أو طارا
وذو حياة على جهل ومنقصة
كميّت قد ثوى في الرّمّس إعصارا
وأجعله لله لا يجعله مفخرة
ولا ترأي به بدوا وأحضارا

ولم تقتصر الثقافة في الدولة الرستمية على الرجال فحسب، بل شملت المرأة أيضاً، حيث شاركت كثیرات منها في ازدهار الحركة الثقافية والعلمية. منها أخت الإمام أفلح التي حذقت علم الحساب والفلك والتنجيم.

(١) محمد علي دبور، تاريخ المغرب الكبير، ط. القاهرة 1963. ج 3، ص 361 - 373.

ومن مراكز الفكر والثقافة في الدولة الرستمية: مدينة تاهرت، ومدينة شروس، بجبل نفوسه ومدينة جادو، وقرية اجنان، وجزيرة جربة وورجلان. ويز جبل نفوسه كمنارة للفكر والعلم في عهد الرستميين. وظهر به علماء بارزون منهم: (الشيخ مهدي النفوسى)، ومحمد بن يانس، وأبو الحسن الأبدلاني، وعمروس بن فتح، ويعقوب بن أفلح، وأبو عبيدة عبد الحميد الجناؤنى، ومعبد الجناؤنى، وغيرهم. واشتهر من علماء تاهرت ابن أبي ادريس، وأحمد التيه، وأبو العباس بن فتحون، وعثمان بن الصفار، وأحمد بن منصور، وأبو عبيدة الأعرج. وقد سجل مؤثر هؤلاء العلماء أحمد الدرجيني في طبقاته، وأحمد بن سعيد بن عبد الواحد الشماخي، في كتابه "السير" ^(١).

وكانت تاهرت عاصمة الرستميين تضم مكتبة من أضخم ما عرفت مدن المغرب العربي، حيث حوت ثلاثة ألف مجلد من مختلف أنواع الآداب والفنون والعلوم، وقد قام بتخريبيها الفاطميون عام 296 هـ، بعد أن حفظوا منها فقط كتب الرياضيات والفلك والهندسة والطب.

وقد قام هؤلاء العلماء الأجلاء، وغيرهم في عهد الدولة الرستمية بدور هام في نشر اللغة العربية وعلوم الدين بين البربر، وهذا رد حاسم على الشعوبين بال المغرب العربي، الذين يحاولون طبع هذه الدولة بالطابع البربرى العرقى الشعوبى، المعادى للاتنماء العربى لأقطار المغرب.

وحكם بنو زيري - وهي أسرة بربرية - المغرب الأوسط والأدنى، وغرناطة وألميرية ما يقرب من قرنين. حكموا باسم الفاطميين، ثم حكموا مباشرة. وكانت من أهل الدول التي ساست المغرب والأندلس بقوة وحكمة وفروسيّة. ولم يخامر الزيريين في يوم من الأيام شك في أصالتهم العربية بل يعتبرون قبيلتهم صنهاجة البربرية، عربية، تعود أصولها العربية إلى الحميريين الذين

(١) المرجع السابق، ص 392 - 393.

هاجروا للمغرب قبل الفتح الإسلامي بكثير. فعندما ساءت علاقة أبو الفتح المنصور مع الخلافة الفاطمية في القاهرة عبر عن طموحه في الاستئثار بحكم المغرب بدون المظلة الفاطمية، أمام شيوخ القبائل، الذين حضروا إلى القيروان لتهنئته بالإمارة، عندما قال لهم: «إن أبي وجدي أخذنا الناس بالسيف قهراً، وأنا لا آخذهم إلا بالإحسان، وما أنا في هذا الملك من يولي بكتاب ويعزل بكتاب، لأنني ورثه عن أبيائي وأجدادي، وورثوه عن آبائهم وأجدادهم حمير»^(١).

وفي قول أبي الفتح هذا اعتزازه بالأصل العربي للبربر، وهو ما أكدته المؤرخون. وبالرغم من أن غزوةبني هلال للمغرب تمت في عهد الزيريين، فإن هذالم يزعزع إيمانهم بعروبتهم وعروبة البربر؛ مع أن إرسالبني هلال للمغرب تم بواسطة الخليفة الفاطمي المستنصر، وبنصيحة من وزيره محمد الحسن بن علي اليازوري، لإثارة الرعب للزيريين، بعد أن انفصلوا عن التبعية للفاطميين، إلا أن الزيريين اقتنعوا بأنبني هلال جاءوا المغرب لا يؤسسوا مملكة تنافس دولتهم، وإنما جاءوا للإقامة الدائمة مثلما جاءت قبلهم من الجزيرة العربية وقبل الفتح الإسلامي بكثير، قبائلبني حمير، لتأسيس التجمع القبلي الكبير بالمغرب المسمى بالصنهاجيين، والذي ينتهي إليه الزيريون أنفسهم. استطاع بنو زيري والصنهاجيون البربر بصورة عامة، استيعاب إقامةبني هلال؛ واستمر الزيريون يحكمون المهدية، واستمر فرعهم، أبي بنو حماد، في حكم بجاية، كما حكم سفاقيس حمو بن ومليل البرغواطي متحالفاً مع بعض عشائربني هلال مثل زغبة ورياح وعدى والأثيج. وحكم تونس ابن خراسان، وقباس موسى بن يحيى، وكلهم من صنهاجة.

وهكذا فقد أكد التاريخ أن غزوةبني هلال للمغرب كانت إيجابية، لأنها ساهمت بحسب في تعريب أقطار المغرب العربي.

(١) ابن عذاري، ج ٢، ص ٣٤٣. ابن الأثير، ج ٧، ص ١٢١.

ويقول المؤرخ المصري السيد عبد العزيز سالم «كان لغزوehlerالية للمغرب رغم مضاره ومساؤه فضل كبير في تعريب البلاد، وتحجيف حدة اللهجات المحلية في القرى البربرية، التي لم تصل إليها إشعاعات الحضارة العربية»⁽¹⁾. ومع تسرب الضعف إلى دولة الزيريين الذين كانوا يتصدرون بشجاعة للطموح الصليبي في شواطئ المغرب العربي، قوي النورمنديون، وسقطت في أيديهم صقلية بل وهددوا شواطئ البلاد التونسية. وشنوا غارة على المهدية، جعلت الشاعر أبو الحسن الحداد يقول:

غزا حمانا العدو في عدد هم الدبّي كثرة أو اللفف
عشرون ألفاً ونصفها اتلفوا من كلّ أوب وليت ما اتلفوا
جياءوا على غرّة إلى نفر قد جهلوا في الحروب ما عرفوا

إن هذه الدولة الصنهاجية بفرعيهابني زيري في المغرب الأدنى، وبني حماد في المغرب الأوسط، والتي دام حكمها ما يقرب من قرنين، أدت دورها كاملاً في تطوير المغرب بالميادين العماراتية والفكرية والفنية. وصل نفوذ هذه الأسرة البربرية حتى الأندلس، حيث حكم أحد فروعها وهو فرعبني حبوس بن ماكس إمارة غرناطة والبيرة ثمانين سنة تقريباً. إن هذه الدولة الصنهاجية البربرية أكدت حقيقة الأصل العربي للبربر، فطوال حكمها بالمغرب والأندلس لم يبرز تصرف واحد من أميرها يشير إلى شعوبية أو عنصرية بربرية، بل اعتبروا أنفسهم عرباً ترجع أصولهم العربية إلى ما قبل الفتح الإسلامي بكثير؛ بل ويزرت هذه الأسرة بفروعها الثلاثة سائر الإمارات والممالك العربية في المشرق في ميدان تطوير الحضارة العربية الإسلامية في سائر حقولها. وتنافس الشعراء والأدباء والمغنون للوصول إلى المنصات الثقافية في قصورهم، سواء في غرناطة أو المهدية أو قلعةبني حماد أو بجاية، وحتى في أحلك الأعمال التخريبية التي قام

(1) المغرب الكبير، ج 2، د. السيد عبد العزيز سالم، ص 672 - 673.

بها أعراب بني هلال في مدن إمارتيهما، لم يصدر أي رد فعل منهم ضد العرب كعرب. وإنما فسروا ظاهرة الهلاليين بتفسيرها الصحيح وهو التفسير البدوي. ورغم أن أعراب بني هلال أرسلوا من طرف الفاطميين بالقاهرة لتدمير دولتهم، كما بينا، فقد واجهم أمراء بنى زيري وبني حماد بأسلوب حكيم، حيث تمكنا من استيعابهم داخل المجتمع المغربي العربي المسلم. ولم يمض عدد قليل من العقود حتى ذاب بنو هلال كلبا في المجتمع المغربي، الذي استطاع بحيويته وصلابة إيمانه بعروبه وإسلامه إفراز دولتين كبيرتين، أستهلهما أسرتان بربريتان هما دولة المرابطين، ودولة الموحدين، اللتان لعبتا دورا كبيرا في تطوير الحضارة العربية الإسلامية بالمغرب والأندلس، وفي التصدي للمد الصليبي الأوروبي ضد كيان الدولة العربية الإسلامية وفي تأجيل سقوط الأندلس. هذا دليل قاطع على أن البربر ليسوا جنسا آخر غير العرب، وأن اللغة البربرية ما هي إلا إحدى اللهجات العربية القديمة، التي لا زال لها وجود حتى الآن باليمن. وهذا رد مفحم على تلاميذ المؤرخين الأوروبيين، أصحاب مدرسة التبشير الاستعماري الشعوبي بالمغرب العربي.

أشاد المرابطون المساجدو المدن والقلاع، وازدهرت الحياة الثقافية في عهدهم ازدهارا جعل مؤرخا كالمراكتشي، يقول في عهدي يوسف بن تاشفين وابنه:

«فانتقطع إلى أمير المسلمين من الجزيرة من أهل كل علم فحوله، حتى أشbeth حضرته حضرة بنى العباس في صدر دولتهم. واجتمع له ولابنه من أعيان الكتاب، وفرسان البلاغة، ما لم يتفق اجتماعه في عصر من الأعصار، ومن هؤلاء أبو بكر الملقب بابن القصیر کاتب المعتمد، والوزير أبو محمد عبد المجيد بن عبدون، وأبو القاسم بن الجد المعرف بالأحدب، وأبو بكر محمد بن محمد المعروف بابن القبوسية، وأبو عبد الله بن أبي الخصال وأخوه مروان، وغيرهم»⁽¹⁾.

(1) المغرب الكبير، ج 2، د. السيد عبد العزيز سالم، ص 672 - 693.

أما الموحدون فقد تركوا بدورهم آثاراً عربية إسلامية كبيرة. أكثر مما تركته أية دولة سبقوتهم، بل وخلفوا وراءهم مدرسة خاصة لهم في فن العمارة والتلوين والزخرفة، عكست النضج الذي وصلت إليه الفنون الإسلامية العربية، في هذه المرحلة المتأخرة من تاريخ الحضارة العربية الإسلامية. وازدهرت الحركة الأدبية ازدهاراً كبيراً، وعرفت اللغة العربية أزهى فترات انتشارها في عهد الموحدين. ولأقى رجال الأدب رعاية كبيرة، من طرف خلفائهم، الذين عينوا منهم الولاية والموظفين السامين للدولة.

وبعد سقوط دولة الموحدين بدأت العهود المظلمة في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية. ومع ذلك فقد استمرت الدول التي أعقبتهم والتي أسستها أسر بربرية أيضاً، وهي دول المربيين بال المغرب الأقصى. وبني عبد الواد بالغرب الأوسط، وبني حفص بالغرب الأدنى. استمرت حاملة مشعل الحضارة والثقافة العربية والإسلام في المغرب والأندلس. فالشاعر الأندلسي أبو عبد الله بن الأبار، وجّه سينيته المشهورة التي يستتجد فيها لتخليص المسلمين بالأندلس من الخطر الصليبي، وجهها إلى أبي زكريا يحيى الحفصي، والتي ورد فيها:

<p>إن السبيلَ إلى منجاها درسا فلم يزلْ منك عزَّ التصرُّ مُلتمسا للنائبات وأمسى جِدُّها تعسَا إلا عقائدها المحجوبة الأنسا ما يذهب النفس أو ما يُنْزف النفس جدلانَ، وارتحل الإيمانُ مبتسما وللنداء يُرى أثناها جرسا</p>	<p>أدرك بخيلك خيلَ الله أندلُسا وهبْ لها من عزيز النصر ما التمسَ يا للجزيرة أضحى أهلُها جُزُرا تقاسَم الروم لا نالتْ مقاسمهم وفي بلنسية منها وقرطبة مدائنُ حلها الإشراك مبتسما ما للمساجد عادت للعدي ب بما</p>
---	--

واستجابة للأمير أبو زكريا لهذه الصرخة وأرسل إلى الأندلسيين المنكوبين أسطولاً محلاً بالمؤن والأسلحة. كما أقبل المهاجرون الأندلسيون على الدولة الحفصية للإقامة فيها حيث وجدوا الرعاية والتكريم.

وهكذا حكمت هذه الأسر البربرية الثلاث، كسائلاتها، المغرب بروح عربية إسلامية، وبعد ما تكون عن العنصرية. ولم يخطر ببال أمير من أمرائها أن يقيم دولة على أساس بربري عرقي عنصري؛ بل كانوا يعتبرون أنفسهم عرباً مسلمين، يدافعون عن أمجاد العروبة والإسلام، وينشرون لغة الضاد والثقافة العربية. وينذودون عن حياض العروبة والإسلام. حاولوا نجدة إخوانهم بالأندلس، وعندما عجزوا عن إنقاذهم، فتحوا أبواب دولتهم أمام الهجرات الأندلسية، وكانت هذه الدول نعم الملجأ لهؤلاء الفارين، من هول المد الصليبي الإسباني والبرتغالي.

الاستعمار الفرنسي والشعوبية:

وخلالصة لهذا العرض التاريخي أن الشعوبية، أي معاداة الاتساع العربي، أو التشكيك في الاتساع العربي، هي نتيجة للاستعمار الفرنسي الذي دام قرناً وثلث قرن بالجزائر، وبال المغرب العربي. فقد عمل الفرنسيون على إغراق طبقة من المثقفين متكونين من جناحين، يكمل أحدهما الآخر: الأول ينادي ببربرية الجزائر، والثاني ينادي بلا عروبة الجزائر التي هي في نظرهم أمة مستقلة بذاتها، ولا حاجة إلى أن تتحدد مع أي قطر آخر. وأن الصحراء الليبية هي فاصل بين المغرب والمشرق العربي، وأن مصير الجزائر وأقطار المغرب مع أروبا المتقدمة، وليس مع بلدان (الشرق الأوسط) المتخلفة. وأن الوحدة العربية المنشودة هي مجرد تعاون اقتصادي مصلحي، وأن الثقافة أو لغة الثقافة لابد وأن تستمر مزدوجة: فرنسية في ميدان العلوم والتقنية وحتى الأدب، ولغة

جزائرية (أي دارجة جزائرية) في ميدان الفنون والآداب. لأن العربية الفصحى ميّة - في رأيهما - كاللاتينية بالنسبة لبلدان أروبا اللاتينية.

ومن الغريب أن اليمين الجزائري واليسار الجزائري المتكوّنين بالفرنسية، يتلقان على هذه الأفكار، التي تؤدي إلى نتيجة واحدة: إلى معاداة انتماء الجزائر العربي.

وقد استطاع فلامسفة الفرنكوفونية الاستراتيجيون أن يعملا بالجزائر المستقلة تحت عدة مظلات وشعارات نحو هدف واحد، هو منع الجزائر من ممارسة انتمائها العربي، واتخذت الفرنكوفونية بالجزائر عدة أقنعة.

اتخذت القناع التكنولوجي، فقيل إن العربية لا تفيذ الجزائر لأنها لغة متخلفة، وأنه إن أريد للجزائر أن تتقدم فما عليها إلا الإبقاء على سيادة اللغة الفرنسية في الميدان العلمي والتكنولوجي والصناعي.

واتخذت الفرنكوفونية القناع البربرى، فقيل إن الجزائر ليست عربية، وأن العرب غزاة، وأن العربية لغة دخيلة، ولابد من إعادة الجزائر إلى أصالتها ولغتها البربريتين - تحت مظلة الفرنسية طبعاً.

واتخذت الفرنكوفونية القناع الماركسي، فقال الماركسيون الجزائريون: «بأن اللغة العربية لغة الدين، وهي مؤهله لأن تحول إلى لغة رجعية، وهي بالفعل مستعملة من طرف فئة رجعية، ولابد من استبدالها بلغة جزائرية تقدمية. وهذا لا يكون إلا بالدارجة، وإلى أن يحين ذلك فلا بد من الحفاظ على استمرار الفرنسية التي صارت بعد قرن وثلث قرن من الاحتلال الفرنسي لغة شعبية»⁽¹⁾. فالماركسيّة إذن دخلت الجزائر المستقلة، بعد أن مرّت على مصفاة الفرنكوفونية بباريس، لأن لينين نفسه بعد ثورة 1917 سمع من بعض رفاته رأيهم

(1) ذكر ذلك كاتب ياسين في محاضرة ألقيها في شتاء 1981 بجامعة الجزائر.

باستبدال اللغة الروسية، لأنها لغة القيصرية والإقطاع والرجعية، بلغة روسيا الشعبية، أي الدارجة، فرفض قائلًا: «لن نتخلى عن لغتنا الروسية الجميلة.. التي آن الأوان لكي نستعملها كأداة ضد الرجعية والإقطاع». ووصف رفاته هؤلاء باليساريين الصبيانيين.

إذن فقد تعددت الأسباب والموت واحد كما يقول الشاعر العربي: تعددت الأقنعة والهدف واحد، وهو القضاء على انتماء الجزائر العربي.

الثقافة في العهد الاستعماري:

كان مخطط الاستعمار -طوال وجوده بالجزائر- مبنيا على إفراغ الشخصية الجزائرية من مضمونها القومي، لإحلال مضمون الشخصية الفرنسية محلها. وكان يشرف على تطبيق هذا المخطط أستانة الاستعمار الفرنسي، وهم متخصصون في العلوم الإنسانية، وعارضون بالدقائق الخفية للتركيب النفسي والاجتماعي للفرد.

كان هذا المخطط ذا حدين متوازيين متكملين: الأول مباشر، وهو غلق جميع الفرص أمام الجزائري الذي تمكنه من تعلم لغته الوطنية، وهذا يطبق في المدرسة على الخصوص؛ وخطورته ليست كبرى، لأنه مرئي مباشر يسهل على أي ملاحظ كشفه. ووضوحيه هذا جعل تاريخ بلادنا مليئاً بردود الفعل الإيجابية ضده، تمثل في حركات الإصلاح التي كانت تحت الشعب على تأسيس الزوايا، ثم المدارس الشعبية، للبقاء على لغته حية.

أما الحد الثاني للمخطط الاستعماري فهو غير مباشر، أي لا مرئي، وهذا جعل خطورته كبيرة، وجعل تاريخ بلادنا حالياً من أي رد فعل له. وهذا الحد نستطيع أن نوجزه في عبارة واحدة وهي: «إفساد الذوق الفني الجزائري في الأغنية والموسيقى والمسرح». أما الجهاز الذي أشرف على تطبيق هذه الخطة في ميدان الثقافة والفنون ببلادنا، فهو جهاز الإذاعة، ثم الإذاعة والتلفزة الفرنسية».

لقد رأى أساتذة الاستعمار الفرنسي أن الفن ليس كاللغة يستطيعون أن يشطبوه بحرة قلم، وذلك يجعل اللغة الفرنسية اللغة الرسمية بالتعليم والإدارة وجميع مظاهر الحياة بالجزائر، أي لا يستطيعون إلغاء الأغنية الجزائرية وإحلال الأغنية الفرنسية محلها، لأن الأغنية لا تلقن في المدرسة، وإنما الذي يستطيعون عمله هو التدريسي بالأغنية الجزائرية وبكلماتها، وبالمسرح ولغته، وبالموسيقى وصنعتها، إلى مستوى الرداءة؛ حتى إذا ما ثبتت الأجيال الجزائرية المثقفة مجتهاً وأذواقها، وانصرفت عنها إلى الأغنية الفرنسية والموسيقى الفرنسية. وهكذا نجح فرع الإذاعة، ثم الإذاعة والتلفزة الفرنسية بالجزائر في خلق "المدرسة الفنية الرديئة" ببلادنا.

ومن سوء حظ الفنون الجزائرية أن حركات الإصلاح نادت بتعليم اللغة العربية فقط بوسائل وإمكانيات الشعب، دون أن تهتم بالفنون، لأنها كانت تنظر إليها نظرتها إلى شيء حرام. وهكذا خلا الجو لمناضلي الاستعمار يمرحون كما يشاءون في هذا القطاع من الثقافة.

أما عن لغة المسرح أو الحوار المسرحي فإن اللهجات الجزائرية عموماً، وخاصة لهجة العاصمة، تعتبر أفق اللهجات قدرة على التعبير في العالم العربي، لماذا؟

الجواب بدائي ويسقط، لأن اللهجة في سوريا مثلاً لم تنفصل عن لغة المدرسة ولغة الثقافة ولغة الإدارة منذ خروج العالم العربي من العصور المظلم، بل بقيت مرتبطة بها تستمد منها المفردات التي تعبر عن عناصر المدينة الحديثة، واللغة العربية استمرت مستعملة في المدارس والإدارات وفيسائر مظاهر حياة سوريا والبلدان العربية الأخرى.

أما في الجزائر فمنذ 1830، تحولت اللغة الرسمية: لغة المدرسة والعمل ومظاهر الحياة (الرسمية)، إلى اللغة الفرنسية، أي حدث انفصال بين

لغة المدرسة والإدارة والعمل، ولغة الشارع، لغة الحديث العادي، ولم تجد اللهجة أو اللهجات الدارجة الجزائرية أمامها سوى اللغة الفرنسية، تستمد منها المفردات المعبرة عن عناصر المدنية الحديثة، ومن هنا جاء فقرها من جهة، وحشوها بالمفردات الفرنسية من جهة ثانية.

المسألة الثقافية منذ 1962:

من المعروف أن الاهتمام الجزائري في التنمية انصب على الجانب المادي الآلي في هذه السنوات الثلاثين من استقلال البلاد، والمتمثل في بناء المصانع والمؤسسات الاقتصادية، مع إهمال شبه تام للم جانب الثقافي والفنى، الذي يؤدي دورا رئيسيا في إنجاح أية خطة تنموية وتعزيز تأثيراتها، وفعالية ثمارها، ورعاية وصيانة منجزاتها. فقد بلغت حصة الثقافة في ميزانية الدولة عام 1978 (0,007٪)، أي سبعة في الألف. في حين تبلغ حصة الثقافة في ميزانيات الدول المتقدمة 3٪ والثقافة غير التعليم طبعا.

ومع غياب خطة ثقافية (علمية)، ترك العمل الثقافي يسير بطريقه عشوائيا لم يتخلص من رواسب العهد الاستعماري، فمفهوم الثقافة لا زال تسيطر عليه مفاهيم "المدرسة الرديئة" التي أوجدها أساتذة الاستعمار قبل الاستقلال. والتي لعبت - كما بينا - مؤسسة "الإذاعة، ثم الإذاعة والتلفزة الفرنسية" دورا حاسما في خلقها ورعايتها.

وتمثل مدرسة الثقافة والفن هذه فيما يلى:

١ - ترك الأغنية الجزائرية والموسيقى الجزائرية تسيران وفقا للصدق بين أيدي جيش من المؤلفين والملحنين (المزعومين) يقدر عددهم بالمئات، جلهم جاهل يأخذ ببساط مبادئ علم الموسيقى، ويترااث الفنون الشعبية، وباللغة الوطنية؛ وهذا الوضع أدى إلى نقل الأغاني والألحان الشعبية نقلا فوتografيا،

وعزفها بالألات الحديثة كما هي، وغنائهما بأصوات ينقصها في غالب الأحيان التهذيب، وتقديمها على شاشة التلفزة أو على موجات الإذاعة. ولابد لنا من استثناء بعض المحاولات الناجحة في الموسيقى أو الأغنية الجزائرية الحديثة. إلا أن الاستثناء غير القاعدة.

2 - في ميدان السينما:

بذللت جهود أسفرت عن إخراج أفلام حصلت على جوائز دولية وكفى.. أفلأ أقل ما يقال فيها تدخل في إطار (النخبة)، وأبعد ما تكون عن إطار (الطليعة). وصار هم مخرجينا التنافس على الدخول إلى الساحة الدولية، لصنع أفلام قليلة، تتفق عليها الدولة بسخاء بل وبيذخ وتبذير لم يعرفه أي بلد نام. وتحولت ميزانتيتنا إلى صنع مخرجين بالملالير، بدل إيجاد صناعة سينمائية جزائرية جماهيرية تساهمن في تربية جماهيرنا الأممية المختلفة، وتعمل على رفع مستواها، بواسطة جمهرة واسعة من الأفلام.

مخرجونا وممثلونا يجهل جلهم اللغة الوطنية، ولم يبذلوا أي جهد منذ الاستقلال لتعلمها. ولنتصور أن مخرجا أو ممثلا روسييا يجهل اللغة الروسية، ومخرجا أو ممثلا فرنسيسا يجهل اللغة الفرنسية ولا يعرف كتابتها، ومخرجا أو ممثلا إيطاليا يجهل اللغة الإيطالية ولا يعرف كتابة اسمه بحروفها.. لكن هذا الوضع نجده قائما في الجزائر، وينظر إليه على أنه شاذ مؤقت ينبغي إزالته، وإنما ينظر إليه على أنه باق وأبدي. مخرجون جزائريون كبار وممثلون كبار يجهلون كتابة أسمائهم بالعربية، ولا يتحدثون ولا يمارسون عملهم إلا باللغة الفرنسية. وبمجرد أو أوقفت الدولة تمويلها للأفلام، مات هؤلاء المخرجون فنيا.

ونجم عن هذا الوضع إهمال دور الكلمة في الفيلم الجزائري، ودور الكلمة حاسم في أي صنعة سينمائية، لأن الفن السينمائي (كلمة وصورة). بالكلمة نستخرج مكونات النفس البشرية التي تعتبر عالما بأسره، وبالكلمة تبي ث مبادئ

قيمنا ويحدث إقناع الناس بها، ثم ألم يميز الإنسان عن الحيوان بالنطق؟ ألا تعتبر نقطة التحول الخامسة في تاريخ البشرية اكتشاف الحروف الأبجدية على أيدي أجدادنا الفينيقيين؟ ألم يجد الموسيقار الألماني العظيم "لайдفينغ بيتهوفن L. Beethoven" نفسه عاجزاً عن التعبير عما يريد بالألغام الموسيقية فقط، فأدخل أصوات المجموعة (الكورال) في الحركة الأخيرة من سinfونيته الحالدة التاسعة، لتقوم بإنشاد قصيدة (الفرحة الإلهية) للشاعر الكبير "شيلر F. Schiller" خارقاً بذلك سائر قواعد وأصول الصنعة السمعونية في عصره؟

ومنذ الاستقلال وقاعات السينما التي تملكها جميعاً الدولة تعرض أفلاماً ناطقة بالفرنسية، وهذا أمر غريب، فالسينما التي تعتبر أكبر أدلة تحكم في أدوات الناس وميولهم وتربيتهم في العصر الحديث، لازالت تسيطر عليها سيطرة مطلقة لغة مستعمرنا السابق. كل فيلم سواء أكان روسيا أو إيطاليا أو أمريكا يعرض في قاعات السينما أو على شاشة التلفزة ناطقاً باللغة الفرنسية. ومعنى أن الفيلم السينمائي الأجنبي المعروض بالجزائر حكر على الذين يعرفون الفرنسية فقط، ومن لا يعرف هذه اللغة لا يحق له أن يشاهد فيما سينمائياً، والمواطن الذي يعرف اللغة الوطنية فقط محكوم عليه أن يحرم من مشاهدة فيلم أجنبي بالجزائر؟ وهذا أمر يتناقض مع أبسط مبادئ الاستقلال والسيادة.

إن الرومان والكوبين والألبانيين يعرضون أفلاماً إما ناطقة بلغاتهم أو مترجمة كتابة عن هذه اللغات. فألمانيا مثلاً منعت منذ أكثر من عشرين سنة بث فيلم أو مسلسل إذا لم يكن مدبلجاً أي ناطقاً بالألمانية.

إن المسألة لا تكمن في تعريب نشرة الأخبار الرئيسية بالتلفزة، ولا في تعريب نقل مباريات كرة القدم على الشاشة الصغيرة، فهذا إن الإجراءان مهمان، لكن أهم منهما تعريب قطاع العروض السينمائية.

3 - إذا انتقلنا إلى ميدان الصحافة المكتوبة وجدنا أن عهد الاستقلال قصر كثيرا في ميدان الكلمة المكتوبة بالعربية، فنشر الكتاب ضئيل يكاد لا يذكر. وحتى استيراد الكتب لا يتم إلا في حدود ضيقه وخاصة إذا كان كتابا عربيا.

أما الصحافة فإن من يطلع على الإحصائيات يكتشف الأرقام المهولة، التي تشير إلى انتشار ساحق للصحافة المكتوبة بالفرنسية، على حساب الصحيفة بالعربية، لا لأن قراء الفرنسية كثيرون وإنما لأن 90 % من الإعلانات التي تصدر عن القطاع العام التي تمثل 80 % من الإعلانات بالبلاد تعطى للصحف الفرنسية. ثم إن هذه الصحف أسست بأموال الدولة في نهاية الثمانينيات، إن هذه الأرقام تدل على أن التيار المناهض للغة العربية وللثقافة العربية، وللحرف العربي، هو الذي يسود إعلامنا بتشجيع من الدولة.

إن عرض الفيلم الأجنبي السينمائي بالفرنسية، واتساع انتشار الصحافة المكتوبة باللغة الفرنسية على حساب انتشار الصحافة المكتوبة باللغة الوطنية، واستمرار سيطرة اللغة الفرنسية على الإدارة والوحدات الإنتاجية، وعلى العلوم والتكنولوجيا وعلى مراكز البحث عندنا، ونظرية الاحتقار التي ينظر بها للمثقف باللغة الوطنية، وعدم توظيف حاملي الشهادات المعربة، واستمرار مراكز التكوين في العمل بالفرنسية، كلها أجزاء في صورة واحدة كاملة متکاملة، إذا أوجزنا معانيها قلنا بأنها: «سيطرة مطلقة للغة مستعمرنا السابق علىسائر مرافق حياتنا وحقول العمل باقتصادنا»، وهذا أمر يتنافى مع أبسط مبادئ الاستقلال والسيادة، ومع نجاعة فاعلية مخططات التنمية.

ما هي الثقافة الوطنية المنشودة؟

لا يمكن أن تكون لنا لغة فن مسرحي وسينمائي، إلا إذا كان المؤلف والممثل والخرج يتقنون اللغة العربية. والمؤلف الذي يحسن العربية يكون

قادراً على القيام - أثناء تأليفه - بعملية استبدال الكلمات الفرنسية من اللهجة الجزائرية بكلمات عربية، وبعملية تقويم بصورة عامة لما أعوج وشوه في لهجتنا من جراء الاستعمار الثقافي واللغوي الطويل.

وإذا كانت اللهجة الدارجة العربية تصلح للحوار المسرحي أو الأغنية في البلدان العربية الأخرى، فهي لا تصلح أن تقوم بهذه الوظيفة بالجزائر، وذلك لتدني لهجة العاصمة على الخصوص، ولهجة العاصمة في أي بلد هي التي تسود على سائر اللهجات الأخرى.

ثم إن الدعوة للدارجة تتناقض مع أبسط المبادئ التقدمية، فماركس يقول: «بضرورة وجود لغة وطنية لأمة ما، كشكل أعلى تخضع لها أشكال أدنى من اللهجات».

وفي مناسبة أخرى يقول ماركس: «إن تمركز اللهجات في لغة وطنية واحدة هو نتيجة للتركيز الاقتصادي السياسي للبلاد»⁽¹⁾. ويروي ستالين: «أن إنجلز يتحدث عن اللهجات وهو على علم تماماً أنها فرع من اللغة الوطنية، وأن اللهجة لا يمكن أن تحل محل اللغة الوطنية»⁽²⁾.

إذن فمحاولة رفع شعار اللهجة بديلاً للغة الوطنية باسم التقدمية بالجزائر لا يعتمد على أي أساس، ومحاولة جعل الرجالين الشعبيين شعراء كاملي الشاعرية كما تحاول مهرجانات الفولكلور ثبيته أمر مشبوه، يدخل في إطار مناهضة التعرّيف، ويتناقض مع أبسط المفاهيم التقدمية.

لقد بدأت الجزائر تعليم اللغة العربية بمدارسها الرسمية منذ ثلاثين سنة فقط. تعلمها كلغة دون أن تتيح لها فرصة ممارسة الحياة اليومية العملية... وتلزمها عدة عقود من السنوات، لكي تهذب لهجة العاصمة وتشري وتطوع وتكتسب المرونة

(1) الماركسيّة وقضايا علم اللغة، ستالين، موسكو، 1950.

(2) نفس المصدر.

التعبيرية، وتصبح لهجة جديدة في إمكانها أن تستعمل بالحوال المسرحي أو بعض برامج الإذاعة، مثلما هو جار في مصر أو سوريا مثلاً...

أما عن ثنائية اللغة، لغة المدرسة والثقافة، ولغة الشارع، التي يحاولون التهويل منها، فإنها ظاهرة توجد حتى في البلدان المتقدمة. فلغة "أندريه مالرو A. Malrou" غير مفهومة من سواد الشعب الفرنسي... بل إن النقاد الفرنسيين يصنفون الكتاب الفرنسي إلى نوعين: نوع يكتب بلغة خاصة وللخواص كـ"مالرو A. Malrou" وـ"مورياك F. Mauriac" وـ"سارتر J. P. Sartre". ونوع آخر يكتب بلغة فرنسية بسيطة أقرب إلى لغة التخاطب مثل "أragون L. Aragon". فال ثنائية اللغوية توجد في أي بلد بالعالم... دور رجال تربيتنا وكتابنا، وصحفيينا ينبغي أن يقوم بتبسيط لغة المدرسة ولغة الثقافة تبسيطاً يكون أقرب إلى لغة التخاطب، وهذا ما يجري بالجزائر وسائر أقطار الوطن العربي. من قال إننا نكتب بلغة أمرئ القيس والشافعي؟ إن أقرب طريق لإيجاد لغة مرنة بسيطة هو الاستعمال اليومي للغة العربية بالإدارة والمصنع والمزرعة وغيرها من الوحدات الإنتاجية، مع عملنا الدائب على صقلها، وتيسيرها، وتقريبها من لغة التخاطب، لأن نرسم صورتها المشوهة التي كانت نتيجة لتخلف القرون المظلمة، ولعهد طويل من استعمار ثقافي ولغوی.

دور الفنون الشعبية:

إذا سلمنا بأن لغة التعبير عن أشكال الثقافة لابد وأن تكون العربية مع استبعاد الفرنسية، فإن رجال الثقافة ببلادنا أدباء وفنانين ملزمون بأن يؤسسوا ما يكتبون، وما يؤلفون، وما يلحظون على أساس شرعي، أي شعبي، أي على أساس التراث الشعبي والفنون الشعبية. أي ما يسمى (بالفولكلور). فالموسيقار الألماني "برامز J. Brahms" برقصاته المجرية. والموسيقار

الفرنسي ذو الأصل الروسي "سترافنزي" I. Stravinsky "بيتروشكاه" وطائره النارى، وبقربان ربيعه؛ والموسيقار الإسبانى "إيمانوال ديفايه M. Defalla" بسمفونيته "ليال فى رياض الأنجلس". والموسيقار الإيطالى "فيردى G. Verdi" بأوبراه "ريجو ليتو"؛ والكاتب资料 الفرنسي "بالزالك H. Balzac" ، والسكوتلاندى "ولتر سكوت W. Scott" ، والروسي "جوركى M. Gorki" ، برواياتهم. وغيرهم من الموسيقين والأدباء الكبار، أمثلة حية على بناء فن وأدب مرتكزتين على أساس شرعي أي شعبي.

فالأديب ينبغي ألا يكتب إلا إذا قرأ العشرات من القصائد الشعبية والأمثال والحكم الشعبية، والملحن ينبغي عليه ألا يلحن إلا إذا استمع إلى العشرات من الألحان الشعبية، وأن تأتي أغنته أو قطعته الموسيقية مرتكزة على تراثنا الشعبي مثلما تفعل مدرسة (الأخوين رحباي) بلبنان؛ ومثلكما فعلت مدرسة سيد درويش في مصر. ومدرسة الملا عثمان الموصلى بالعراق.

نفس الشيء ينبغي أن يتم في ميدان الرقص. وأفضل مثل يحتذى هو مجموعات الرقص الشعبي في البلدان الاسترالية.

إن إيجاد أدب وفن جزائريين شععين لا يكمن في الانغلاق في التعبير باللغة الفرنسية بطريقة اللقطات السياحية؛ ولا يكمن أيضاً في الكتابة السلفية بعقلية متحجرة؛ ولا يتحقق هذا الأدب أو الفن المنشود إلا إذا كان الأديب أو الفنان الجزائري مالكا للغة العربية يستعملها كأداة للتعبير من جهة، ومرتكزاً على التراث الشعبي من جهة ثانية.

بعد الاستقلال، قام المسؤولون على وزارة الإعلام والثقافة بتجربة في الاهتمام بالفلكلور، غلب عليها الطابع السياحي بدل الطابع الجاد، وتمثلت هذه التجربة في (مهرجانات الفولكلور) التي عرضت - بالساحات العامة

للمدن الجزائرية، وعبر شبكات (الأوروبيزيون) بأروبا - رقصات شعبية خاما كما هي دون تهذيب أو تشذيب... وهو أمر لم يسبق لبلد أن قام به. ومن المؤسف أن المسؤولين في وزارة الإعلام والثقافة أعادوا هذه التجربة في سنة 1978 وكذلك سنة 2000.

كان من المفروض على هؤلاء المسؤولين أن ينفقوا هذه الأموال لا على مهرجانات آنية قد تولد ردود فعل تذوقية سلبية لدى سكان المدن إزاء الفنون الشعبية. وإنما المفروض أن ينفقوها على عملية جمع هادئ رزين للفنون الشعبية، بالقلم وآلة تسجيل الصوت، وآلة التصوير، لكل ما قيل من زجل وحكم وأمثال، ولكل ما غني من أغان، ولكل ما عزف من ألحان موسيقية، ولكل رقصة شعبية وطلة فروسية. ثم وضعها في مكتبات للتراث الشعبي في كل مدينة وقرية، تكون في متناول أدبائنا وملحنينا، ومؤلفي موسيقانا الحاليين والمستقبلين؛ وهذا ما سبقت أقطار العالم إليه البلدان الإسكندنافية، التي تعتبر أول أقطار العالم اهتمت بالفولكلور، منذ القرن السابع عشر.

والعقلية السياحية الموروثة عن مفهوم الفنون الشعبية في العهد الاستعماري، التي سيطرت على مبتكري أسلوب هذه المهرجانات السياحية، أهملت أهم شيء يميز تراثنا الشعبي بالعالم ألا وهو الموسيقى التصويرية الشعبية، لأن تذوق ومعرفة هذا النوع الراقي من موسيقانا الشعبية يتتجاوز القشرة السياحية للثقافة، أو لما يسمى بالثقافة، ويتطبع تعمقا متغللا في الذات الجزائرية والثقافة الشعبية الجزائرية، وهذا لا يكون إلا إذا كان الباحث مالكا لغة الوطنية. ولم تسجل لنا مهرجانات (الفولكلور) المذكورة قطعة واحدة من موسيقانا التصويرية الشعبية التي ينعدم وجودها في أي (فولكلور) بالعالم. بل إن التصوير بالموسيقى كان قمة ما وصلت إليه الموسيقى الكلاسيكية الأوروبية عندما أفرز تطورها ما يسمى

في علم الموسيقى (بالقصد السمعوني). وهذه القطع التي لم تكشفها مهرجاناتنا رغم شهرتها وانتشارها هي: (الأسد... والنحل... والخيل... والإبل... واللحن بوبسع ريشات.. ولحن محمد بن أحمد.. والركروكي بترقيته...) إلى غير ذلك، من روائع موسيقانا الوصفية الشعبية، التي تؤدي بالآلة (القصبة)، دون أن ترافقها كلمات؛ فتروي أساطير، أو ترسم حياة حيوان، أو حياة فنان.

إن الهيبة الثقافية الفنية ببلادنا لا بد وأن ترتكز -في رأيي- على خمسة عناصر: أولاً: عنصر اللغة العربية الفصحى المبسطة طبعاً، في التعبير، نظراً لأن لهجة عاصمتنا فقيرة، بسبب طول سيطرة الاستعمار الثقافي اللغوي على بلادنا. وعنصر تراث اللغة العربية.

ثانياً: عنصر الفنون الشعبية التي لا بد وأن تقوم بجمعها سواء المكتوب منها أو المنغوم أو فنون الإيقاع. نجمعها في مكتبات على مستوى كل ولاية حتى يجد فيها ملحنونا ومؤلفونا مادة لإقامة أدب أو فن شرعي، مرتبط بالأرضية التاريخية والاجتماعية لشعبنا. وينبغي أن نكف عن نقل هذه الفنون خاماً كما هي، أمام سكان المدن في المهرجانات الفولكلورية التقليدية، التي انتشرت في عهد الاستقلال.

ثالثاً: إقامة معاهد على أساس علمية جادة لفن التمثيل المسرحي، والسينمائي، وفن الموسيقى. معاهد قادرة على إخراج جيل من الملحنين والمؤلفين والممثلين، يملكون الأدوات التقنية للصناعة السينمائية والمسرحية والموسيقية.

رابعاً: عنصر التربية الإسلامية بالارتكاز على قيم ديننا الحنيف.

خامساً: عنصر الحس القومي الوحدوي، أي جعل ثقافتنا ترتكز على العمل القومي الوحدوي، وتعمل لتحقيق هدف استراتيجي وهو الوحدة العربية. فالوحدات القومية الكبرى التي تحافت في التاريخ الإنساني المعاصر، كالوحدة

الألمانية، والوحدة الإيطالية، والوحدة البولونية، تحققت بفضل مساهمة المفكرين والكتاب والفنانين الألمان والإيطاليين والبولنديين. ولمدة عشرات السنوات، في تحقيق الحس الوحدوي القومي لبلدانهم.

وهذا العنصر يأتي في صميم الميثاق، فقد ورد فيه ما يلي:

«إن الجزائر تعمل جادة في سبيل الوحدة العربية. وتؤمن بإمكانية تحقيقها، لأنها أصبحت في عهد التجمعات الكبرى، مطلباً مستعجلأً لرقي الشعوب العربية، ويدل تاريخ السنوات الأخيرة، على أن الأحداث تتطور لصالح هذه الوحدة، وقد مضى الوقت الذي كانت تبدو فيه مجرد وهم».

حوار حول

مقومات الشخصية الوطنية الجزائرية

في إطار حملة إعداد ملف السياسة الثقافية بأجهزة الإعلام الجزائرية خلال النصف الأول لسنة 1981. نشرت جريدة المجاهد، والشعب يوم 5 / 3 / 1981 مقالاً بعنوان: «تأملات حول الشخصية الوطنية الجزائرية» بقلم ابن الحكيم⁽¹⁾. وقد حاور المؤلف الأفكار والتحليلات التي تضمنها المقال المذكور، ونشر هذا الحوار في جريدة الشعب بعديها 4 و 5 أفريل 1981⁽²⁾.

مسألة قرطاج:

الملاحظة الأولى التي أود تقديمها للأستاذ (ابن الحكيم) أن موقع قرطاج من تاريخ بلادنا يختلف عن موقع روما، لأنني فهمت من سياق مقاله، أنه يضع قرطاج وروما في كيس واحد وهو الكيس الاستعماري، لقد قال: «وبيني أن نؤكد أن الرومان لم يتمكنوا أبداً، وكذلك القرطاجيون بطبيعة الحال، من احتلال البلاد ككل...».

إن روما إمبراطورية مستعمرة بالنسبة لنا نحن المغاربة. بينما قرطاج ليست كذلك. إن الإمبراطورية القرطاجية هي ثمرة تزاوج الفينيقين والبربر، الذين يعودون إلى أصل واحد وهو الأصل السامي (أي العربي القديم). فالفينيقيون عندما كانوا في الساحل السوري، كانوا يسمون فينيقيين فقط. لكن عندما انتقلوا إلى الساحل المغربي وتمازجوا مع العنصر البرברי (المحلي) مدة قرون، انبثقت عن هذا التمازج حضارة جديدة، هي الحضارة القرطاجية، فأثروا في البربر بحيث ساعدوهم على الخروج من العصر الحجري الحديث. وتأثروا بالبربر فاكتسبوا عادات وتقالييد بل ومعتقدات منهم. ويقاد سائر المؤرخين يجمعون على أن البربر، في الوقت الذي كانوا يرفضون فيه التفاعل

(1) ابن الحكيم هو الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي.

(2) ليلاحظ القارئ الكريم أن هذا الحوار دار قبل خمس عشرة سنة، وأن المحاذير التي ذكرتها على إثره الزعنة البربرية تحققت وبوحدة، فحتى ثلاثة الهوية المتمثلة في (العروبة والإسلام والأمازيغية) يُتجه الآن لتحقيقها دستورياً. ولا أترى ما موقف الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي الآن، الذي لا يشك أي مواطن في وطنيته الصادقة.

مع روما كجسم غريب عن كيأنهم. تفأعلوا وانفعلوا مع سائر العناصر السامية مثل الفينيقيين، والمصريين القدماء:

- 1) لقد حكم البربر مصر القديمة ما يقرب من ثلاثة قرون، عندما أسس ششنق الأول (البربري)، الأسرة الفرعونية الثانية والعشرين عام 950 ق.م، واستمر حكم البربر لمصر خلال الأسرة الثالثة والعشرين أيضاً. وبهذا فإنني كمغربي (وبريري) أعتبر نفسي مساهمًا في الحضارة المصرية القديمة بأهراماتها ومومياها وثقافتها الراقية.
- 2) لقد عبد القرطاجيون الإلهة البربرية (ثانيت) وهي إلهة الإنتاج والخصوبة عندهم، يؤكّد أصلها البربري أو ببربريتها المؤرخ البريطاني "وارمينغتون B. H. Warmington"⁽¹⁾، كما كانوا يمارسون عادة الوشم وهي عادة بربرية ذات معتقدات دينية. الهدف منها في الأصل إبعاد الأرواح الشريرة.
- 3) أن البربر يعتبرون شركاء الفينيقيين في الفتوحات الحضارية القرطاجية على الساحل الإفريقي الغربي، والساحل الأوروبي الغربي، وعلى الساحل البرازيلي بأمريكا، مثل رحلة (هانو) التي تمكّن فيها البحارة الرواد القرطاجيون من الوصول إلى ساحل كونغو، والتي لازال نص أثري يوناني يشهد عليها، بعد أن ضاع النص البونيقي، وعنوان النص: (تقرير عن رحلة "هانو" ملك القرطاجيين إلى أجزاء من إفريقيا، فيما وراء المضيق "جبل طارق" والذي قدمه إلى معبد الإله بعل).
- 4) تمكّنت في نفس الفترة الزمنية رحلة قرطاجية بقيادة (ماجو) من عبور الصحراء الكبرى ثلث مرات، والوصول إلى منطقتى النيجر والسنغال، ولا يمكن لـ (ماجو) أن يقوم بهذا الاستكشاف التاريخي الكبير بدون مساعدة القبائل البربرية البدوية، قبائل الجدالة.

(1) قرطاج، وارمينغتون، ص 129 (لندن 1960) (بالإنكليزية).

5) إن عبور القرطاجيين للمحيط الأطلسي ووصولهم إلى الساحل الأمريكي، وتأسيسهم هناك لحضارة "ماية"، التي لازالت تشهد عليها نصوص أثرية، يعتبر إنجازاً بريرياً أيضاً.

6) يقول المؤرخ المصري "رشيد الناصوري": «عندما اتصل الفينيقيون بالبربر، الذين كانوا لا يزالون في مرحلة العصر الحجري الحديث، بدأت العلاقات الفينيقية - البربرية في التطور في المجالات الاقتصادية والحضارية، مما ساعد على انتقال البربر من المرحلة القبلية البدائية، إلى مراحل أكثر تقدماً، نحو تكوين دولة ببربرية أثناء العصر القرطاجي⁽¹⁾ كما أن صناعة البرونز والجاج والعظم والأصياغ، وخاصة اللون الأرجواني منها، المستخرج من الأصداف البحرية، من ابتكار الفينيقيين، نقلوها إلى أي بلد ووصلته فتوحاتهم⁽²⁾. أما الزراعة واستئناس الحيوان فالمؤرخون يتفقون على أن العرب القدماء، أو الساميين، هم روادها الأول، يقول المؤرخ البريطاني (ديورانت): «إن هناك ما يدل على أن الحضارة وهي هنا زراعة الحبوب، واستخدام الحيوانات المستأنسة، قد ظهرت في العهود القديمة غير المدونة في بلاد العرب، ثم انتشرت منها في صورة مثلث ثقافي إلى ما بين النهرين: سومر وبابل وأشور وإلى مصر»⁽³⁾.

ومن غير شك فإن هذه الاستكشافات قد وصلت المغرب عن طريق الفينيقيين والهجرات السامية.

7) تأثير القرطاجيون بالثقافة الإفريقية الزنجية أيضاً، حيث كانوا - مثلاً - يصارعون القوى الشريرة، التي تهددهم وتهدد أنفسهم كأفراد وجماعة، باستعمال أسلوب يرجع في أصوله إلى إفريقيا الزنجية، وهي صنع أقنعة

(1) رشيد الناصوري، المغرب الكبير، ص 221، القاهرة 1966.

(2) المرجع السابق.

(3) قصة الحضارة، ديورانت، ص 43، الترجمة العربية، ج 2.

طينية تحمل صوراً شيطانية، يلبسها الإنسان أو يضعها في منزله أو مقبرته، لإخافة هذه القوى الشريرة وطردها؛ ويعتُبِر المؤرخون الرأي القائل بأن توصل القرطاجمين إلى هذا التقليد، كان نتيجة اتصالهم التجاري والحضاري البري والبحري مع إفريقيا الزنجية، وهذا يعطي قرطاج صفة الدولة الإفريقية، لا جغرافياً فقط، وإنما ثقافياً أيضاً.

8) عندما دمر الرومان قرطاج بالتعاون مع عمالئهم بالمغرب -وتدمير قرطاج جريمة إنسانية حضارية وكارثة مغربية- تمكن عقلاً البربر والأصالة منهم، من إنقاذ مكتبة قرطاج من التدمير، هذه المكتبة التي صارت من نصيب البربر، استكمالاً واستمراً لأداء الوظيفة الحضارية والثقافية والفكريّة (الشرقية) التي كانت تقوم بها قرطاج، والتصدي للمؤامرة الرومانية المتمثلة في قطع المغرب عن أصوله المشرقة، ليتم ربطه نهائياً بأوروبا سياسياً، وثقافياً، وحضارياً، أي لتم رومنته بالكامل. وبقي البربر يمارسون الثقافة الشرقية المتمثلة في البوئيقية، ويعبدون آلهتهم وألهة قرطاج⁽¹⁾. كما استمرت جامعة قرطاج رغم تحويل هذه المدينة إلى عاصمة الإدارة الاستعمارية الرومانية بالمغرب، تشعل إشاعات حضارية شرقية، الأمر الذي جعل كاتباً نوميدياً "كابوليوس" (125 - 180 م) يشعر وهو في قرطاج أنه يقيم في بلده بل وفي بيته⁽²⁾.

فهذه العناصر الشمانية التي أعرضها على الكاتب المحترم (ابن الحكيم) دليل قاطع على أن دولة قرطاج كانت دولة مغربية، جنوب بحر متوسطية، إفريقية. ومن هنا أخلص إلى أن الرد الفعال على مقوله الرئيس جيسكار دستان لدى زيارته للجزائر، ليس في سرد أسماء (مسينيسا ويوبا الأول، ومسيسا، فقط)، وإنما بالتأكيد على عمقنا الحضاري الشرقي، وعلى انتمائنا إلى أعرق حضارة عرفتها

(1) رشيد الناضوري، ص 286.

(2) موسوعة بوتفارساليس، م 2، ص 181 (فرنسي).

البشرية، وإلى الأصل السامي الذي كان المعلم الأول للإنسان، ألم يتذكر أحدادنا الكنعانيون الكتابة سنة 1850 ق.م، هذه الكتابة التي طورها القرطاجيون -أي نحن- ونشروها في أروبا والعالم فيما بين 850 و750 ق.م.⁽¹⁾ إن الرد الفعال على تلك المقوله هو أنه في الوقت الذي كان فيه الساميون أجدادنا يمارسون حضارات راقية، كانت فيه أروبا لازالت مغطاة بالجليد، أي في طي العدم بما فيها فرنسا.

إنني أتفق معكم عندما تقولون: «فنحن في أشد الحاجة إلى إعادة النظر في تاريخنا»، أو فيما كتب من تاريخنا، إن التوجيه الخفي لكتابات تاريخنا الذي بدأه المؤرخون الرومان وأكمله المؤرخون الفرنسيون، هو المتسبب في إسدال ستار من التعتيم على الزعيم النوميدي سيفاكس الذي لم أجده له أثراً في مقالكم. «سيفاكس» زوج حسنة عصرها (صفان بعل) ومعناها بالبونيقية (صفاء الله) وهي عبارة عربية كما ترى. «سيفاكس» الذي استشهد والسيف في يده دفاعاً عن قرطاج، المملكة المغربية الإفريقية، ضد روما الأروبية الغربية المستعمرة، ومن الغريب أن «أبوليوس» الكاتب النوميدي (الجزائري) الذي ولد في مدينة «مداوروش» سنة 125 م، قد اكتشف بحسه الوطني، اضطهاد ذكرى «سيفاكس» من طرف المؤرخين الرومان، فأعاد لها الاعتبار في كتبه، متجاهلاً شقيقه «ماسينيسا»، الأمر الذي جعل الحكماء الرومان يضطهدون «أبوليوس» ويحاكمونه. ولا أبالغ إذا قلت بأن «أبوليوس» هو في مستوى «هوميروس» و«اسخيلوس»، اليونانيين و«فيرجيل» اللاتيني. وملحمةه «الحمار الذهبي» سماها النقاد الأوروبيون بـ «الإلياذة الأفلاطونية». لكن المؤرخين الرومان، أسدلوا على هذا الكاتب ستاراً من التعتيم فور ثنا ذلك عنهم.

ألم يطرح الأستاذ (ابن الحكيم) على نفسه السؤال التالي: لماذا بعد قرون طويلة من الإسلام والتعریب عاد الأتراء أتراكا، والفرس فرسا، رغم أن الأمتين

(1) حضارة العرب ومراحل تطورها عبر العصور، أحمد سوسة، بغداد 1979.

التركية والفارسية تقعان على أطراف الجزيرة العربية، بينما تعرّب البربر في نصف قرن فقط، واستمرّوا عرباً حتى الآن، رغم بعد المسافة بين الجزيرة العربية والمغرب العربي؟ الجواب عندي، هو أن البربر ساميون، وأن كل الحضارات السامية، مثل المصرية القديمة، والقرطاجية، إنجازات شارك فيها البربر، ولهذا فعندما جاء العرب وجد البربر فيهم إخواناً لهم يعودون معهم إلى أصل واحد، فكُوئنوا معهم هذا التجمع العربي الكبير المسمى بالأمة العربية، وهذا هو الذي عنده الشيخ البشير الإبراهيمي بقوله: «... وكان الأمم التي كانت تغطي هذه الأرض (الشمال الإفريقي) قبل الاتصال بالعرب كانت مهيأة للاتصال بالعرب، أو كان وشائج من القربي كانت مخبوعة في الزمن، فظهرت لوقتها، وكانت نائمة في التاريخ فتبهت لحينها».

إذن فتصنيف قرطاج في صف المحتل والمستعمر هو من خلق مؤرخي الاستعمار الروماني، ثبته فيما بعد مؤرخو الاستعمار الفرنسي، ليقطعنوا عن جذورنا الحضارية السامية الشرقية قبل الإسلام، والعربية بعد الإسلام، وليسهل لهم تحقيق رومنة نوميديا في العصر الروماني، وفرنسة الجزائر في العهد الفرنسي، وجعلها تدور بلا جذور، في ظل الفرنكوفونية، بعد الاستقلال.

المسألة البربرية:

أما المسألة الثانية التي أود مناقشة الأستاذ (ابن الحكيم) فيها فهي المسألة البربرية، وأنا أناقش هذا الموضوع بلا عقدة، لأنني من الذين يقال عنهم ببربر، من الشاوية، من منطقة الأوراس النمامشة، التي أنجبت سائر زعماء البربر: من يوغرطا وتاكفاريناس، وحتى "كسيلة" وـ"الكافنة". فتسمية "كسيلة" الأصلية شاوية، اسمه الحقيقي في رأيي (آكسل) وهذه الكلمة تعني في اللهجة الشاوية النمر، بل إن سائر المفكرين ابتدأء من "أبوليوس" النوميدي الأصيل، حتى

"تيرولييان" و "فيليكس" و "أوغسطين" المتروليين، كلهم من مدينة مداروش التي تقع في منطقة الشاوية. هؤلاء الشاوية، الذين يصرون، والآن أكثر من أي وقت مضى، لا يوصدوا إلا بصفة عربي.

يذكر الأستاذ (ابن الحكيم) أحياناً عبارة "البرير الأفتح" وأحياناً يذكر كلمة "الأمازيغ" وأحب أن أؤكد أن البرير، عرب في أصولهم، عرب في لهجاتهم، عرب في مشاعرهم. وأنا أرفض كشاوي أن أوصف بالبريري، وأصرّ لا أوصف إلا بالعربي المسلم. بل إن التجمعات البريرية من صحراء سيبة في مصر وحتى المحيط الأطلسي، يتذمرون أسماء إما جغرافية وإما مهنية (كالشاوية، وبيني مزاب...). أما كلمة "أمازيغ" فهي كلمة لا وجود لها إلا بالقاموس العربي، فكلمة (الأمازير) تعني: الأقواء أشداء القلوب، وقد أورد لسان العرب بيتين من الشعر للأخفش، وردت فيهما هذه الكلمة، قال:

إليك أبنة الأعيار خافي بسالة الـ^١
رجال وأصلالُ الرجال أقصاصُه
ولا تذهبن عيناكِ في كل شرمـع
طوالِ فإن الأقصريـن أمازـره^٢
فكلمة أمازيغ الكلمة العربية أصيلة.

البرير عرب كما قلت. سائر النسبة البرير الذين ذكرهم حتى ابن خلدون في تاريخه، ينسبون قبائلهم إلى أصول عربية. المؤرخون العرب، يؤكدون ذلك، بل إن المؤرخين وعلماء اللغة الأوروبيين "التزهاء طبعاً" يؤكدون ذلك أيضاً. "باسيه" الفرنسي يقدر عدد اللهجات البريرية بخمسة آلاف لهجة، ويقول: « بأنها كلها ماضروبة بالطابع العربي »^(٢).

مؤرخو مادة بربر بموسوعة "يونيفراساليس Universalis" الفرنسية يقولون: « أن اللغة البريرية في استعمالها الحالي، هي امتداد لصيغ اللغة العربية »^(٣)، كما

(1) لسان العرب، ابن منظور، ج 7، ص 20.

(2) ص 171 موسوعة يونيفراساليس، ج 3.

(3) المرجع السابق.

يؤكدون أيضاً: «بأن الأداب البربرية الهزلة الشفوية البحتة، تتكون من أساطير من الحيوانات، ومن قصص خرافية وأغان تقليدية أو مرتجلة، والواضح فيها كلها أنها مستمدة من المشرق العربي»⁽¹⁾.

المؤرخ الأمريكي «وليام لانغر» يقول: «وتتصل اللغة المصرية القديمة واللغات السامية، ولغات البربر بأصل واحد»⁽²⁾.

«غوستاف لوبيون» الفرنسي، يقول: أن لغة البربر العربية في القدم يحتمل أن تكون مشتقة من الفينيقية⁽³⁾.

«روسلر» الألماني، يقول: «إن اللغة النوميدية لغة سامية، انفصلت عن اللغات السامية في الشرق، في مرحلة مفرقة في القدم، ثم تطورت بعد ذلك في اتجاه خاص جعلها تبدو مختلفة عن باقي اللغات السامية، واعتبر «روسلر» كثيراً من الجوانب الصوتية والصرفية والمعجمية في اللغة النوميدية القديمة، عبارة عن تغيرات حدثت بعد انفصالتها عن الأصل القديم المشترك. وقد أوضح «روسلر» اشتراق كثير من الكلمات النوميدية على أساس المقارنة باللغات السامية بالمشرق»⁽⁴⁾.

عالم اللغات القديمة الأمريكي «غرينبرغ» والأستاذ بجامعة إنديانا الأمريكية يشير إلى الكثير من هذه الصفات المشتركة في البنية اللغوية وال نحوية بين البربرية والعربية في كتابة «لغات إفريقيا»⁽⁵⁾.

الدراسات المعجمية التي قمت بها أسفرت عن أن جل الكلمات البربرية إن لم تكن كلها، لها وجود في قاموس اللغة العربية، وأنا أجيد العربية والبربرية (الشاوية)⁽⁶⁾.

(1) المرجع السابق.

(2) الموسوعة التاريخية، وليام لانغر، الترجمة العربية، ج 1، ص 45.

(3) حضارة العرب، غـ، لوبيون، الترجمة العربية، ط 2، ص 301.

(4) مجلة الشرق، (الطبعة الألمانية) مجلد (1964)، ص 199 - 216.

(5) غرينبرغ، لغات إفريقيا، جامعة إنديانا، 1966 (إنكليزي).

(6) راجع البحث «الأصول العربية للبربر».

السعيد الزاهري، نشر سنة 1934 مقالاً بمجلة المقتطف المصرية، عنوانه (هل البربر عرب؟) أكد فيه الأصل العربي للبربر، وللغة البربرية، التي سماها لغة الضاد، كالعربية، لوجود حرف الضاد بها⁽¹⁾.

قال ابن الحكيم: «وكما أن الأروبيين درجوا في العصر الوسيط على تعجيز الأسماء العربية حتى أصبح القارئ لا يعرف أن "أفسيان" هو ابن سيناء، وأن "أفيرويس" هو ابن رشد، فكذلك نجد أن تعریب الأسماء البربرية من بعض المؤلفين، جعل الناس يظنون أن القبائل والسلطات الملكية ورجال الفكر، والقادة العسكريين، الذين يحملون أسماء عربية، أصل هؤلاء جميعاً عرب جاءوا من وراء البحر الأحمر، بينما هم ببر أقحاح، فالمثال هذه الأخطاء تشوّه الرؤيا إلى الماضي تماماً وتحدث أسوأ الأثر في السلوك».

لا أدرى لماذا هذا النيش في الماضي وفي هذه الظروف بالذات؟ ولا أتصور أنه من الموضوعية أن نقارن بين تعامل الأروبيين مع الأسماء العربية، وتعامل العرب مع الأسماء البربرية، لأن المسافة التي تفصل -في الأصول- بين العرب والبربر معروفة بينما لا يوجد أي تقارب في الأصول بين العرب والأروبيين. ثم إن الإسلام الذي يجمع بين البربر والعرب ينعدم وجوده في العلاقة الأروبية العربية. إذن فالتشييه الذي قام به الأستاذ ابن الحكيم في غير محله. ولا أدرى هل الأستاذ يتفق معي في أن البربر عندما اعتنقا الإسلام، صاروا يطلقون على أبنائهم، بل وعلى أنفسهم، وباختيارهم، أسماء إسلامية، ولا أقول عربية: كأحمد ومحمد، وعمر، وخالد، وياسر، وعمار، وغيرها. لم يحدثنا التاريخ أن العرب كانوا يفرضون على البربر أن يتسموا أو يسموا أبناءهم بأسماء عربية. أما عن تسميات القبائل البربرية، فإنها تسميات أقل ما يقال فيها أنها تسميات متوفقة أو متفقة في أصلها مع المخارج الصوتية للنطق العربي،

(1) مجلة المقتطف المصرية، مايو 1934.

إن لم تكن أسماء عربية في أصولها، وهو الأرجح. والذي يؤكد ذلك، ووفقاً لرواية المؤرخين الرومان، أن البربر في عهد يوغرطا وتابوغرطاس كانوا يسمون بالهضاب "المزالة"، وبالجنوب "الجدةلة"، والسميتان عربستان كما ترون، وقد عرفتا قبل الفتح الإسلامي، بأكثر من سبعة قرون. ومما يؤكد ذلك أن اسم (العربي) لا يوجد إلا عند البربر، وهذا تيمناً منهم باسم (محمد العربي). وعندما صنف الفرنسيون في بداية هذا القرن الأسر الجزائرية في الحالة المدنية، وطلبوها من الجزائريين اقتراح أسماء لأسرهم، اختار كثير من القبائل الاسم (عربي) كلقب لعائلاتهم. من قال إن المؤرخين العرب هم الذين تعمدوا تغيير أسماء القبائل البربرية؟ لماذا لا نفرض أن هذه الأسماء هي نفسها التي كانت متداولة قبل الفتح الإسلامي، مثل تداول مزالة وجدةلة؟ أو أن النسبة البربر أنفسهم هم الذين قاموا بتحويرها. كلها افتراضات محتملة.

لقد أشار (ابن المحكيم) في مقالة للشيخ ابن باديس، «كان يردف اسمه بوصف الصنهاجي، ولعله أراد بذلك أن يعرب عن جزائرته». إن ابن خلدون الذي شكك في الأصل العربي لبعض القبائل البربرية، أكد الأصل العربي لصنهاجة عندما قال في تاريخه: «ولا خلاف بين نسبة العرب أن شعوب البربر الذين قدمنا ذكرهم كلهم من البربر، إلا صنهاجة وكتامة فإن بين نسبة العرب خلافاً، والمشهور أنهم من اليمنية، وعندى أنهم من إخوانهم (أي من العرب) والله أعلم»⁽¹⁾؛ والأمير الزيري الصنهاجي، أبو الفتح المنصور، يؤكدعروبة ويمنية صنهاجة عندما يقول: «إن أبي وجدي أخذنا الناس بالسيف قهراً، وأنا لا أخذهم إلا بالإحسان، وما أنا في هذا الملك ممن يولي بكتاب ويعزل بكتاب، لأنني ورثه عن آبائي وأجدادي وورثوه عن آبائهم وأجدادهم حمير»⁽²⁾.

(1) تاريخ ابن خلدون، ج 6، ص 343، ابن الأثير، ج 7، ص 121.

(2) ابن عذاري، ج 1، ص 343، ابن الأثير، ج 7، ص 121.

فابن باديس إذن عندما كان يقع بالصنهاجي لم يكن يعني أنه ببريري، بل كان مقتناً وهو المطلع على التاريخ في أصوله الحقيقة، أنه كصنهاجي يعتبر عربياً عارباً لا مستعرباً. ثم إن فكر ابن باديس في كثير من القضايا أكمله الشيخ البشير الإبراهيمي، لأن الأول توفي قبل الحرب العالمية الثانية، هذه الحرب التي أحدثت هزة ثقافية وفكرية بالعالم، ونجم عنها تحديد الكثير من المفاهيم بالساحة الجزائرية والערבية، كانت مهمّة في الماضي. والإبراهيمي الذي امتد به العمر إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية بعدينهين كاملين، والذي أتّج جل إنتاجه الأدبي والفكري في هذين العقدتين، يعتبر أدقّ من ابن باديس في تناول "العروبة" والمسألة البربرية. خاصة وأن الإبراهيمي كان أدبياً واسع الثقافة، بينما كان ابن باديس مصلحاً دينياً أكثر منه أدبياً. ثم إن الإبراهيمي وابن باديس وغيرهما أشخاص غير معصومين، نأخذ من أقوالهما ما يصلح لنا نحن الذين نعيش في الشهرينيات من قرتنا، ونترك ما كان صالحًا لمنهما فحسب. ألم يقل الرسول صلوات الله عليه وسلم ما معناه: «خذلوا عنِّي أمور دينكم أما أمور دنياكم فأنتم أدرى بها».

وفي نهاية الأربعينيات أوجد الوالي العام الفرنسي بالجزائر "شاتينيون" خطة لتدمير الحركة الوطنية من الداخل، وذلك بإثارة النعرة البربرية، وتصدى "لشاتينيون" ومن مخابئه في "سالومبييه" بالعاصمة، ديدوش مراد "القبائلي" بشعار (البربر عرب). وانعكس هذا على كثير من المقالات والقصائد التي نشرت في الصحافة الوطنية. ولنستمع إلى قول الشاعر عيسى حمو النوري (المزابي) وهو يفتخر بالأصل العربي للبربر في قصيدة مدح فيها الشيخ بيوض، ونشرت بالبصائر عام 1951:

للشرق أيُّ من جمال خالدٍ
تعنوا لها في العالم الأقطابُ
من رائعات الشرق بيوضُ الذي
نزلَ الشمال وأنجبَت ميزابُ

والعقبية من فضائل نبته
إن أرجعت لأصولها الأعشابُ
ودم العروبة في العروق مراجل
تغلي، وتُومض تحتها الأناسب
إن المعمر ساحر كذاب

البعد العربي للجزائر:

الملحوظة الثالثة التي أود تقديمها للأستاذ الفاضل (ابن الحكيم) تدور حول
البعد العربي للجزائر: أرضا وشعبا وأفرادا، ليسمح لي الأستاذ أن أصارحه أن هذا
البعد باهت اللون في مقاله، وكما تكلمت في المسألة البربرية بلا عقدة. فأنما تكلم
في المسألة العربية وفي الإسلام بلا عقدة أيضا.

أولا: لأنني من الذين يقال عنهم ببربر، ولا يمكن أن يتهمني أحد بأنني
معصب للعرب.

ثانيا: أنا خريج معهد عبد الحميد بن باديس بقسنطينة، التابع لجمعية
العلماء المسلمين الجزائريين الذي أعتبره أول مؤسسة تعليمية وطنية أست
على التقوى والعمل الصالح وطنيا بالأربعينيات. ولهذا فإنني أتكلم عن الإسلام
بلا عقدة.

العروبة والإسلام يعتبران وجهي عملة الهوية الوطنية الجزائرية، ولا ثالث
لهما، والقول بأن الجزائري مسلم فقط أمر محفوف بالمخاطر، لأن الإسلام
دين وليس هوية، والدولة الفرنسية الآن في إحصائياتها الرسمية تقول بأن
الإسلام يعتبر الدين الثاني بعد المسيحية الكاثوليكية بفرنسا، وبعد المسلمين
الفرنسيون الآن بالملايين. ولا نستطيع أبدا أن نرفض إسلام هؤلاء لأنهم
مواطنون في أمة ليست عضوا في المؤتمر الإسلامي، أو في جامعة الدول
العربية؛ ثم إن الفرنسيين طوال استعمارهم لبلادنا لم ينكروا علينا صفة مسلم.
بل كانت هذه الصفة مثبتة في بطاقةتعريف الجزائري إلى جانب صفة فرنسي.

ولكنهم أنكروا علينا صفة عربي، بل كانوا لا يتطرقون لصفة عربي إلا إذا أرادوا تحرير الجزائري، فيطلقون عبارات كـ «العربي القدر» و«بيكو ترافاي أراب». لا أنكر أبداً أن الإسلام أدى دور الحامي للهوية العربية الجزائرية، وأن الفرنسيين تآمروا عليه، أي على الإسلام بالجزائر، لا لأنه دين فقط، وإنما لأن القلعة التي حمت بأسوارها المنيعة هوية الجزائر.

لقد ذكرتم في مقالكم بأن الميثاق قال: «إن الجزائر مرتبطة بالوطن العربي»، بينما الذي أثبته الميثاق في صفحة 145 أن «الجزائر جزء لا يتجزأ من الوطن العربي». ولاشك فإنكم تتفقون معي بأن عبارة «الجزائر مرتبطة بالوطن العربي» أضعف من «الجزائر جزء لا يتجزأ من الوطن العربي».

لقد تعقبتم في مقالكم الحجم الكمي للجيوش العربية الفاتحة للمغرب، وقارنتموه بالحجم الكمي للقبائل البربرية، لتظهروا -بالاستنتاج غير المنصوص عليه طبعاً - بأن الدم البربر هو الغالب في التركيبة الدموية لشعوب المغرب العربي. ولنستعرض سوياً ما قلتموه في مقالكم: «ومن المعروف أن الجيوش ومن بعدها القبائل، أتت من الجزيرة العربية ومن صعيد مصر وغيرها، فاستقرت في المغرب؛ وقد توالي هذا المدد السكاني العربي عدة مرات وخلال عدة قرون، لكنه يتعدى تقدير العدد تقديراً صحيحاً. على أننا إذا أخذنا بعين الاعتبار أن مناطق شاسعة بقيت تنطق البربرية قبل أن تعرب، طوال قرون، بل يستفاد من بعض الدراسات المتوفرة اليوم، وفق ذكريات بعض الأشخاص المسنين، أنها بقيت على هذه الحال حتى بداية هذا القرن، فلا يسعنا إلا أن نستنتج بأن هذا المدد السكاني لم يكن كبيراً».

إن هذا الطرح يعتمد في رأيي على النظرية العرقية لتحديد هوية الشعوب، وبغض النظر عن الأصل العربي للبربر الذي أؤمن به، فإن أربعة عشر قرناً كافية،

وكافية جداً، لكي يصير سكان المغرب العربي كافة عرباً، سواء أكانوا ناطقين بالعربية وهم الأغلبية، أو البربرية وهم الأقلية، ولا أجد أبلغ وأعمق من قول الشيخ البشير الإبراهيمي حين يقول:

«كل هذه العوامل صيرت هذا الشمال (الإفريقي) عربياً قارّ العروبة. على الأسس الثابتة من دين عربي، ولغة عربية، وكتابة عربية، ومنازع عربية. وجاءت الجغرافيا الطبيعية فوصلت هذا الشمال بمنابت العروبة، من جزيرة العرب، وجاء الزمن بثلاثة عشر قرناً تشهد سنوهاً وأيامها بأنها فرغت من عملها، وتم التمام، ووقع الختم، وأن عروبة هذا الوطن جرت في مجارتها طبيعية مناسبة لم يشبها إكراه، ولم يشنها عنف، ولم يؤثر فيها عامل دخيل، ولم تقم على تحيل أو استغفال، وإنما هي الروح عرفت الروح، والفطرة سايرت الفطرة، والعقل أعدى العقل. وكان الأمم التي تغطي هذه الأرض قبل الاتصال بالعرب، كانت مهيئة للاتصال بالعرب. أو كان وشائع من القربي كانت مخبوءة في الزمن. فظهرت لوقتها، وكانت نائمة في التاريخ فتنبهت لحينها»⁽¹⁾.

ويقول العلامة البشير الإبراهيمي: «ينكر الاستعمار عروبة الشمال الإفريقي بالقول، ويَعمل لمحوها بالفعل، وهو في جميع أعماله يرمي إلى توهين العربية بالبربرية، وقتل الموجود بالمعدوم، ليتم له ما يريد من محوا واستئصال لهما معاً؛ وإنما يعتمد العربية بالعرب لأنها عماد العروبة، وممسكة الدين أن يزول، ولأن لها كتابة، ومع الكتابة العلم؛ وأدباً، ومع الأدب التاريخ، ومع كل ذلك البقاء والخلود»⁽²⁾.

والشيخ الإبراهيمي يرى أن الصفة التي تطلق على البربرى هي "عربي" يقول: «من أباطيل الاستعمار وتهافتة، أنه يسمى السوداني المتجمّس بالجنسية

(1) عيون البصائر، ج 2، ص 477 - 478.

(2) عيون البصائر، ج 2، ص 477 - 478.

الفرنسية ليومه أو لساعته - فرنسيّاً؛ ويلحقهُ بنسبه، ويُساوِيهُ به في حقوقه ومميزاته؛ ثم ينكر على البربرى - مثلاً - أن يكون عربياً، بعد ما مرت عليه في الاستعمار ثلاثة عشر قرناً وزِيادة، وبعد أن درج أكثر من ثلاثين جيلاً من أجداده على الاستعمار، لا يعرفون إلا العربية لغةً يتكلمون بها ويتذمرون ويتعبدون؛ فليت شعري: أيهما أقرب إلى الواقع: أكابر البربرى المستعرب، أم السودانى المترافق؟ وأيهما أنفذ؟ أحكم الله، أم حكم الاستعمار؟^(١)

وعندما تنتقلون للحديث عنعروبة في الوطن العربي نسمع منكم تحليلات لا تتفق معه، مثل قولكم: «ومما ساعد على انتشار الأفكار القومية الاحتلال الإنجليزى والفرنسيين جزءاً كبيراً من الشرق الأدنى. ودسايسيهم لدى النساء والقبائل العربية، من أجل إضعاف الإمبراطورية العثمانية واضمحلال نفوذ الخلافة الإسلامية». وكما أفهم من هذا النص، فإن فكرة القومية العربية في رأيكم من خلق الاستعمارين: الفرنسي والإنجليزي، أوجداها لإضعاف الخلافة العثمانية. الواقع أن سقوط الخلافة العثمانية يعود إلى عدة أسباب، أهمها طغيان الوطنية التركية على الفكر الإسلامي، ذي الطابع الأممي. انعكس على اللغة، ففرض السلاطين اللغة التركية كلغة رسمية بدل العربية لغة القرآن والإسلام. وانعكس على الحكم فتسقطت طبقة تركية أرستقراطية على الإدارة في سائر أقاليم الخلافة. وهذا ولد ردود فعل قومية بهذه الأقاليم. في هذا الإطار توضع آراء عبد الرحمن الكواكبي، الذي ورد ذكره في مقالاتكم، التي فصلها في كتابه "أم القرى" الذي ألفه في نهاية القرن الماضي. حيث بين فيه أن خلاص الخلافة العثمانية من الانهيار، يمكنني في ضرورة استلام العرب لزعامة هذه الخلافة، «وذلك بإقامة خليفة عربي قرشي مستجمع للشراطين في مكة»، كما يقول:

(١) عيون المصادر، ج 2، ص 479.

وهذا الرأي لا يرتكز على تعصب للعرق العربي، وإنما يعتبر إقراراً بأن العرب المسلمين يملكون أقوى أداة لتوحيد المسلمين وهي اللغة العربية، والثقافة العربية، التي تتفق على قبولهاسائر الشعوب الإسلامية، لأنها لغة الدين، ولغة القرآن الكريم.

بل إن جمال الدين الأفغاني نفسه كان يعيّب على الخلافة العثمانية أنها لم تعتمد العربية كلغة رسمية للخلافة، وإنما رسمت اللغة التركية.

إن تاريخ القومية العربية يرجع إلى محمد علي في بداية القرن الماضي، فقد أدرك هذا - قبل الكواكب - أن خلاص الخلافة الإسلامية هو تجميع سائر العرب في دولة واحدة ناطقة بالعربية، فإذا اتحد العرب اتحد المسلمون: «فالبارون الرحالة الفرنسي "دوبوا كونت Baron De Bois Lecomte" يروي أن إبراهيم باشا (ابن محمد علي) كان لا يخفى نواياه لإحياء الوعي القومي العربي، وتأسيس الكيان العربي الموحد». والرحالة الأميركي "جورج أنطونيوس George Antonios" يروي: «أن مدرسة كلوج بيه التي أسسها محمد علي بمصر، تلقت تعليمات بترسیخ حقيقة الوعي القومي العربي»⁽¹⁾.

وأستطيع محمد علي وابنه تجميع خمسة بلدان عربية تحت حكم دولة القاهرة وهي «مصر، والسودان، وسوريا، وفلسطين، والجazz»، وعند ذاك أحست الدول العظمى الأربع في ذلك العصر (بريطانيا، وفرنسا، وروسيا القيصرية، وتركيا العثمانية) بخطر هذه الدولة الفتية على مصالحها، فانفقت على منع مشروع محمد علي الوحدوي، وخنقه في المهد. «ففي 27/11/1840 وتحت تهديد مدفع الأسطول البريطاني بقيادة الأميرال "نابير Napier"، وبمباركة الدول العظمى الأربع، أجبر محمد علي على التوقيع على معاهدة تنص على: أولاً: عودة محمد علي إلى حدود باشاليك مصر، والتخلص عن الجاز وسوريا وفلسطين. وثانياً: عدم

(1) التاريخ الحديث للبلدان العربية، ص 109 - 111، موسكو (بالإنكليزية).

وقف محمد علي مستقبلاً ضد مصالح الدول الأربع العظمى في هذه البلدان»⁽¹⁾. إذن فقد كانت ولازالت الدول الاستعمارية ضد الوحدة العربية، وضد لم شمل شعوبها، في دولة واحدة، لأن الوحدة العربية تعارض جذرياً مع المصالح الإمبريالية والصهيونية في المنطقة وفي العالم.

وعندما يتحدث الأستاذ (ابن الحكيم) عن الوطن العربي يقول: «وقد رأينا كيف أن الجغرافيا والتاريخ (!!!) جعلا من العالم العربي أمالها خصائصها (!!!) وغم هذه الخصائص، فلا يجوز أن نتهمها بالنزعة الفرعونية، أو البربرية، أو الخصوصية الفينيقية، أو الكلدانية، والأشورية..».

لعله لأول مرة تصبح الجغرافيا والتاريخ مع التجزئة، وليس مع الوحدة في الوطن العربي.

ولاشك أن الأستاذ ابن الحكيم يعلم أن المصريين قد تخلوا عن فرعونيتهم على يد جمال عبد الناصر، وصاروا يطلقون على قطتهم الشعب المصري بدل الأمة المصرية، رغم وجود الأهرامات والأقصر وطيبة وأسوان وفيلة والموميات وغيرها. وأنهم صاروا يعتبرون تراث مصر الفرعونية تراثاً عربياً قديماً؛ وأن الفينيقية قد تخلى عنها السوريون أو بعض السوريين، وصاروا منذ متتصف الخمسينيات يطلقون على اسم سوريا "الشعب السوري" بدل الأمة السورية، وأن "الحزب القومي السوري" الذي كان ينادي بالفينيقية، قد حلّ نفسه وتحول إلى اسم (الحزب القومي الاجتماعي) بلبنان، يدعو إلى الوحدة العربية. وصار دعاة الانفصال الفينيقي يقررون بأن التراث الفينيقي هو جزء من الحضارة العربية القديمة. أما الكلدانية أو الأشورية، فلم أسمع بأنهما استعملتا كحركة انفصالية مميزة، بل إن المؤرخين العراقيين وعلى رأسهم الدكتور أحمد سوسة، يعتبرون أن تراث الرافدين هو لبنات في صرح الحضارة العربية القديمة. بقيت في الساحة

(1) المرجع السابق، ص 119.

الآن النزعة البربرية التي يبدو أنها ظهرت حديثة بالجزائر، ويبدو أنه لابد من أن تمر سنوات، بل وعقود، قبل أن يتراجع دعاتها إلى العقل والمنطق.

ويستمر ابن الحكيم في عرض أفكاره فيقول: «يمكن القول بأن وجود الخصوصيات الوطنية، وتتنوع الأحداث التي أفضت إلى أمم مختلفة، وأحياناً إلى تأسيس دول أممية (غير مفهوم)، لا يبرر ان إيجاد نوع من التعارض بين هذه الأمم القائمة (أي العربية) اليوم، وبين الأمة العربية...».

الأستاذ ابن الحكيم يرى في هذا النص بأن في الوطن العربي الآن أربعاً وعشرين أمة، لأن الأمة عنده ترافق الدولة. ونستطيع وفقاً لهذا الرأي أن نقول للأمة الجيبوتية، والأمة اليمنية الشمالية، والأمة اليمنية الجنوبية، والأمة الأبوظبية، إلى غير ذلك من السلسلة الطويلة للأمم العربية... في الوقت الذي نرى فيه البلدان العربية صاحبة العلاقة ترفض أن تصنف أقطارها بالأمة، بل وتصر على تسميتها بالشعب، تاركة تسمية الأمة، للأمة العربية وحدها فقط.

والأستاذ ابن الحكيم يقول بأن وجود أمة عربية لا يتعارض مع مفهوم الأمة العربية. ووفقاً لمعارفي المتواضعة فإن: (شعب + شعب + شعب = أمة) وأن (أمة + أمة + أمة = أممية) وهذا يعتبر من ألف.. باء.. تاء المصطلحات السياسية المترافق عليها بالعالم.

إذا سلمنا كجزائريين للأستاذ ابن الحكيم بوجود أربع وعشرين (24) أمة بالوطن العربي، فلابد أن نقدم بطلب رسمي لجامعة الدول العربية، نطالب فيه بتعديل ميثاقها والدعوة إلى (أممية عربية) بدل (أمة عربية).

أما عن الجزائر، فالميثاق واضح، المشروع التمهيدي الذي ناقشه الشعب قال «الجزائر أمة..» وعندما كشف النقاش الشعبي عن وجود قسم كبير من الجزائريين إن لم تكن أغلبية تقول، بأن الجزائر شعب وليس أمة، وأن هذا الشعب جزء من الأمة العربية، جاءت الصيغة النهائية للميثاق على النحو التالي: (الجزائر أمة وشعب).

الأستاذ (ابن الحكيم) يعيّب على المفكرين العرب « بأنهم لا يتحدثون عنعروبة إلا بأسلوب غنائي ... ». في رأيي المتواضع قبل أن تتحقق الوحدة العربية،لابد أن نشحن أبناءنا بالإيمان بالوحدة العربية من خلال برامج التربية والتعليم،والإعلام. كما ينبغي على شعرائنا وكتابنا أن يقوموا بمحفظ همم الجماهير العربية من أجل تحقيق الوحدة العربية. وهذا يكون بمخاطبة العقل والعاطفة معا.

إن الأحداث الكبرى بتاريخ الأمم جاءت نتيجة لأحلام كبيرة. ألم يكن استقلال الجزائر قبل نوفمبر 1954 مجرد حلم؟ ألم ينظر للمنادين باستقلال الجزائر عن طريق الكفاح المسلح على أنهم حالمون؟ لقد حلمت الأمم التي عانت من التجزئة بوحدتها، وتغنى كتابها وشعراؤها بهذه الوحدة قبل تحقيقها. في القرن السابع عشر كان عدد الدول الألمانية 360 دولة، وفي القرن الثامن عشر تقلص هذا العدد إلى 240 دولة، وفي 1815 صار عدد هذه الدول 38 دولة، وفي 1871 عندما حقق بيسارك وحدة الأمة الألمانية، كان عددها 25 دولة، وهو رقم أكبر من رقم الدول العربية الآن. واستمر الكتاب والشعراء والمفكرون الألمان طوال هذه القرون الثلاثة يحلمون بالوحدة الألمانية، ويغتنون بها، من أمثال "فيخته J. Fichte" و "موريس أرنندت M. Arndt" و "ماكس نوردو" وغيرهم. ولنستمع إلى "فيخته" وهو يحلم ويغنى: « إن الألمان الآن في حالة أشلاء في وادي الأموات: عظام بائسة، مبعثرة في كل الجهات، ولكن ستجمع تلك الأشلاء وستبعث فيها الحياة، وسنجعلها أمة ناهضة تنبض فيها روح القوة والنشاط ».

وللتالي "فيخته" بمواطن من عشرات هذه الدول الألمانية المبعثرة؛ من بروسية، ويجري معه الحوار التالي:

- هل أنت ألماني؟

ويجيب الرجل:

- كلا أنا لست ألمانيا، بل أنا بروسي، وأفتخر ببروسيا، ولا أرضى عنها بدليلاً، فيرد عليه فيخته قائلاً:

- إصحن جيداً إلى ما سأقول الآن: إن الفوارق بين أهالي بروسيا وبين سائر الألمان، ما هي إلا فوارق عارضة وسطحية، ناتجة عن الأحداث الاعتباطية التي أوجدتها الصدف. وأما الفوارق التي تميز الألمان عن سائر الشعوب الأوروبية، فإنها أساسية وقائمة على الطبيعة، فإن اللغة التي يشترك فيها جميع الألمان تميزهم عن جميع الأمم الأخرى، تميزهم جوهرياً».

أما عن بعد الإسلامي للقومية العربية فأنا أتفق مع الأستاذ (ابن الحكيم)، ورأيي أن المشاكل التي يعاني منها حزب البعث متأتية - في كثير منها - من تخليه عن بعد الإسلامي للقومية العربية. وهذا الرأي قلته لبعض الأصدقاء المسيحيين العرب. فقد قلت لهم مراراً: «أن محمداً هو الذي أوجد كيان العروبة وحقق أبعادها الحضارية، وجاء بدين جعل من شتاتها وحدة، ومن ضعفها قوة، واستبعاد الإسلام عن القومية العربية هو استبعاد لمقوم أساسى لهذه الفكرة».

إن القومية العربية - بلا غائية - تحقيق وحدة الأمة العربية، تحقيق الولايات العربية المتحدة، في امتداد جغرافي عرضه سبعة آلاف كيلومتر، من رأس أبيض على ساحل المحيط الأطلسي ببريطانيا، وحتى رأس حد على ساحل عمان بالالمحيط الهندي شرقاً، ومساحته أحد عشر مليون كيلومتر مربع؛ وبسواحل طولها خمسة عشر ألف كيلومتر، تقع على محيطين هما: المحيط الهندي، والمحيط الأطلسي، وعلى أربعة بحار دافئة وهي: البحر المتوسط، والبحر الأحمر، وبحر عمان، والخليج العربي. وبإمكانيات اقتصادية خيالية؛ تضم ثلاثة أطول ستة أنهار بالعالم. وإذا لم تتحقق هذه الوحدة، فإننا سنبقى أقزاماً تحت أقدام الإمبريالية والصهيونية والدول العظمى، لأننا نعيش في عصر العملاقة: عصر العملاق الأمريكي، والعملاق الياباني، والعملاق الأوروبي الذي يجمع

شتاته الآن. والعملاق الصيني، والعملاق الهندي الناشئين. ويا ويح العرب إن يقروا أربعاً وعشرين دولة أو أربعاً وعشرين أمة، فإنهم سيستمرون مجرد بئر خام للنفط، ومجرد سلسلة طويلة من أرقام حسابات جارية ميتة في مصارف الدول الرأسمالية، ينطبق عليهم قول شاعرهم:

كالعيس في البداء تموتُ من الظَّمَا والماءُ فوق ظهورها محمل
إن الوحدة الإسلامية تمر عبر الوحدة العربية، وتوحد أربع وعشرين دولة
عربية مسلمة في كيان سياسي واحد، يضم مائتين وخمسين مليون مسلم، مرحلة
حاسمة، في الطريق المؤدي للوحدة الإسلامية. فالجزائري الوطني في حدود
وطنه الصغير، الوحدوي القومي في وطنه العربي الكبير، المسلم في وطنه
الإسلامي، يعيش في ثلاث حلقات تضفي هذه للأخرى، ولا تعارض أي منها
مع اختها. والشيخ البشير الإبراهيمي عندما يتحدث عن "المنازع العربية" فإنه
يوافق وبحماس وبعنائية على الطموح القومي للمغرب العربي.

مسألة الثقافة الشعبية:

الملاحظة الرابعة تدور حول مفهوم الثقافة الشعبية في مقال الأستاذ (ابن الحكيم). الثقافة في بلدنا لابد أن تحمل اسم الثقافة الوطنية. والقول بوجود ثقافة شعبية، وثقافة غير شعبية أمر محفوف بالألغام، لأنه قد يسقطنا في فخ اعتبار كل ثقافة مرتكزة على العربية الفصحى، ثقافة غير شعبية. إلا أن ثقافتنا الوطنية لابد وأن ترتكز على تراثنا الشعبي، أو فنوننا الشعبية، وإن أصبحت هذه الثقافة تدور في فلك ضبابي عاجي يفتقد إلى أرضية اجتماعية شعبية. (فابن الحكيم) عندما يقول: «لكي نحافظ على وحدة الجزائر ومستقبلها، ولكي لا نخرج أحداً ببلادنا، ينبغي أن نقضي على الشك من جهة، وعلى الحقد من جهة ثانية، ولا يجدر بنا أن نحقر أو نتجاهل مختلف جوانب الثقافة الشعبية»، ثم يقول في مكان آخر: «لماذا يطالعنا بعضهم أن نكون -نحن الجزائريين- متماثلين على منوال واحد، بينما لا نجد هذا التماثل في معظم

البلدان العربية». يجب أن يكون واضحاً أن المرفوض ليس الفنون الشعبية، ليس تنوع فنوننا وأدابنا، لأن في التنوع غنى، وفي اللاتنوع فقر وبوس، وإنما المرفوض هو أن يتحول شعار الثقافة الشعبية إلى قميص عثمان لضرب وحدتنا الوطنية، وضرب عملية التعریب التي اتّخذت أبعادها الجادة منذ المؤتمر الرابع لحزينا، هذه العملية التي تستهدف استرداد شخصيتنا الوطنية من هذا الاغتراب الطويل.

إن الأمر العاجل ليس في (توفر مراكز للدراسات البربرية بجامعتنا). وإنما في ضرورة التعجيل بإقامة مركز وطني للفنون الشعبية، له فروع فيسائر الولايات، يقوم بجمع التراث الشعبي، بما فيه ما يسمى بالتراث البربري، ووضعه بين أيدي الدارسين.

آن الأوان، لكي نقوم بنقد ذاتي لسائر الأخطاء التي ارتكبناها، والتي أسفرت عن انفجار الأزمة الثقافية في 1979، عندما خرج أبناؤنا وبناتنا في مظاهرات يهتفون بشعار «التاريخ إلى المذيلة»، وعن الحركة الفوضوية التي انفجرت في سنتي 1980 و1981 بتizi وزو، لأن نصر على سلامته هذه الأخطاء ووجوب استمرارها تحكم الساحة الثقافية، حتى بعد انفجار هاتين الأزمتين.

إن الجزائر متخلفة عن سائر الأقطار العربية الأخرى في عملية الحفاظ على التراث الشعبي، فكثير من البلدان العربية لها "مراكز وطنية للفنون الشعبية".

أما نحن فليس لدينا حتى الآن مركز وطني للفنون الشعبية يقوم بجمع كنوز فنوننا الشعبية وإنقاذنا من النسيان، الذي يتهدّدنا من جراء غزو أجهزة الراديو، والتلفزة، والكاسيت، والأسطوانة، بل والفيديو لبيوت أسر مجتمعنا، وحتى الريفية منها.

إنني لا أبالغ إذا قلت بأن "رصد الوجدان" الجزائري، أو المصري، أو السوري، أو التونسي، ومنذ قرون، محفوظ في الفنون الشعبية، وأنه لكي نقيم صرح ثقافة وطنية لابد من جمع هذه الفنون والأداب الشفوية في مكتبات على

مستوى كل ولاية. ثم نضعها بين أيدي الباحثين والمؤلفين والفنانين يستلهمون كنوزها. إن تسجيل أحداث ثورة نوفمبر، وحروب المقاومة لم يتم لا بالأدب الفصيح، ولا بالأدب المعبر عنه بالفرنسية، وإنما تم بالشعر الملحون، ملاحم كاملة يقدر عدد أبياتها بالآلاف يأكلها الآن النسيان. من الذي منعنا من جمعها؟ لقد منعنا أنفسنا. إنه مجرد تقصير نتحمل مسؤوليته كلنا، ومسؤول عنده بالدرجة الأولى الأجهزة الرسمية للثقافة في بلادنا.

إن رأيي المتواضع، هو أن الذي أوصل السفينة الوطنية الجزائرية إلى شاطئ النجاة في 5 يوليو 1962، هو وضوح الرؤيا، هو خط وطني خال من أي غموض أو إبهام. ويرتكز هذا الخط على عنصرين اثنين:

أولاً: الفكر السياسي الذي أوجدهته مدرسة حزب الشعب الجزائري، والمتمثل فيما يلي: «إن خلاص الجزائر في استقلالها الذي لا يتحقق إلا بالكفاح المسلح».

ثانياً: الفكر الثقافي والديني لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، والمتمثل فيما يلي: «الجزائري عربية الهوية، عربية اللسان، إسلامية العقيدة». أما أن يقال: «بأن الجزائري عربية وليس عربية.. أو بربرية وليس بربرية.. أو مزيج من الأمازيغية والإسلام والعروبة». فهو أسلوب لا يؤدي إلى نتيجة، ولا يؤدي في اعتقادي إلا إلى طريق مسدود.

وفي الختام أوجه شكري العhaar إلى الأستاذ (ابن الحكيم) الذي فتح باب هذا الحوار، ومكتبني من المشاركة فيه.

دور الشعر الجزائري في بث الوعي القومي

محاضرة ألقاها المؤلف في الندوة الفكرية، عن دور الأدب في بث الوعي القومي، والدعوة إلى الوحدة العربية، والتي عقدت تحت إشراف (مركز دراسات الوحدة العربية) الذي يقع مقره في بيروت، واتحاد الكتاب العرب وذلك في بغداد 28 - 29 نيسان (نيسان) 1980.

إن العمل من أجل الوحدة العربية يعتبر أشرف عمل يقوم به عربي، لأننا ننتمي إلى أمة واحدة، تتكلم لغة واحدة، وتدين بدين واحد (في الغالبية العظمى من أبنائها)، وتعيش على امتداد جغرافي واحد؛ صهره الوجود العربي في بوتقة الثقافة العربية منذآلاف السنين، وحتى من قبل الفتح الإسلامي بكثير.

والإمبريالية الدولية تعمل بشراسة على منع الأقطار العربية من التوحد خاصة بعد تفجر النفط في الوطن العربي. فاستراتيجيتها تمثل في منع هذه الوحدة، لأن الوطن العربي في نظر المفكرين الاستراتيجيين للغرب، باحتياطيه الضخم من النفط، وبوفراته الهائلة من البيترودولارات، وبطاقته الاستهلاكية الكبيرة المتزايدة المعتمدة على الاستيراد، يلعب دورا حاسما في منع تفكك الأنظمة الرأسمالية الغربية؛ ومن أجل المد في عمر الرأسمالية بصورة عامة، وبأروبا الغربية على الخصوص.

وفي تصوري سوف تخف حدة معارضه الغرب للوحدة العربية في القرن المقبل، عندما تنفذ حقول النفط أو توشك على النفاذ، وعندما يتمكن من استيعاب أفراد الطبقة العربية، المودعة للبيترودولارات العربية، في إطار النسيج الاقتصادي بل والاجتماعي للمجتمعات الغربية.

ولهذا فإنني أعيد ما سبق أن قلته، من أن أشرف رجال وأنبئهم، هم الذين يعملون من أجل توحيد شعوب الأمة العربية ضمن إطار سياسي واحد، أي ضمن دولة واحدة، وبمضامين اجتماعية واقتصادية تقدمية. وتوحيد الأمة العربية لا يتناقض مع توحيد العالم الإسلامي. لأن محمدا صلوات الله عليه وسلم، وحد القبائل العربية وخلق منها قوة واحدة متراصة، ثم اتجه شرقا وغربا في فتوحات الإسلام. ووحدة العالم الإسلامي تمر بالضرورة والحتمية عبر الوحدة العربية، كما أن تجريد الوحدة العربية من البعد الإسلامي عمل غير حكيم وغير واقعي وغير ممكن.

إذا استعرضنا أدب الجزائر، خلال القرن الجاري، وخاصة الشعر منه، وجدنا الشعراء والكتّاب يلحون على العروبة وعلى الإسلام الذي أدى دور حامي العروبة بأقطار المغرب العربي. ولا أبالغ إذا قلت، أن بعد العربي في الأدب الجزائري الحديث وخاصة قبل 1962، كان أكثر وضوحاً في الأدب الجزائري، منه في أدب أي قطر آخر من أقطار المغرب العربي. ولعل السبب في ذلك راجع إلى الحرمان الذي كان يحسه الجزائري قبل الاستقلال من ممارسة عروبيته بالجزائر. فالجزائري كان يعتبر فرنسيّاً، والجزائر كانت تعتبر جزءاً من فرنسا، ولللغة العربية كانت تعامل معاملة لغة أجنبية طوال قرن وثلث قرن.

والوعي القومي بالجزائر وبأقطار المغرب العربي عموماً، امتزج بالإسلام لأن الفرنسيين عندما احتلوا الجزائر في 1830، وقرروا ضمها للبلاد الفرنسية، وجدوا أن أكبر عقبة تقف في طريق التfahrenس تمثل في الدين. وسلط الفرنسيون على الجزائر حملات تبشيرية واسعة فاضطهدوا المسجد وحولوا أبوقافه إلى ممتلكات فرنسية، وشجعوا رجال الطرق الصوفية المشعوذين. وكان المسجد طوال فترة الاحتلال، يقوم بدور المحافظ على عروبة الجزائر، بتعليم اللغة العربية وعلومها وبث الوعي القومي. قال سكرتير الجنرال بوجو -أكبر قائد عسكري فرنسي من قادة الاحتلال، في القرن الماضي- قال: «في خلال عشرين سنة لن يكون للجزائر إله غير المسيح. أما العرب فلن يكونوا ملكاً لفرنسا إلا إذا أصبحوا جميعاً مسيحيين».

فعبد الحميد ابن باديس -زعيم الحركة الإصلاحية بالجزائر- يحدد هوية الشعب الجزائري بأنه مسلم عربي من نسل العروبة، والذي يريد أن يجعله يخرج عن إطار الإسلام والعروبة، ويدمجه في جنس آخر كالجنس الفرنسي، فهو يطلب أمراً مستحيلاً.. ويختتم ابن باديس هذا النشيد الذي استمر الشعب الجزائري أكثر من نصف قرن يرددده - بالحياة للجزائر وللعرب:

شعب الجزائر مسلم
من قال حاد عن أصله
أو رام إدماج بالله
نحن الأولى عرف الزمان
ومعيين ذاك المجد في
هذا الكم عهدي به
فإذا هلكت فصيحتي

والسعيد الزاهري^(١) يشيد في 1934 بجمعية العلماء، التي كانت مهمتها نشر المدارس الأهلية لتعليم العربية، ومحاربة أدعياء الدين المتعاملين مع الإدارة الاستعمارية، فيحيى فيها العروبة والدين الصحيح معا:

حيّ العروبة في (جمعية العلماء) حتى ويحك فيها الدين والشّيما تدعوا إلى الله عن علم وبئنة لا كالذين إلى جهل دُعُوا وعمى والوعي القومي اتّخذ في تاريخ الجزائر أشكالاً عديدة كإحياء تراث الأجداد وأمجادهم، وتربية الأبناء على هذا التراث حتى لا ينسونه فتسهل مهمة الاستعمار في تجريدهم من شخصيتهم العربية. يقول اللقاني السائع⁽²⁾ في العشرينيات:

بني وطنی هل من خطیب مدرب
یطالب حقا ضاء مذ ضاء اهله

ومحمد بن دويطة⁽³⁾ يستعرض باكيما من خلال القهر الاستعماري بالجزائر، أمجاد العرب وأثارهم الأدبية، يوم أن كانت الدنيا تستمد من الخلافة في بغداد

(1) الزاهيري محمد السعيد، ولد في ليانة بالشرق الجزائري عام 1890، وتوفي عام 1956، ونشر في كبرى المجلات الأدبية العربية في العشرينيات والثلاثينيات.

(2) ولد في نفطة بتونس عام 1895.

(3) ولد في الطهير بالشرق الجزائري عام 1905.

نور العلم والمعرفة، ودور الفنون والأداب ويذكر الشاعر وهو يتذكّر هذه
الأمجاد، كما يذكر الشعراء من قبله، أحبّاءهم وهم يقفون على رسم منازلهم:
وقلتُ: ضياعاً ما نظمتم من الدرّ
وقفتُ برسم العَرْب وفقة خاشع
يقول: انظروا ما شيدت يدُ علمهم
على الرغم مما غيرته يد الدهر
ويندب بدر العلم إذ كان ساطعاً
ببغداد تراس الحقائق والفاخر
ويستبكي ويُرسل أبحراً
من اللمع حتى فاض دمعي على صدري
ومحمد العيد آل خليفة^(١) في 1936 يفخر بحضارة العرب التي كانت تشع
على البشرية قبل ظهور الحضارة اليونانية والرومانية. ثم يتأمل واقع أمته، ويسأله
هل سيعود للعرب عصر ازدهارهم، الذي لم يحافظ عليه الأحفاد؟

قدما للورى عليهما استناد
وأئتها، من حكمـة، وأفادوا
ريـخ هل عـصر كـم عـلـيـنا يـعـاد
كـلمـا شـدـتـم عـلـى الأـرـض مـن
كـما يـفـخـر مـحـمـد العـيـد فـي قـصـيـدة أـخـرى بـفـصـاحـة لـغـة العـرـب وـسـماـحة
دـيـنـهـم، وـكـيف اـزـدـهـرـت الـدـنـيـا بـفـضـلـ الإـشـاعـعـ الحـضـارـي العـرـبـي الإـسـلـامـي. فـي
مـيـدانـ الـبـطـولـة أـنـجـبـتـ الـأـمـةـ الـعـرـبـيةـ (عـلـيـاـ وـخـالـدـاـ وـعـمـراـ وـغـيرـهـمـ)، كـماـ أـنـجـبـتـ
فـيـ مـيـدانـ الـفـكـرـ (الـغـزـالـيـ وـابـنـ خـلـدونـ، وـابـنـ حـيـانـ). فالـعـرـبـ نـشـرـواـ الـعـدـلـ،
بـيـنـمـاـ نـجـدـ الـغـرـيـسـينـ الـآنـ يـنـشـرـونـ الـخـرـابـ وـالـظـلـمـ:

السناء من الأجناس أفسدهم مما
بنوا درّت الدنيا عليهم بخيرها
ولدنا وأنجبنا، ففرزنا عليهم

فهل أنجبوا فيها (علياً وحالداً)
 وهل أنجبوا مثل (الغزالى) باحثاً
 وهل أنجبوا مثل (ابن حيان جابر)
 وهل نشروا في الكون عدلاً ورحمة
 ومحمد العيد في النشيد الذي ألفه للمدارس العربية الحرة في عهد الاستعمار، يصف سياسة الاندماج، التي كانت تهدف فرنسا بواسطتها، إلى إذابة الشعب الجزائري العربي في الأمة الفرنسية، يصفها بالحمق. ويؤكد أن شعباً يدين بدين محمد لا يمكن أن يقضى عليه.

إن الذي يبغى اندماً جك في سواك لأحمق
 لا يمحي شعـب، بشـا رات الرـسـول مـطـوق
 ومحمة بوکوشة⁽¹⁾ يحس في 1935، بغربة في بلده، الذي صارت لغة الضاد أجنبية به فيتألم لذلك:

يا بلبل الشرق ما أشجاك أشجاني قم ناج قلبي بتغيري وتحنان
 فإنّ مثلـي كـثـيـب حلـ في شـرـك وأـنتـ مثلـي غـرـيب بـيـنـ أوـطـانـ
 والـهـادـيـ السـنـوـسـيـ⁽²⁾ يتـجـهـ بـيـصـرـهـ إـلـىـ السـمـاءـ فيـ 1928ـ،ـ فيـشـاهـدـ الـهـلـالـ
 الـذـيـ يـذـكـرـهـ بـأـمـجـادـ الـعـرـبـ،ـ وـيـسـتوـحـيـ مـنـهـ أـمـلـهـ فـيـ أـنـ تـخـرـجـ أـمـةـ الـعـرـبـ منـ
 التـخـلـفـ وـالـاسـتـعبـادـ:

هـلـالـكـ يـافـخـرـ الـعـرـوـبـةـ لـمـ يـزـلـ
 هـلـالـ،ـ إـذـاـ مـاـ الـحـولـ حـالـ تـجـدـدـتـ
 إـذـاـ كـانـ سـعـدـ لـلـعـرـوـبـةـ طـالـعاـ

(1) ولد في واد سوف. من رجال حركة الإصلاح.
 (2) ولد في ليانة عام 1902. مؤلف كتاب (شعراء الجزائر). سعد المقصود هو سعد زغلول الزعيم المصري.

وتوقف السلطات الفرنسية تعليم العربية بالمدارس الرسمية بالجزائر، ويتنادى رجال الإصلاح، ويطلبون من الشعب بناء المدارس وتمويلها بامكاناته لتعلم لغته لأبنائه، حتى لا يتحقق هدف الاستعمار في القضاء على العربية والعروبة بالجزائر. وتفتح النوادي لتوسيع الشعب توعية ثقافية عربية، ويوسس (نادي الترقى) بالجزائر العاصمة، الذي لعب دوراً عظيماً في محاربة سياسة الاندماج، ومقاومة تجنس الجزائريين بالجنسية الفرنسية. ومن هذا النادي انطلقت فكرة تأسيس جمعية العلماء^(١) التي بنت المدارس العربية الحرة. ويتجنى الهدى السنوسي بهذا النادي، الذي أعقب فتحه نواد أخرى في العديد من المدن الجزائرية، يكمل المدارس الحرة، ويقوم بدور ثقافي وتربوي للشباب. ويصبح في الشباب الجزائري أن يرتاده، لأنه ينشر اللغة العربية ويعيي ذكرى الأجداد:

(1) جمعية العلماء المسلمين: تأسست عام 1931 تحت رئاسة عبد الحميد بن باديس، الذي خلفه بعد وفاته الشيخ محمد البشير الإبراهيمي. جمعت الأموال من الشعب وبنت عشرات المدارس الحرة لتعليم العدة.

(2) نادي الترقى تأسس عام 1926 بالجزائر العاصمة.

وطنياً وثقافياً عربياً هائلاً)، ويسابق الشعراء للتغنى به، وسرد تأثيره في الحركة الوطنية، وفي الحفاظ على لغة الضاد.

فمقددي زكريا⁽¹⁾ يعتبر المعهد، محطة آمال الشعب، حيث يضم بين جدرانه حياة شعب الجزائر كلها، عندما يرعى الشخصية العربية في أبنائه:

يا دار، أنت على التقوى مؤسسة
مبناك بالطهر مرصوص ومشدود
دار ابن باديس في سرتا يطللها نصر، ألا إن نصر الله موعود

ما بين جدرانها تحيا الجزائر، لا من فوق جدرانها تتلى التهاجيد

وفي عام 1922 يمدح الأمين العمودي الأمير خالد -حفيد الأمير عبد القادر- عندما قررت السلطة الاستعمارية نفسه إلى مدينة بسكرة في الصحراء، نتيجة لموافقه الوطني التي تمثلت في تأسيسه لحركة وطنية بعد الحرب العالمية الأولى. فالامير خالد يعتبر عن جدارة، أول من وضع الأسس للحركة الوطنية السياسية بالجزائر. ويشير الشاعر إلى هذه المواقف التي رددتها أقطار الوطن العربي، وكيف استبشرت الأمة بهذا التيار الوطني الذي يقوده الأمير خالد بشجاعة:

أوليتها من سابق الإحسان
طربا فعم الخير كل مكان
يُفنى الزمان وليس هو بفان
ويهزم بالجوء البطل المغربي عبد الكرييم خطابي إلى مصر في الأربعينيات
الشاعر عبد الكرييم عقون⁽²⁾، فينظم قصيدة بعنوان (تحية عبد الكرييم الخطابي)

(1) ولد في بنی بزقون جنوب الجزائر عام 1908، له ديوان شعر. توفي قبل سنوات. مؤلف النشيد الوطني الجزائري.

(2) جمعية العلماء المسلمين: تأسست عام 1931 تحت رئاسة عبد الحميد بن باديس، الذي خلفه بعد وفاته الشيخ محمد البشير الإبراهيمي. جمعت الأموال من الشعب وبنت عشرات المدارس الحرة لتعليم العربية.

يعبر من خلالها عما تركه نأاً قبول شعب مصر العربي استضافة البطل المغربي، الأمر الذي يؤكد أن أمة العرب واحدة في حقيقتها وأمالها وتطلعاتها، ثم يشير بطريق التلميح إلى أن لغة عبد الكريم الخطابي -الذي حمل السلاح ضد الاستعمارين الفرنسي والإسباني بال المغرب الأقصى- هي اللغة الوحيدة التي فهمها الاستعمار وقد نشر الشاعر قصيده في صحيفة البصائر الجزائرية عام 1947، يقول:

وحن إلى أسد هنالك في مصر
تداعت له الأعضاء بالسهر والضر
قريرا بعطف النيل منشرح الصدر
نحطم أغلال الطغاة ذوي الغدر
وجدد عهود العرب نسلبني فهر
فإنك رمز للمكارم والفاخر
وفي 1949 يحيي ذكرى شكب أرسلان الشاعر عبد الكريم العقون،
قد انفلت الضراغام من عنت الأسر
كذا العرب جسم إن يذق أذى
 وكل ديار العرب دارك فلتكن
وعلمنا كيف النضال الذي به
فكن لبني العرب الميمانين قائدا
ألا فلتتعشن (لريف) والعرب حامية
ويعتبر وفاته خسارة للعرب والمسلمين قاطبة:

عزاءً جميلاً أن توفّي أرسلان
بني العرب والإسلام في كل موطن
أ(لبنان) لا تجزع لخطبك إننا
فها هو ذا شعب الجزائر رافعا
لقد غاب من كان للغرب حاميـا
ويمدح الشاعر عيسى حمو النوري عام 1951 الشيخ بيوض الزعيم والمصلح
الدينـي (المزاـبي) -المزاـبـيونـ فـةـ (بربرـيةـ)ـ بالـجزـائـرـ -ـ فيـقولـ بـأنـ دـمـ العـروـبةـ يـتـدـفـقـ
فيـ شـرـايـينـ الشـيـخـ بيـوضـ عـربـياـ أـصـيـلاـ،ـ رـغـمـ اـفـتـراءـاتـ الـمـسـتـعـمـرـينـ الـذـيـنـ حـاـولـواـ
وـيـحاـولـونـ إـظـهـارـ الـبـرـبـرـ بـأـنـهـمـ جـنـسـ غـيرـ الـعـربـ،ـ فـيـنـسـبـونـهـمـ إـلـىـ أـصـوـلـ أـرـوـيـةـ
غـرـيـةـ،ـ بـيـنـمـاـ أـصـوـلـهـمـ مـشـرـقـيـةـ عـرـبـيـةـ.ـ يـقـولـ الشـاعـرـ:

للسُّرُقَ آيٌّ من جمالِ خالد
 من رائعتِ الشُّرقَ بِيَوْضُّ الذِّي
 وَالْعَبْرِيَّةِ مِنْ فَضَائِلِ نَبَتَةِ
 وَدَمِ الْعَروَةِ فِي الْعَرْوَقِ مَرَاجِلُ
 أَكْذَبُ بِمَا قَالَ الْمَعْمَرُ ضَلَّةً
 وَيَحْمِيُ الشَّاعِرُ صَالِحُ الْخَرْفِيَّ⁽¹⁾ آثارَ رِفَاهِ الْأَمِيرِ عَبْدِ الْقَادِرِ، عَنْدَمَا قَرَرَتِ
 الْقِيَادَةُ الثُّورِيَّةُ بِالْجَزَائِيرِ، إِعَادَتْهُ مِنْ دَمْشَقَ إِلَى أَرْضِ الْوَطَنِ، فَيُبَرِّزُ الشَّاعِرُ نَسْبَهُ
 الْهَاشِمِيِّ، وَيُعلِنُ عُودَةَ الْجَزَائِيرِ إِلَى صَفِ الْوَطَنِ الْعَرَبِيِّ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ تَابِعَةً
 لِفَرْنَسَا.

أَرْضُكَ الْيَوْمُ أَصْبَحَتْ عَرَبِيَّهُ
 حَرَرْتُ أَرْضَهَا بِكَأسِ الْمُنْبِهِ
 هَلْ لَنَا مِنْكَ طَلْعَةً (هَاشِمِيَّهُ)
 عَدَ إِلَيْنَا فَدَتِكَ نَفْسُ أَبِيهِ
 لَكَ مَثْوَى بَيْنَ الْقُلُوبِ الْوَفِيقِيَّهُ
 وَسَقْتَهَا مِنَ الدَّمَاءِ السُّخِيَّهُ
 بَعْدَ مِنْ النَّوْيِ وَطُولِ الْغِيَابِ

وَحَثَّ سَنَةُ 1948 الْرِّبَيعَ بِوْشَامَةِ الْعَرَبِ عَلَى الْمَوْتِ بِعَزَّةِ بَدْلِ الْعِيشِ
 بِذَلَّةِ، فَلَا هَنَاءُ وَفِلَسْطِينَ يَعْتَدِي عَلَيْهَا:

يَاءِ مَاذَا تَرْجُونَ غَيْرَ التَّفَانِيِّ
 سَعْيُّ أوِ الْعِيشِ فِي الشَّقَا وَالْهَوَانِ
 وَفِلَسْطِينَ فِي الْجَحِيمِ تَعَانِيِّ
 أَيْهَا الْعَرَبُ أُمَّةُ الْمَجْدِ وَالْعَدْلِ
 إِنَّهُ الْمَوْتُ فِي الْكَرَامَةِ الْإِلَيَّهِ
 كَيْفَ تَرْضُونَ عِيشَ أَمْنَ وَخِيَرَ

(1) صالح الخريفي: ولد بالقرارة جنوب الجزائر عام 1932، له عدة دواوين مطبوعة، وتأليف في النقد وتأريخ الأدب الجزائري. وهو ميزاني أي ببرلي.

ويتغنى الشاعر بوشامة بيعجاشية فيلبح على عرويتها قائلًا:

يا ساحل المجد هيا اسمع لإنشادي في حسنك المجتمعى بوركت من واد
واهجز معي بأغانى الخلد مذكرا أيامك العز فى دنيا (ابن حماد)
لا شيء أحلى من الأشعار يلهمنا منتف من بنى الإسلام والضاد
دمتم بناة العلا عربا جهابنة وعشتم للفداء يا فتيبة الوادى
وتندلع ثورة الجزائر فينطلق شعراجزائر والأقطار العربية، معتبرين
بطولاتها إحياء للبطولات العربية كبطولة عترة بن شداد، وخالد بن الوليد،
وعمر بن الخطاب، وسعد بن أبي وقاص.وها هو مفدي ذكرييا ينشد:

إن كتتم تجار حرب إن من أجدادنا من باع فيها واشتري
فرسان حومتها؟ سلوا صهواتها كم أسرجت بـ (ابن الوليد وعترة)
سنثتها (عمرية) (سعدية) سثير رملتها قاتاماً أغبرا
وفي 1961 ينشد مفدي ذكرييا في نفس المعنى، فيلبح على الهوية العربية
لثورة أول تشرين الثاني (نوفمبر) فيقول:

نادة (عقبة) للفداء و(حيدر) والشعب أسرع للشهادة عندما
ونكلم الرشاش جل جلاله فاهتزت الدنيا وضج المنبر
والذكريات وإن تقاصد عهدها في أمّة أشباهم اتكسر
وما انفك الشعرا يتغنوون بأمجاد (أمة الضاد)، فالشاعر أحمد سحنون⁽¹⁾ في
1947 يفتخر بأمة الضاد التي ستثال مرادها، وبأبناء الضاد الذين سيتصرون:
هات نشأ صالحاني العلا ويفك الضاد من أسر الأعادي
وطوت أيامهم سود عواد لا تقل شمس بنى الضاد اختفت
أمة الضاد، ستتحظى بالمراد لا تضيق ذرعا، ولا تهلك أسى

(1) الشيخ أحمد سحنون: من رجال الإصلاح. له ديوان شعر. من أقطاب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. مؤسس حركة الدعوة الإسلامية بعد الاستقلال.

وإذا كان الطابع العام للأدب الجزائري والشعر الجزائري هو بث الوعي القومي من ذكر الأمجاد العربية، واستعراض تطلعات شعوب الأمة العربية نحو المصير الواحد المشترك، بث ذلك بصورة عامة، فإن هذا الشعر لم يهمل التحدث عن الوحدة العربية. فبلقاسم خمار⁽¹⁾ يطالب بأن يستمر النضال حتى تتحقق الوحدة العربية الكبرى:

لابشري لي، زحفا مواكبنا، وصمتنا يا ضجيج
حتى يوحدنا الكفاح من المحيط إلى الخليج
وهناك يهتز النشيد ويملاً الأفق الأرجح

ومفدي زكرييا يقول بأن المحن والمعاناة هي التي تفرض الوحدة:

تلك العروبة إن تشر أعصابها وهن الزمان حيالها وتضعضا

الضاد في الأجيال خلد مجدها والجرح وحد في هواها المتزعما

ويعيش مفدي زكرييا مأساة فشل أول تجربة وحدوية، ووحدة سورية ومصر،

ويكتب قصيدة تعتبر من أجمل ما قيل، عنوانها (عيد وحدتي)، فهو يتالم لفشل هذه التجربة وحلول التناحر والشقاق محلها. فالتخلي عن هذه الوحدة معناه انحراف سفينة أمتنا نحو مسار سيء وخطير.

قد تراءى الشقاق حطمت كاساتي على مبسمي وأحرقت دني
قد رأيت السفين يجرفها أليس لسوء المصير أغرت سفني
ثم يعبر عن عمق حزنه الذي يقول إنه سيقى ملازماته، وسوف لا يحل محله
الفرح إلا إذا تحققت الوحدة، فغناء الشاعر لا يحلو إلا في أفراح الوحدة:

ودع الروح للبلاد تشنو وابعث الشعب للخلاص يهبني
فروحتي (وحدتي) وشعري طيري بسوى عيد وحدتي لا أغنى

(1) من مواليد بسكرة بالجنوب الجزائري.

استعرضنا شعر أربعة عشر شاعراً، يتمنون إلى أجيال مختلفة، أكبرهم سنا ولد عام 1890، وأصغرهم ولد عام 1932، استشهد اثنان منهم في أثناء ثورة تشرين الثاني (نوفمبر) وهما:

(الأمين العمودي شهيد عام 1957، وعبد الكريم العقون تم إعدامه من طرف السلطات الاستعمارية في 13/5/1959).

خمسة منهم أمازيغ (بربر) وهم (عبد الحميد بن باديس، ومغدي ذكرياء، وعيسى حمو النوري، صالح الخرفي، والريبع بوشامة). عبروا جميعاً عن عروبة الأمازيغ.

ومجموعة الشعر التي عرضتها بایيجاز، تقدم بوضوح فكرة عن الرسالة القومية التي أدهاها الشعر على الخصوص في نشر الوعي القومي بالجزائر. فقد أدى الأدباء والشعراء الجزائريون رسالتهم في هذا الميدان، حيث استمروا يمدّون الرأي العام الجزائري بأنباء الوطن العربي، رغم الستار الحديدي الذي فرضته السلطة الاستعمارية على الجزائر، ويعرضون أمامه مآثر الحضارة العربية وأمجاد العرب بصورة عامة، حتى لا ينسى أصله وأجداده، حيث عملت الإدارة الاستعمارية منذ دخولها الجزائر، عام 1830، على جعل الجزائريين ينسون ماضيهم العربي، وينصرفون عن الثقافة العربية، أي من أجل أن تفقد الجزائر ذاكرتها العربية.

وكان هؤلاء الأدباء والشعراء يشيرونون أخبار الوطن العربي، وينشرونه بين أبناء الجزائر، متحدّين بذلك السلطات الاستعمارية التي كانت تحاصر النوادي العربية، وتمنع دخول الصحافة، والكتب العربية، وتطارد معلم العربية وتضيق عليه الخناق، وتدرج اسمه في قائمة المهددين للأمن بصورة دائمة ومن بين هؤلاء الشعراء، شعراء أمازيغ (بربر) تغنوا بالعروبة وهم يعتبرون أنفسهم عرباً ويعتبرون الأمازيغ (البربر) عرباً.

ونظر المعن الإدارية الفرنسية تعليم العربية في المدارس الفرنسية، ومحاربة فتح مدارس حرة لتعليمها، فإن الأدب المعبر عنه بالعربية يقى في إطار ضيق ولا يعدو الشعر والمقالة، كما يقى الأدب المعبر عنه بالفرنسية محصوراً في طبقة ضيقة جداً، لم ينفذ إلى وجdan الشعب الذي استمر في غالبيته العظمى يجهل الفرنسية.

وأدى الرجل الشعبي دوره الكبير في التعبير عن خلجان وجدان المواطن الجزائري، وتطور مشاعره، ومرافقته تطور الصراع بين الشخصية الجزائرية والشخصية الفرنسية الغازية. ولم يهمل الرجل الشعبي دوره في بث الوعي القومي، فأداته بأمانة وذم. فزجال من قرية برج الغدير ينشد زجلاً في الأربعينيات، يعبر عن أمنيته المتمثلة في زواجه بمن يحب، وإقامته في مدينة سطيف، وهذا في تصوره لا يتم إلا في ظل دولة عربية. يقول:

وَاللَّهُ لَا وَتَصِيرُ الدُّولَهُ عَربَيَّهُ
مِنْ وَلِيدَاتِ عَيَاضٍ غَيْرِ اللَّهِ نَبَغِيهُ
نَفْرَقْجُ خِيرَهُ صَاحِبَهُ الْمَلِيَانَيَا
وَنَسْكُنْ وَسْطُ سُطِيفُ وَالْقَلْبُ نُزَهِيهُ

وزجال آخر من جنود جيش التحرير، ينظم قصيدة طويلة بعنوان (قداش تفكك) يقول فيها مخاطباً فرنسا، بأن العملاء خدعوك فأوهموك أن الجزائر ملك لك، بينما هي في الحقيقة (دولة عربية).

افرنسَا يخليلك
الكوميَّة زَرَوا يَلِيك
الجزايِّر ما هي ليك
راهي دُولَة عَربَيَّة

وهذا زجال آخر من قبيلة (أولاد سيدى عبيد) بالشـرق الجزائري، يستعرض
بطولات جنود التحرير فيصفهم بأنهم (أولاد العربية).

كـي ثـاروا أـولاد العـربـيـة
قصـدوا قـتـال الرـومـة
سـكـنـوا فـي جـبـال الـظـهـرـيـة
وـيـنـ يـدـورـ الـحـوـمـة
جـتـ الطـيـارـةـ المـخـلـيـة
وـكـانـ اـطـبـلـهـاـ يـزـوـمـة
وـتـبارـكـ فـي هـاـ الجـنـديـة
وـمـولـ القـلـابـ يـقـوـمـة
أـبـطـالـ أـولـادـ العـربـيـة
وـمـنـ حـاضـرـ مـنـ الـقـوـمـة



ملاحق

- النزعة البريرية في الانتخابات الرئاسية الجزائرية
- ما ينتظره الشعب
- هل تنجح الأكاديمية البريرية بفرنسا في ترويض الأوراس الأشم؟
- لائحة رفض من المجلس التاريخي للولاية الأولى
- بيان تأييد من الرئيس أحمد بن بله
- ثالوثية الهوية الوطنية تتعارض مع بيان أول نوفمبر
- لائحة رفض من المجلس التاريخي الموسع
- رسالة من بجاية، لا للنزعة البريرية
- رأي الأستاذ محمد البصري في المسألة البريرية
- إلغاء المؤتمر الأمازيغي (البريري) الشعوبى وسعار الصحف الفرنسية الصادرة في الجزائر
- لهجة تقاضي لغة؟
- رأي المستشرق جاك بيرك في المسألة البريرية
- بيان لجنة المساندة للمفهوم السليم للمسألة الأمازيغية والهوية الوطنية
- كيف يفسر البريريون ثلاثة الهوية الوطنية
- كيف طبق قانون تعميم اللغة الفرنسية في فرنسا
- حوادث تيزي وزو 1980 في الصحافة الأوروبية

النزعة البريرية في الانتخابات الرئاسية الجزائرية^(*)

تقدّم السعيد سعدي زعيم التيار البريري للانتخابات الرئاسية الجزائرية، وعمل على إخفاء عدائه للعربية، لكن المواطنين ذكروه بها عبر الإذاعة. ولا أنسى ما قالته له سيدتان من مدineti تبسة ومليانة. لقد تحدث في حملته بالعربية، وكان يبرر لمصوري التلفزة وهو يقرأ سورة الفاتحة على قبور الشهداء. لكن شعب الجزائر العربي المسلم أدرك أن كل هذا مجرد مساحيق سيغسلها أصحابها بمجرد انتهاء العملة.

وكان الخاسر الكبير في الانتخابات هو مرشح النزعة البريرية، الذي لم يحصل سوى على أصوات القبائل في ولايتيں (بجاية، وتيزي وزو) على أساس جهوي. بينما نجد البرير في الولايات الأخرى حجبوا عنه أصواتهم. فالشاوية البرير في ولاياتهم الأربع (باتنة، تبسة، أم البواقي، وخنشلة)؛ وينمو ميزاب في ولاياتهم (غرداية) وهم من البرير أيضاً، أعطوا النور الدين بوكر وروح العربي أكثر مما أعطوا للسعيد سعدي البرير يست. ولا أتكلّم عن اليمين زروال، ومحفوظ نحناح، فقد حصدا الأصوات في كل الولايات ماعدا بالولايتين القبائليتين المذكورتين اللتين احتكرهما البرير يست.

(*) نشرت في جريدة "الشرق الأوسط" اللندنية عدد 23/11/1995، وأسبوعية "الشروع العربي" عدد 28/11/1995، 238

الخلاصة:

أولاً: إن الشعب الجزائري في الولايات الست والأربعين تصرف على أنه عربي مسلم في هذه الانتخابات، بما فيه الفئات البربرية التسع الأخرى. ولم تشد سوى الفتنة البربرية العاشرة المضللة من طرف تلاميذ الآباء البيض المستعمرين الجدد التي تصرفت كفتنة قبائلية لا كفتنة بربرية (أمازيغية). وأن النزعة البربرية لا وجود لها في الجزائر العربية المسلمة. وقد بدأت أصوات القبائل الوطنيين ترتفع منادية بتصفية هذه الظاهرة الجهوية المقيدة. فالأستاذ عبد السلام بلعيد عَبَّر عن ذلك بشجاعة في حديث أعطاه لجريدة الخبر في عددها الصادر يوم 19 نوفمبر 1995، وهو يعقب على الانتخابات. كما أن سكان ولايات الشمال القسنطيني (جيجل، قسنطينة، ميلة، وسكيكدة) تصرفوا بلا جهوية فأعطوا أصواتهم لنحنا نحن الذي هو من وسط الجزائر، أكثر مما أعطوه لبوكر وحده الذي هو من الشمال القسنطيني.

ثانياً: لقد أعطى الشعب أصواته لزروال كرجل الساعة الذي يملك القدرة على وقف نهر الدم بالجزائر، بالرغم من أن عمره كرجل سياسة لم يتتجاوز عشرين شهراً، وما الأصوات الناعمة التي تثار الآن تعقيباً على الانتخابات لإظهارها على أنها تصفية للظاهرة الإسلامية، إلا نشازاً مؤسساً من القوى الدولية، التي ترى أن الجزائر عملاق ينبغي تركه منشغلًا بهمومه الداخلية، قبل إيجاد حل نهائي لقضية الشرق الأوسط، وأن الدم لا بد أن يستمر في التدفق. ولا أريد أن أطيل في هذا الموضوع لأنني رجل ثقافة أترأس جمعية ثقافية.

ما ينتظره الشعب (*)

أولاً: إن البربر عرب عارية، وأن البربرية لهجة للعربية القديمة (السامية)، بطل استعمالها بالشرق ما عدا حضر موت باليمن التي لازالت تستعمل بها، وبالغرب العربي ومصر. وأن لهجات تلمسان ووهران وبسكرة وقسنطينة وعنابة وجيجل والقاهرة وتونس هي لهجات للعربية الحديثة، لغة قريش والقرآن الكريم.

ثانياً: إن التزعة البربرية هي من خلق الاستعمار الفرنسي القديم بواسطة الظهير البربالي بالمغرب سنة 1930 الذي أفشل رؤساء العشائر البربرية؛ وبواسطة مؤامرة 1949 التي أفشلها حزب الشعب الجزائري. ومن خلق الاستعمار الفرنسي الجديد عندما أسس الأكاديمية البربرية في باريس سنة 1967، من أجل هدف واحد وهو الإبقاء على هيمنة اللغة الفرنسية في الجزائر والمغرب العربي. وذلك بإيجاد ضرة للغة العربية. وأخر ما أنجزته الأكاديمية البربرية عقد مؤتمر في فرنسا عن البربرية في شهر سبتمبر 1995، بتمويل فرنسي، شارك فيه مائة باحث من سائر أقطار المغرب العربي. ومن الغريب أن يكتب صحفي مغربي معروف على أنه عروبي، في جريدة "الاتحاد الاشتراكي" المغربية، (عدد 27 سبتمبر 1995)، عن هذا المؤتمر كلاماً غريباً يغطي عورته الشعوبية. وأحب أن أوضح للإخوة المغاربة أن التزعة البربرية أخطر على المغرب منها على الجزائر، لأن نسبة البربر إلى سكان المغرب (60 %)، بينما نسبتهم بالجزائر أقل من (20 %)، ولأن الفتنة البربرية التي تنتشر فيها التزعة البربرية وهم القبائل تعتبر أكثر ناحية مستفيدة من التنمية الوطنية؛ بينما البربر بالمغرب يمثلون النواحي الفقيرة،

(*) خلاصة مقال نشر بـ"الشروع العربي" الجزائرية عدد 12/12/1995 وـ"الشرق الأوسط" اللندنية عدد 6226.

سكن البيوت القصديرية، والخطر كل الخطير أن يلبس الصراع الاجتماعي هذا (الثوب البربرى)، ويتحول الصراع بين فقراء وأغنياء، إلى صراع بين عرب أثرياء وبربر فقراء. والفرنسيون الآن لا يشرون التزعة البربرية بالمغرب لأنهم منضبط بالنادي الفرنكوفوني، ولكن سيأتي الوقت الذى سيشرونها فيه وعندما ستكون الطامة الكبرى.

ثالثاً: لقد أصدر الرئيس اليمين زروال أحضر قرار في تاريخ الجزائر، لم يصدر مثله أي حاكم جزائري طوال أربعة عشر قرنا، وهو تأسيس المحافظة السامية للأمازيغية، التي يأمل البيربرىست أن يحققوا بها تدمير الوحدة الوطنية. إنهم يقولون الآن إنها تقر بأن اللهجة الأمازيغية في نفس حجم العربية، عندما يفسرون عبارة: (الهوية الجزائرية تتكون من الإسلام ومن الأمازيغية ومن العربية) بأن وزن العربية في وزن الأمازيغية، وكما يقال بالإنجليزية (فيفتى - فيفتى). وينبغي ألا ينسى الرئيس زروال أنه من أمازيغ الشاوية الذين يؤمنون حتى العظم بعروبة الجزائر كل الجزائر. كما يتذكر الشعب الذي انتخبه أن يحرر هويته من استعمار هيمنة اللغة الفرنسية على دولة الذي لازال قائما، بالرغم من مرور ثلاثة عقود على استقلاله، الذي تحققت خلالها (الجزائر الفرنسية) رسميا. الشعب يتذكر من رئيسه أن يلغى تجميد قانون تعليم استعمال اللغة العربية. وأن يأمر بتأسيس مجمع اللغة العربية الذي صدر في حقه قانون سنة 1986 ، والذي لازال مقبورا في أدراج الدولة بسبب تامر أعداء العربية من البربرو-فرنكوفيل الذين يسيطرون على مفاتيح الإدارة. إن جسد الجزائر ترسبت فيه عروق من الصديد خلفها الاستعمار الفرنسي القديم والمجديد، والطاقة الوحيدة القادرة على صهر هذه العروق وإذالتها هو التعريب. لقد كانت هذه الحقائق كلها تغلى في أعماق نفسي طوال هذه السنة، وتجنبت إثارتها حتى لا أتهم بالتشوش على مهمة الرئيس الانتقالية، أما الآن فإني آخذ حرتي.

إن الشعب يتظاهر من رئيسه المنتخب، أن يحترم إرادته فيعود، إلى استشارته باستفتاء، في المسألة الأمازيغية، وفي عبارة: «ت تكون الهوية الجزائرية من الإسلام والأمازيغية والعربية» والتي تجعل اللهجة الأمازيغية (القبائلية) بالحرف اللاتيني في مستوى واحد مع اللغة العربية؛ هذه العبارة التي صارت آية قرآنية تردد على كل لسان. كان له عذر عندما كان رئيس دولة مسؤولاً أمام إدارة، أما الآن فإنه رئيس جمهورية منتخب مسؤول أمام الشعب الذي انتخبه، وأهم ما ينبغي فعله أن يحافظ على الوحدة الوطنية، ولا وحدة وطنية بلا وحدة لغوية. فالموسوعة الفرنسية (يونيفرساليس) في مجلدها السابع تقول: «إن الوحدة اللغوية لفرنسا مرتبطة بوحدتها السياسية». وفي حديث أدلّى به وزير الثقافة الفرنسي لقناة التلفزة الفرنسية الأولى يوم 15/11/1995 قال: «إن فرنسا ترفض تعدد الثقافات بها، لأن ذلك يعتبر خطراً على وحدة الأمة الفرنسية».

رابعاً: أرجو من سيادة الرئيس أن يفعل مثلما فعل الهواري بومدين قائد جيش التحرير العظيم، الذي كانت أبواب مكتبه بالمرادية مفتوحة المتناد، وكان يحيط به أنساب لا يخفون عليه أي شيء. ولا يأس يا سيادة الرئيس أن أقول لك، ما سبق أن قلته للرئيس بن جديد سنة 1988، ونشرته الصحافة في ذلك الوقت، فقد قلت: «إن أخطر شيء على الرجل الأول للبلاد أن يحيط بأناس لا يقولون له إلا ما يحب ويبحثون أن يسمع».

خامساً: إن المصريين لم يفكروا أبداً في العودة إلى اللغة الفرعونية، رغم كونها مسجلة على آثار أعظم حضارة عرفتها البشرية في قاراتها الخمس، كما أنهم لم يتبنوا عبارة: (ت تكون الهوية المصرية من الإسلام والفرعونية والعربية). بل إنهم سموا دولتهم (جمهورية مصر العربية) ولو يقولوا جمهورية مصر المصرية، بالرغم من أن كلمة مصر ومصرية عمرها سبعة آلاف سنة، بينما نجد

عمر الكلمة جزائر وجزائرية أقل من خمسة قرون، بل إن المغارب الذي يوجد فيه أكبر تجمع ببريري لم يغير هويته ولا زال يقول إنها عربية مسلمة.

كلمة أخيرة أود أن أسرّ بها إلى شعبنا العربي المسلم، فقد تلقيت منذ الحصة المتلفزة التي سجلت لي عن الأمازيغية في بداية 1995 ولم تذع، عدة تهديدات بالقتل. مثلما حدث لي في بداية الثمانينيات عندما رددت على البربرист إثر ما يسمى بالربيع البربري، فهددت وكسرت سيارتي عدة مرات، وإذا حدث أن قتلت فسيكون قاتلي (فرنكوفيلي ببربرست)، وأحب أن أوضح لهؤلاء أن والدتي الحاجة زينب أنجبت ولدين: عثمان وسليمان، فسليمان مات شهيدا وهو في سن الزهور كجندي في جيش التحرير، من أجل تحرير أرض الجزائر من الاستعمار القديم، وعثمان مستعد أن يموت شهيدا من أجل تحرير هوية الجزائر من الاستعمار الفرنسي الجديد.

هل تنجح الأكاديمية البربرية بفرنسا في ترويض الأوراس الأشم^(*)

بقلم الدكتور عثمان سعدي

رئيس الجمعية الجزائرية للدفاع عن اللغة العربية

وهكذا قررت قيادة الأكاديمية البربرية في فرنسا برئاسة (سليم شاكير) ترويض الأوراس الأشم. ونزل علينا نحن أبناء (أوراس - النمامشة)، هذا النبأ نزول الصاعقة. فقد بثت التلفزة نبأ مفاده، أن مؤتمرا للأمازيغية سيعقد بعاصمة الأوراس باتنة، في نهاية مايو 1996.

ولقد تمكنت هذه الأكاديمية التي أنشأتها أجهزة استخبارات الاستعمار الفرنسي الجديد في باريس سنة 1967، من ترويض جرجرة، عندما أقامت ملتقى (إيكوكران)⁽²⁾ سنة 1980. ومنذ ذلك التاريخ وهي تحاول عن طريق عملائها في الجزائر ترويض الشاوية: أرسلوا إلى تبسة وفدا من تizi وزو، فاستقبلتهم أبطال النمامشة بأن كسروا لهم زجاج سياراتهم، وطردوهم، وحدروهم من العودة؛ فلم يعودوا إلى مضارب أكبر قبيلة بربرية بالجزائر وهي قبيلة النمامشة، التي أنجبت العربي التبسي، والأزهر شريط، وساعي، وعمر البوقصي، والوردي قتال، والرائد جدي، والرائد عثمان سعدي بن الحاج، وغيرهم من شاوية النمامشة، الذين يؤمنون بأن هوية الجزائر مبنية على ثنائية العروبة والإسلام، وأنها أبعد ما تكون عن الثالث. فثلاثية الهوية الجديدة (الإسلام والعروبة والأمازيغية) مخالفة لسائر دساتير الجزائر، بما فيها دستور 1989 الذي تعيش تحت ظله. وأن هذه الدساتير لا تقر إلا ثنائية الهوية المتمثلة في (العروبة والإسلام). وما الأمازيغية في ذهن كل

(*) مقال نشر بـ"الشروع العربي" عدد 26/03/1996.

(1) أحمد بن نعمان: فرنسا والأطروحة البربرية في الجزائر، ص 167.

شاوي، أو قبائلي لم تشهه سعوم الآباء البيض، إلا عنصر في تاريخنا، وتراثنا الثقافي؛ إنها أمازيغية يوسف بن تاشفين المرابطي، وابن تومرت الموحدى، وعبد الحميد بن باديس الصنهاجى، والعربى التبسى النموشى، والشيخ الزموشى الحركاتى، وأحمد السرحانى، ومحمد الغسيري، والشيخ عمر دردور الأوراسين. وليست ضرة لغوية للغة القرآن الكريم مثلما يريد لها عملاء الأكاديمية البربرية في فرنسا. إنها مثل المصرية في مصر التي يصرّ قادتها على ثنائية الهوية المصرية (العروبة والإسلام).

لقد حاولت قبل سنوات هذه الأكاديمية ترويض الأوراس عن طريق إرسال وكيلها سنة 1991 ، الذي توجه إلى باتنة على رأس مجموعة من شباب تizi وزو المغرّر بهم، في عشرات الحافلات، واستقبلهم أبناء أبطال الأوراس الأشم على أطراف باتنة، بحجارة هذه الجبال، الذي يحمل كل حجر منها أثرا من دماء شهداء أول نوفمبر، فشتوا جمعهم، ومنعوهم من تلويث تراب باتنة بأقدامهم الملطخة، وهوائهما بأرائهم الشعوبية، المعادية للعروبة والإسلام وللحاجة الوطنية.

لقد عقد أول مؤتمر للأمازيغية بفرنسا في سبتمبر 1995 ، كتبت عنه وعن سموه، ضمن دراسة مطولة عن المسألة الأمازيغية، نشرت في جريدة "الشرق الأوسط" اللندنية، و"الشروع العربي" أعداد (238 و 239 و 240). وبعد هزيمة (البريريزم) من خلال هزيمة مرشحها، بالانتخابات الرئاسية يوم 16 نوفمبر الماضي، في ولايات الشاوية الأربع، حيث تفوق عليه نور الدين بوكروح -(يراجع مقالى بصحيفة الشروع العربي عدد 28 نوفمبر 1996)- قررت قيادة الأكاديمية البربرية معالجة هذه الهزيمة، بعقد مؤتمرها الثاني في باتنة يوم 31 مايو المقبل، ويقال أن عدد المشاركين في هذا المؤتمر سيكون ألفي (2000) مؤتمر أو متآمر. من مختلف العواصم الفرنكوفونية.

هل سيُتيح أبطال الأوراس الأشم الفرصة لأعداء الوحدة الوطنية، أن يعقدوا مؤامراتهم هذه، في عاصمة أوراسنا العظيم؟ فتلّوت ذكرى مصطفى بن بولعيد العظيم.

لائحة رفقن من المجلس التاريخي للولاية الأولى

نحن أعضاء المجلس التاريخي للولاية الأولى -أوراس النمامشة- وأمناء الولايات الإدارية لكل من (باتنة، تبسة، خنشلة، أم البواقي، سطيف، برج بوعريريج) ومندوبي التواحي للمجاهدين لولاية باتنة، المجتمعون في مقر الأمانة الولاية للمنظمة الوطنية للمجاهدين، شارع ابن باديس، يومي السبت والأحد 11 و 12 ذو القعدة 1416 هـ الموافق لـ 30 و 31 مارس 1996 م.

وبعد النقاش الواسع والتحليل المستفيض، حول أسباب ود الواقع وأهداف الحركة الأمازيغية، وقضية عقد المهرجان أو المؤتمر العالمي حول الأمازيغية في باتنة، عاصمة الولاية الأولى التاريخية، وفي هذا الوقت بالذات.

ودعوة ما يقارب ألفين من دعاة الأمازيغية، لحضور هذا المؤتمر، وتخصيص الملايين من أموال الشعب التي كنا نود أن تنفق في صالحه، وليس لتغطية تكاليف هذا المهرجان أو المؤتمر، الذي يخفي من ورائه مشروع تخريبيا يهدد البلاد في وحدتها الوطنية، ويحارب اللغة العربية والإسلام نيابة عن فرنسا، ضمن مشروع تأمري على وحدة الشعب التاريخية واللغوية، تحت إشراف المكتب العالمي للأمازيغية، وتكون جمعيات وطنية ومحلية تحظى بالدعم المطلق المادي والسياسي، ولا يمثل أصحابها إلا أنفسهم.

وقد سبق لعدد كبير من الجمعيات التاريخية والثقافية، والمنظمات والاتحادات الطلابية، أن قدمت بيانات شديدة اللهجة، قوية الحجة، إلى رئاسة الدولة، والحكومة، في شأن خطير الحركة الأمازيغية، مثلا: بيان 21 نوفمبر 1994، وبيان 16 ماي 1995، والرسالة الموجهة لرئيس الحكومة في 15 جانفي 1995، وددنا لو أنها أخذت بعين الاعتبار.

وبعد تأكينا من الدوافع والأهداف الخاطئة لهذه الحركة المشبوهة، التي تسعى إلى زرع وتغذية الفتنة اللغوية، قصد إيجاد طرف ثالث في الصراع اللغوي، لتكريس هيمنة اللغة الفرنسية، والمساس باستقرار الأمة.

فإننا نؤكد، باسم سكان ومجاهدي الولاية الأولى التاريخية- أوراس النمامشة- ما يلي:

1 - الرفض القطعي لعقد هذا المؤتمر أو المهرجان العالمي في مدينة باتنة، عاصمة الأوراس، في هذا التاريخ، أو غيره فيما بعد.

2 - التصدي لهذه الحركة الأمازيغية ومقاومتها في منطقة الأوراس، بكل الوسائل الممكنة، على مستوى الولايات الإدارية؛ مع دعوة مختلف الجمعيات والمنظمات والاتحادات إلى التصدي لها ومقاومتها دون هوادة، ومناشدة جميع ولايات القطر الجزائري، إلى القيام بنفس الدور، لحماية الشعب الجزائري، في وحدته الوطنية واللغوية والدينية والتاريخية، وسيادة دولته الفتية.

3 - نتمسك باحترام اللهجات البربرية كتراث شعبي مشترك، عبر العصور، واعتبارها رافدا للغة العربية، ونرفض تحويل هذا التراث، إلى مشروع تخريبي، تحت تسيير المحافظة السامية للأمازيغية، بإشراف المكتب العالمي للأمازيغية.

4 - التأكيد على أنه لا يمكن بأي حال من الأحوال، أن تفرض لغة أخرى على الشعب الجزائري، إلا باستشارته عن طريق الاستفتاء، تجنبا للمس بثوابته ووحدته، واحتراما لسيادته، لاسيما في القضايا المصيرية.

عن المجلس التأسيسي للولاية الأولى وأمناء الولايات الإدارية ومجاهديها ومندوبي النواحي لولاية باتنة.

الموقعون على اللائحة:

- رئيس المجلس التاريخي للولاية الأولى
الأمين الولائي للمجاهدين، باتنة
عضو المجلس التاريخي، تبسة
عضو المجلس التاريخي، تبسة
الأمين الولائي للمجاهدين، تبسة
عضو المجلس التاريخي، خنشلة
عضو الأمانة الولاية للمجاهدين، خنشلة
الأمين الولائي للمجاهدين، خنشلة
عضو المجلس التاريخي، باتنة
عضو المجلس التاريخي، باتنة
عضو المجلس التاريخي، باتنة
عضو الأمانة الولاية للمجاهدين، باتنة
الأمين الولائي للمجاهدين، أم البوachi
عضو الأمانة الولاية للمجاهدين، باتنة
عضو الأمانة الولاية للمجاهدين، باتنة
مجاحد، باتنة
مجاحد، باتنة
عضو الأمانة الولاية للمجاهدين، بـ. عريريج
عضو الأمانة الولاية للمجاهدين، باتنة
عضو الأمانة الولاية للمجاهدين، سطيف
مندوب ناحية المجاهدين، أولاد سلام
مندوب ناحية المجاهدين، اشمول
- العقيد الحاج لخضر عبيد
محمد الهادي مسعوداني
العقيد عثمان سعدي
أحمد زمولي
حفظ الله أحمد
محمد الهادي رزاييمية
الطاهر بوشارب
عباسي بوزيد
ملح محمد الصالح م / عمار
الرائدة مصطفى مراردة
محمد الشريف عايسى (جار الله)
مصطفى بن عبيد م / مسعود
عمار معرف
مختار فيلايلي
محمد بزيان
العربي مومن
عبد الحميد غنام
الحاج السعيد بن أحمد
أحمد برق
بلقاسم بوشارب
بخوش الصديق
رابحي الصغير

- بن فتالة محمد الصالح
 - محفوظ حريقة
 - أحمد شلوى
 - عبد المجيد بن عمر
 - محمد حقني
 - عبد الرحمن عطية
 - منصورى بلقاسم
 - الواعى محمود
 - عبد الحميد حارك
 - عموري الراجي
 - عمار بلعون
 - مشتى الجمعى
 - محمد ثارى
 - قيدوم معجوج
 - محمد جعرة
 - بن دحمان صالح
 - حنفوسى الطاهر
 - موسى حجيرة
 - خبرارة صالح
- مندوب ناحية المجاهدين، ثنية العابد
- مندوب ناحية المجاهدين، أولاد سي سليمان
- مندوب ناحية المجاهدين، راس العيون
- مندوب ناحية المجاهدين، مروانة
- مجاهد، باتنة
- مجاهد، باتنة
- مندوب ناحية المجاهدين، أربيس
- رئيس جمعية أول نوفمبر، الأوراس
- مندوب ناحية المجاهدين، الجزائر
- مندوب ناحية المجاهدين، الشمرة
- عضو المجلس التاريخي، باتنة
- مندوب ناحية المجاهدين، عين التوتة
- مندوب ناحية المجاهدين، بريكة
- أمين قسمة المجاهدين، بريكة
- مندوب ناحية المجاهدين، تكوت
- مندوب ناحية المجاهدين، باتنة
- مندوب ناحية المجاهدين، عين جاسر
- عضو الأمانة الولاية للمجاهدين، باتنة
- مندوب ناحية المجاهدين، تقانوس

ملاحظة

- أيدتها بيانات الولايات التاريخية: الخامسة، السادسة، القاعدة الشرقية.

بيان تأييد من الرئيس أحمد بن بله

اجتمعت الولاية الأولى (أوراس النمامشة) في مدينة باتنة، يومي 30 و 31 مارس 1996، وأصدرت لائحة حول المسألة الأمازيغية تتفق مع تاريخنا، ومع بيان أول نوفمبر. ومنطقة هذه الولاية تضم (الشاوية) أكبر تجمع أمازيغي بالجزائر، وأكثراهم أصالة من الناحية الأمازيغية، ولا تستطيع أية فئة أخرى أن تزيد عليهم في هذا الميدان، ولهذا فإن هذه اللائحة تعتبر عن الأمازيغ الأحرار، الوطنيين، الذي لم تشوهم دسائس الاستعمار.

لقد استعمل الاستعمار الفرنسي القديم ورقة الأمازيغية في نهاية الأربعينيات من أجل تدمير حزب الشعب الذي أعد للثورة المسلحة. وتمكننا من إفشال مؤامره، وطردنا من الحزب العناصر التي استعملها، فلجمأت إلى الحزب الشيوعي، وبقيت خميرة (البربريزم) حية إلى ما بعد الاستقلال، فالقطفها الاستعمار الفرنسي الجديد، وأسس عليها الأكاديمية البربرية في جامعة (فانسان) بباريس سنة 1967، من أجل التآمر على هويتنا المتمثلة في الإسلام والعروبة، وذلك بتدمير الوحدة الوطنية، بواسطة خلق لغة وطنية ثانية تدخل في صراع مع العربية، حتى تبقى الفرنسية مهيمنة تلعب دور الحكم في هذا الصراع.

إن سائر الأمم الحية المتقدمة تعتمد على قاعدة: (لا وحدة وطنية بلا وحدة لغوية)، وتعدد اللغات يعني تعدد الأمم، ومثل يوغوسلافيا، والاتحاد السوفيتي شاهد على ذلك. ولهذا فإن لائحة (أوراس النمامشة) قدمت التناول السليم للمسألة الأمازيغية، وذلك باعتبار تراث اللهجات الأمازيغية رافدا للغة العربية وللثقافة العربية.

وبناءً على ذلك فإنني أؤيد بقوة هذه اللائحة، وأهنئ أمازيغ أوراس النمامشة الذين سموا فوق الغرائز العرقية، وقدموا لنا المفهوم الصحيح لهذه القضية، التي لوحظت في السنوات الأخيرة بخطير تمزيق وحدتنا الوطنية، بل وجر بلادنا إلى حربأهلية على أساس عرقي، على غرار ما يجري الآن في يوغوسلافيا.

فهنيئا لإخوتنا بالأوراس النمامشة، على هذا الموقف الوطني الذي لا يعتبر غريبا عنهم، ألم تطلق ثورة أول نوفمبر من الأوراس؟

أحمد بن بله

الجزائر في 28 أبريل 1996

ثالثوية الهوية الوطنية

تتعارض مع بيان أول نوفمبر^(*)

بقلم الدكتور عثمان سعدي

رئيس الجمعية الجزائرية للدفاع عن اللغة العربية

من ضمن تعديلات الدستور المقترحة في مذكرة رئاسة الجمهورية، ثالوثية الهوية الوطنية. وهي بدعة خطيرة في تاريخ الجزائر والحركة الوطنية. فهوية الجزائر الوطنية عمّلت منذ أن ظهر كيان الدولة الجزائرية الحديثة على أساس ثانوي يتمثل في (العروبة والإسلام). هي كالعملة لها وجهان لا ثالث لهما. ومنذ ترسخ الإسلام في المغرب العربي، بنيت هويته على الإسلام والعروبة، فمنذ استقلال المغرب العربي عن الخلافة الأموية بعد وفاة الخليفة الأموي العادل (عمر بن عبد العزيز)، ثم عن الخلافة العباسية، حكم بواسطة أكثر من عشر أسر أمازيغية، ولا زالت طوال هذه القرون المغرب الهوية الثانية.

وقد بني بيان أول نوفمبر على هذا التراث، فحدد الهوية الجزائرية تحديدا ثانيا يعتمد على (العروبة والإسلام). ومنذ إعلان الاستقلال سنة 1962 لم تخرج مواثيق الجزائر (ميثاق طرابلس، وميثاق الجزائر، والميثاق الوطني)؛ ودستيرها، عن بيان أول نوفمبر، فارتكتزت جميعها على ثنائية الهوية (العروبة والإسلام).

وإذا استعرضنا البلدان العربية وجدناها ترتكز على الثنائية في تعريف هويتها، فال المغرب الأقصى الذي يؤلف البربر ستين في المائة من سكانه يعتبر هويته عربية مسلمة. كما أن مصر لم تضف بعد الفرعوني لهويتها، ولم تضف سوريا أو لبنان بعد الفينيقي، ولم يضف العراق بعد الأشوري البابلي.

(*) نشرت في أسبوعية "الشروع العربي" ، عدد 21/5/1996

وقد عبر البربرист بوضوح عن عدم اكتفائهم بالتعريف الثلاثي للهوية، ويطالبون بترسيم اللغة الأمازيغية في الدستور. فجريدة (Liberté) في عددها الصادر يوم 6 مايو الجاري تفسر هذه الثلاثية بأن (عناصرها الثلاثة في مستوى واحد من القوة) أي أن اللغة العربية في مستوى واحد مع اللهجة الأمازيغية. وتشير جريد (El Watan) في عددها الصادر في 13 مايو الجاري، تصريحا للناطق الرسمي للمحافظة السامية للأمازيغية يعبر فيه عن «ضرورة أن يتضمن التعديل دخول اللغة الأمازيغية للدستور وتشريع وضعها دستوريا».

إنه في الوقت الذي يعمل فيه على إدخال الأمازيغية في الدستور، يبقى (قانون تعميم استعمال اللغة العربية) ممجدا، وتصفي العربية من الإدار، ويببدأ في تنفيذ خطة لمحاصرة المعاهد المغربية بالجامعة بخلق معاهد موازية لها في نفس الاختصاص بالفرنسية، من أجل تصفيتها ببطء، بدل تعريب المعاهد العلمية والتكنولوجية؛ ويلوح بإعداد خطة لضرب العربية في المدرسة الأساسية والثانوية. مما يشير إلى أن رفع شعار الأمازيغية ليس المقصود منه خدمة الأمازيغية، وإنما ضرب اللغة العربية، والعمل في خدمة الفرنسية وتأييد هيمنتها على الحياة الجزائرية.

إن لائحة الولاية التاريخية الأولى (أوراس النمامشة) الصادرة في 31 مارس 1996، وبيان أحمد بن بلا رئيس الجمهورية الأسبق المؤيد لها، وبيانات الولايات التاريخية السادسة، والخامسة، والقاعدة الشرقية، كلها تؤكد على ضرورة بقاء ثنائية الهوية، احتراما لبيان أول نوفمبر.

لائحة رفض

من المجلس التاريخي الموسع (*)

نحن رئيس وأعضاء المجلس التاريخي للولاية الأولى "الأوراس النمامشة، وأعضاء الأسرة الثورية بولالية باتنة، ومسؤولي وممثلي المنظمات، والجمعيات، والاتحادات الطلابية، والشخصيات التاريخية والعلمية والثقافية، والمجتمع المدني بصفة عامة، المجتمعين بمقر الأمانة الولاية للمجاهدين بباتنة، يوم الأربعاء فاتح ربيع الأول 1417 هـ الموافق لـ 17 جويلية 1996 م والموقعين أدناه.

- 1 - بناءً على البيان الصادر في 21 نوفمبر 1994 عن لجنة الدفاع عن الوحدة الوطنية وثوابت الأمة، المنشقة عن الأسرة الثورية والمنظمات والجمعيات والاتحادات الطلابية بولالية باتنة.
- 2 - بناءً على المراسلة الموجهة من لجنة الدفاع عن الوحدة الوطنية وثوابت الأمة، إلى السيد رئيس الحكومة في 15 جانفي 1995 والمتعلقة بالقضية الأمازيغية.
- 3 - بناءً على لائحة المجلس التاريخي للولاية الأولى، 31 مارس 1996، والمتعلقة برفض عقد مؤتمر الأمازيغية بباتنة.
- 4 - بناءً على البيان الصادر عن الندوة الجهوية للولاية الأولى التاريخية، المنعقدة بباتنة يومي 15 / 16 ماي 1996 في إطار التحضير للمؤتمر التاسع للمجاهدين والمتضمن رفض عقد مؤتمر الأمازيغية بباتنة.
- 5 - بناءً على مصادقة المؤتمر التاسع للمجاهدين، المنعقد بقصر الأمم

(*) تراجعت المحافظة السامية للأمازيغية، وأصدرت بيانا في 3 / 8 / 1996، أعلنت فيه إلغاء عقد ملتقى الأمازيغية بباتنة.

من 29 إلى 31 ماي 1996، على موقف الولاية الأولى، من قضية رفض عقد مؤتمر الأمازيغية بباتنة.

6 - بناءً على مساندة الولاياتين التاريخيين الخامسة والسادسة، والقاعدة الشرقية، وأسرة الثورة بولاية عين الدفلة، وجمعية محافظة وترفة التراث الثقافي لبلدية بجایة، والعديد من الأحزاب والجمعيات والشخصيات الوطنية، لموقف الولاية الأولى التاريخية الرافضة لعقد مؤتمر الأمازيغية بباتنة.

بناءً على ما سبق نسجل ما يلي:

1 - نشيد بموقف الولايات التاريخية، وبعض الأحزاب والجمعيات والشخصيات التاريخية والعلمية، وكل المساندين والمؤيدين لموقف الولاية الأولى التاريخية، كما نشيد بما ورد في التوصيات الصادرة عن الملتقين الوطنيين المنعقدين بباتنة وهما: ملتقى التعريب، وملتقى المرحوم مولود قاسم نايت بلقاسم، وكذا توصيات المؤتمر الجهوي للاتحاد الوطني للنساء الجزائريات، والمتعلقة برفض عقد مؤتمر الأمازيغية بباتنة.

2 - نستنكر تصرفات المحافظة السامية للأمازيغية، التي تريد أن تتحدى موقف الأسرة الثورية، والمجتمع المدني، والشرايع الواسعة من أبناء الولاية الأولى التاريخية، وبباقي الولايات والجمعيات والمنظمات، والمساندين من مختلف جهات الوطن، لموقف الرافض لعقد مؤتمر الأمازيغية في باتنة عاصمة الأوراس الأشم.

3 - إيماناً منا بالدفاع عن الوحدة الوطنية والحفاظ على الثوابت الوطنية، والتمسك بمبادئ وقيم ثورة أول نوفمبر 1954، وتحسباً لما يتربّع عن المؤتمر المزمع عقده بباتنة من فتن، وإثارة للنعرات، فإننا نرفض رفضاً قاطعاً عقد هذا الملتقى في مكانه وزمانه، حتى لا تتحول باتنة، رمز الوحدة الوطنية، إلى حقل للتجارب السياسية، وقاعدة للمخططات التغريبية.

4 - مرّة أخرى، نؤكد أمام الله والتاريخ، وأمام الشعب الجزائري

وسلطات البلاد، أن الأوراس لا يتحمل العواقب، التي تنجم عن انعقاد هذا الملتقى في باتنة من 24 إلى 30 أوت 1996، أو في موعد آخر، ويبيّن المصررون على عقده يتحملون وحدهم التداعي السلبية التي قد تنجم عنه، والتي نحن في غنى عنها.

عن الموقعين / الأمانة الولائية للمجاهدين - باتنة

رسالة من مدينة بجاية

لا للنزعة البريرية (*)

تجري هذه الأيام في مدينة بجاية أحداث في غاية الغرابة، بجاية المدينة التاريخية بآدابها وتقاليدها ولغتها وأهلها.

ظهرت في السنوات الأخيرة عناصر مريرة تعمل على تشويه تراث بجاية العتيق باسم التزعة البريرية في القرن الخامس عشر الهجري، بعد أن امترج البرير بالعرب المسلمين في القرن الأول الهجري، وصاروا يكونون أسرة واحدة، عقيدتها الإيمان بالله الواحد الأحد لاشريك له، ولغتها لغة القرآن الكريم، اللغة العربية التي قال عنها رسول الله ﷺ - بمناسبة سوء سلوك بعض المنافقين تجاه بلال الحبشي وصهيب الرومي وسلمان الفارسي رضي الله عنهم، لأنهم ليسوا عرباً: «ليست العربية بأحدكم من أب ولا أم وإنما هي اللسان فمن تكلم العربية فهو عربي» صدق رسول الله ﷺ .

عاش أجدادنا نتيجة هذا التمازج في وئام تام في ظل التعاليم الإسلامية المجيدة، فأنشئوا حضارة مزدهرة في المغرب والأندلس شهد بعظمتها ويشهد العدو قبل الصديق، ثم ويدون استئذان، دخلت عناصر مشبوهة في ساحة حياتنا وهي تعمل على تنفيصها بما تنادي به من أفكار غريبة لا صلة لها بمجتمعنا وعقيدتنا وتاريخنا.

تنطلق أصوات تلكم العناصر المشبوهة من الادعاءات الآتية:

- 1 - العرب المسلمون كانوا مستعمرین ولم يكونوا فاتحين.
- 2 - اللغة العربية لغة القرآن لغة فرضت علينا، وليس لغتنا، والإسلام دين غريب عنا!
- 3 - اللغة الفرنسية والمفرنسون أقرب إلينا من اللغة العربية والعرب.

(*) الرسالة صادرة عن جمعية المحافظة وترقية التراث الثقافي لمدينة بجاية، وموثقة من رئيسها الأستاذ سيد أحمد الطرابلسي، نشرتها "الشروق العربي" في عدد 18/6/1996.

١) العرب المسلمين كانوا مستعمرين !!

لم يتفوّه بهذا الكلام غير منظري الاستعمار الفرنسي ليبررها استعمارهم بلادنا، إنهم ما فتشوا يرددون: «إننا وجدنا الجزائر مستدمرة سنة 1830 ولم نفعل أكثر من افتراكها من استعمار كانت ترث حته». هذا الادعاء باطل وذلك للاعتبارات الآتية:

أولاً: إن العرب الفاتحين كانوا حاملين رسالة سماوية مهمتهم الأولى دعوة الناس إلى الإيمان بالله واحد لا شريك له، وأن محمداً بن عبد الله عبده ورسوله خاتم النبيين، دعوة الناس إلى التعاون على البر والتقوى، يقول الله سبحانه وتعالى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّنْ ذَكَرٍ وَأَنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُورًا وَقَبَّلَنَاكُمْ لِتَعْرَفُو إِنَّ أَكْرَمَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَكْرَمُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَيْرٌ» صدق الله العظيم.

يقول رسول الله ﷺ: «لَا فَضْلَ لِعَرَبٍ عَلَى عَجَمٍ وَلَا لِعَجَمٍ عَلَى عَرَبٍ إِلَّا بِالْتَّقْوَى».

ثانياً: عدد البربر المسلمين الذين كانوا في جيش طارق بن زياد البريري الأصل كان بنسبة الثلثين، مقابل ثلث من العرب. لو كان قصد العرب المسلمين استعمار المغرب كما يدعى المغرضون، لما سمح لطارق بن زياد البريري توقي قيادة جيش المسلمين، مكون في أغلبيته من البربر، ولكنها العقيدة الإسلامية التي تسمو على كل اعتبار وتجعل المسؤولة في يد من يستحقها وجدير بها.

ثالثاً: معظم الدول التي نشأت في المغرب منذ شروق شمس الإسلام على أرجائه إلى يومنا هذا، كانت ترأسها أسر غير عربية الأصل وإن كانت عربية اللسان، ابتداءً من الرستميين ثم الحماديين، ثم الزيانيين، إلى غير ذلك من الدول التي تعاقبت على تسخير شؤون محربينا منذ الفتح الإسلامي.

2) اللغة العربية لغة القرآن لغة فرضت علينا وليس لغتنا والإسلام دين غريب علينا !!

أريد بادئ ذي بدء أن ألفت النظر إلى أن سكان منطقة القبائل على ما نعلم ونحن منهم، لم يفوضوا دعوة النزعة البربرية للتحدد باسمهم، أو تقرير مصيرهم، أو تحديد هويتهم، لأن مصيرهم مصير كل الجزائريين وهو يتهم هوية كل الجزائريين. وهذه الهوية موجودة مع وجودنا على هذه الأرض تضرب بجذورها في التاريخ، نحن بربور عربنا الإسلام، واعتنقنا الإسلام طوعية، فتوطدت صلتنا برب الكون رب العالمين، واتخذنا الإسلام منهجاً في الحياة فتحولنا إلى سادة بعد أن كنا عبيداً تحت قياصرة اللاتين، وتبيننا لغة القرآن اللغة العربية بكل فخر واعتزاز، أجدادنا الذين أقاموا صرح الحضارة العربية الإسلامية في ربوع المغرب وفي الأندلس لم يكونوا قاصرين أو بلهاء، وإنما كانوا راشدين واعيين مدركين الفرصة التاريخية التي منحها إليهم الإسلام، فأخذوا الله وحملوا مشعله غرباً وشرقاً عالياً.

الثابت تاريخياً أننا قبل الإسلام لم نكن نملك لغة مكتوبة وإنما انتشرت بيننا في العهد القرطاجي اللغة البوئيقية ثم عرفنا اللاتينية في العهد الروماني، إلا أنها لم تتغلب في سواد شعبنا مثل البوئيقية، بل انحصرت في الفئة العميلة للروماني.

3) اللغة الفرنسية والفرنسيين أقرب إلينا من اللغة العربية والعرب !!

هذا الكلام ليس غريباً من أناس جعلوا قبلتهم باريس، كلما لجأوا إليها وما أكثر لجوئهم، استقبلتهم رؤساء فرنسا بالأحضان مثل ما فعل ميتران وزوجته بمعطوب الوناس، فاستقبلوه استقبال الوصي للقاصر أو المتبع للتتابع، فأعدقوا عليه العطايا والجوائز، لا شيء إلا لأنه يمجد اللغة الفرنسية

والفرنسيين، ويحارب اللغة العربية والإسلام. ألم يصرح في التلفزة الفرنسية: «لو عممت اللغة الفرنسية منذ سنة 1962 في الجزائر لما كانت اليوم قضية اسمها (تمازيغت)».

نستنتج من هذا التصريح ما يلي:

الدعوة إلى الأمازيغية دعوة مشبوهة تخفي مقاصد غير التي توهם الناس بها، إذ ماذا يعني كتابة هذه اللهجة بأحرف لاتينية! بكل صراحة يعني إبقاء الحرف اللاتيني حيا في حياتنا، وبالتالي يعني بقاء اللغة الفرنسية مسيطرة على دولاب حياتنا، فتكون الأمازيغية المكتوبة بالأحرف اللاتينية عبارة عن لغة فرنسية بالوكالة قلبا وقائلا.

هذه الدعوة شبيهة بالدعوة إلى الحضارة المتوسطية لمحاربة حضارتنا العربية الإسلامية، حضارة متوسطية في الأسماء، وفرنسية في المعنى والقصد، دعوة إلى حضارة متوسطية في الظاهر ودعوة إلى الاندماج في فرنسا في حقيقة الأمر، أصحاب النزعة البربرية يريدون أن يمحوا تاريخنا العربي الإسلامي، الذي هو صفحات ناصعة في جيوبنا، دول مستقلة معترزة بشخصيتها العربية الإسلامية ساهمت في تشييد أ Nigel وأعظم حضارة أخرجت للناس ألا وهي الحضارة العربية الإسلامية.

تريد النزعة البربرية أن تعيينا إلى التبعية اللاتينية بعد أن حررنا الإسلام منها. تريد النزعة البربرية أن تقضي على اللغة العربية لغتنا التي سجلنا بها أنصع صفحات تاريخنا المجيد، وتحل محلها اللهجة صنعت في مخابر فرنسا الاستبدادية، مكتوبة بأحرف لاتينية لا تمت بصلة إلى شخصيتنا ولا إلى أصلتنا.

لا، لا، كفى مهزلة. إن الظروف الصعبة التي تواجه شعبنا، والفراغ المتفشي في بعض القطاعات، لا ينبغي أن يتتحول إلى مطية يركبها الانتهازيون

والاندماجيون، ليرزعوا الفتنة بيننا، تدعيمهم قوى تغريبية في الداخل وقوى أجنبية في الخارج، تعمل للإجهاز على هويتنا ووحدتنا.

إن مقاصد أصحاب التزعع البربرية صارت معروفة لكل الشعب الجزائري بما تنطوي عليه من تضليل، ودعوة صريحة إلى الاندماج في فرنسا، وإلا كيف نفسر سلوك هذه الفئة التي لا تعامل إلا باللغة الفرنسية وتمتنع على أتباعها التحدث باللغة العربية لغة الجزائريين.

إن الأحزاب السياسية التغريبية داعية الاندماج، التي عجزت عن إقناع الشعب بترهاتها وسخافاتها، راحت تستعمل دعاة التزعع البربرية في محاولة يائسة لتحقيق مقاصدها الدينية في منطقة القبائل.

بجاية في 12 ذي الحجة 1416 هـ / 30/4/1996

رئيس جمعية محافظة وترقية التراث الثقافي

لمدينة بجاية سيد أحمد طرابلسي

رأي الأستاذ محمد البصري في المسألة البربرية (*)

أنا من أصل ببربرى... ومع ذلك فإن تاريخي النضالي على مدى خمسين عاما قد ارتبط بالوطنية المغربية والقومية العربية.

لا توجد مسألة ببربرية بالمعنى السياسي الحقيقي للكلمة - مثلما توجد مثلاً مسألة كردية في العراق أو مسألة جنوب السودان، ناهيك عن المسألة الطائفية في لبنان. فالبربر متذمرون تماماً في مجتمعهم بشمال إفريقيا بسبب الرابطة الإسلامية، وبسبب التزاوج المستمر، وبلا عقد عنصرية بين العرب والبربر، فوالدة الملك ببربرية، وزوجته ببربرية... والكثير من أسر المغرب تجب فيها الأب أو الأم من البربر...

إن المشكلة في نظري مشكلة مصالح اقتصادية - سياسية، ومشكلة ديمقراطية في المغرب. فالذين يثيرون المسألة البربرية مثلما هو الحال في الجزائر مثلاً، يفعلون ذلك حفاظاً على مصالحهم الاقتصادية والوظيفية في جهاز الدولة والإدارة الجزائرية. وهؤلاء هم ببربر من منطقة القبائل الذين تفرنسوا اللغة منذ وقت طويل، ومن ثم مكنهم الاستعمار من شغل كثير من المواقع الثانوية في الإدارة والت التجارة، وخاصة في العاصمة، التي تقع قرب منطقة القبائل. وحين حصلت الجزائر على الاستقلال كان هؤلاء هم الكوادر الوحيدة المدربة، فانتقلوا من المواقع الثانوية إلى المواقع الرئيسية الأولى التي أخلتها الأوروبيون في أجهزة الإدارة والخدمات والإنتاج. ومع اشتداد موجة التعريب في الجزائر بات هؤلاء يشعرون بالخطر على مصالحهم المكتسبة فرفعوا شعار الثقافة البربرية حيناً

(*) أحد السياسيين المغاربة المعروفين مغاربياً وعربياً، والمناضلين في سبيل توحيد شعوب الأمة العربية وتحريرها من الاستعمار والاستبداد.

وشعار الثقافة الجزائرية حيناً آخر في مواجهة التعرّيف والثقافة العربية... أما في المغرب فلا تغدو المسألة أن تكون جزءاً من اللعبة السياسية "فرق تسد". وقد وجدت بعض القيادات المغربية ذات الأصول البربرية والتي ليس لها قبول شعبي -إما لغياب تاريخ نضالي لها أو لغياب برنامج سياسي اجتماعي تقدمي لها- وجدت أن وسائلها للوصول إلى السلطة أو المشاركة فيها هي أن تستغل هذه النعرة العنصرية... ولا ينجح هذا الاستغلال إلا في أكثر مناطق المغرب تخلفاً وهي منطقة الأطلس. ولكن هذا الحزب لو نزل إلى الدار البيضاء، ونصفها على الأقل من أصول بربرية، فلا فرصة أمامه في النجاح. فبربر المدن لا يستجيبون لمثل هذه الدعوات العنصرية المختلفة...».

في الواقع أن من يدعوا إلى الثقافة البربرية في مواجهة الثقافة العربية، يتهمي موضوعياً إلى الدعوة إلى الثقافة الفرنسية، حتى عن غير قصد. فحيث أن البربرية لغة غير مكتوبة ولا يوجد لها تراث مكتوب، فإن المناهض للعروبة والعربية سيتهي حتماً إلى الأخذ بأحد اللغات العصرية الأخرى. ولما كانت الفرنسية هي الأقرب والأقوى، وهي المتاحة على أي الأحوال، فإن هؤلاء الدعاة سيأخذون بها... من هنا ليس صدفة أن فرنسا هي المشجعة الأولى والرئيسية لحركة الثقافة البربرية. فهي تدرك أن الذين ينجدبون إلى هذه الدعوة سيتهون موضوعياً في مجرى فرنسا والثقافة الفرنسية. وإذا كان لي كبريري أن اختار لغة وثقافة غير بربرية، فالعربية هي اختياري، وهي اللغة الوطنية، وهي لغة الإسلام، وهي وسليتي إلى تراث العرب والمسلمين، ووسليتي إلى مستقبل قومي عربي مشترك مع بقية الشعوب العربية...».

إلغاء المؤتمر الأمازيغي (البربرى) الشعوبى وسعار الصحف الفرنسية الصادرة في الجزائر^(*)

بقلم الدكتور عثمان سعدي

رئيس الجمعية الجزائرية للدفاع عن اللغة العربية

لقد تابع قراء العربية قضية المؤتمر الأمازيغي الشعوبى، الذى تقرر عقده فى مدينة باتنة، عاصمة الأوراس الأشم، بهدف جر أكبر تجمع أمازيغي وهم (الشاوية)، إلى التزعة البربرية الشعوبية، التى تهدف إلى شق الشعب الجزائري إلى شعبين: شعب بربرى يتكلم البربرية، وشعب عربي يتكلم العربية، لكي تبقى اللغة الفرنسية مهيمنة على الجزائر، وإلى الأبد، كلغة مشتركة بين الشعبين. وسيق أن يثبتت أن هذه التزعة بقيت محصورة في فئة بربرية وهى فئة القبائل، بينما بقيت الفئات البربرية التسع الأخرى بعيدة عن التأثير بها، وكيف أن المخططين لهذه التزعة بالأكاديمية البربرية بفرنسا، رأوا أنه مالم تخرج من بلاد القبائل إلى الفئات الأخرى، ستبقى قضية جهوية سيكشف القبائل أنفسهم زيفها واستعماريتها، فيتخلون عنها. ورأوا أنه لابد من إدخال هذه التزعة إلى بلاد الشاوية، فعملوا منذ 1980، على تحقيق ذلك. وفي سنة 1991 توجه زعيم الحزب الجهوي (السعيد سعدي) إلى مدينة باتنة على رأس خمسين حافلة محملة بأعضاء الحركة البربرية في (تizi وزو) وهو يقول: «القد قررت التوجه إلى باتنة لفتح الأوراس وببلاد الشاوية للحركة البربرية». واستقبله أبناء الأوراس بالحجارة على أطراف باتنة، وهم يقولون له: «إياك وأن تعود هنا مرة أخرى، فنحن عرب مسلمون». والسعيد سعدي هو الذى يقول في كتابه الأخير الذى طبعته له هذه السنة دار (Flammarion) في باريس: «من ليس بربريا ليس جزائريا» (Ce qui n'est pas Berbere n'est pas un Algérien).

(*) نشر في "المجاهد الأسبوعي" عدد 1884 ، 10 / 9 / 1996.

وتحرك المجاهدون الشاوية: نشرت مقالا في أسبوعية (الشروع العربي) عدد 26/3/1996 تحت عنوان (هل تنجح الأكاديمية البربرية بفرنسا في ترويض الأوراس الأشم؟) (رفعت المحافظة السامية للأمازيغية دعوى ضد ي على هذا المقال في شهر يونيو)، واجتمع واحد وأربعون من ضباط جيش التحرير الوطني، للولاية الأولى التاريخية للثورة، والذين أتوا من ست ولايات (محافظات) إدارية، في مدينة باتنة يومي 30 و31 آذار (مارس) 1996، وأصدروا لائحة يرفضون فيها عقد المؤتمر بمدينتهم «لأنه مؤتمر عرقي هدفه إثارة فتنة لغوية بالبلاد». واطلع المجاهد الكبير أحمد بن بلة على اللائحة، فأصدر يوم 28/4/1996 بياناً أيد فيه لائحة الولاية الأولى، وشنن فيه موقف الشاوية «الذين سموا فوق الغرائز العرقية، كما طلب من الشعب تأييد المفهوم الوطني للمسألة الأمازيغية الذي حده الشاوية الأبطال في لائحتهم». (شتت الصحف الفرنسية اليومية الخمس الصادرة في الجزائر حملة وقحة على أحمد بن بلا، في أكثر من عشرة أعداد في شهور يونيو ويوليو وأغسطس). واستجابة الشعب الجزائري العربي المسلم، فأيدت الولايات التاريخية للثورة: السادسة والخامسة والثانية والقاعدة الشرقية، لائحة الرفض البربرية، واضطررت المحافظة السامية للأمازيغية إلى تأجيل المؤتمر الذي كان سيعقد في مايو.

في شهر مايو 1996 عقدت المنظمة الوطنية للمجاهدين مؤتمراً، واتخذت قراراً يتماشى مع قرار الولاية الأولى التاريخية حول مسألة الأمازيغية، لكن تبين أن المحافظة السامية لم ترعى، فقررت عقد مؤتمراً في باتنة في 26 أغسطس 1996. واجتمعت الولاية الأولى التاريخية مرة أخرى في مدينة باتنة، وأصدرت لائحة رفض ثانية، يوم 17/7/1996 تصر فيه على عدم انعقاد المؤتمر، وتحمل المحافظة السامية للأمازيغية التداعج الوخيمة التي ستترتب على انعقاده في باتنة. وأضطررت هذه إلى إلغاء هذا المؤتمر المشبوه، تحت ضغط السلطات العليا للبلاد.

ومع بداية أغسطس انطلقت الصحافة الفرنسية الصادرة في الجزائر في حملة مسحورة ضد عروبة الجزائر، علماً بأن صدور هذه الصحف غير قانوني ويتعارض مع قانون الإعلام، الذي يحصر صدور الصحف بالجزائر في اللغة العربية. وتمويل هذه الصحف التي يملكها القطاع الخاص بإعلانات القطاع العام الذي يحجبها عن الصحف الصادرة بالعربية. وتصنف هذه الصحف كل من يدافع عن اللغة العربية والتعريب ضد الفرنكوفونية، أو ضد ربيتها الأمازيغية (البربرية)، بالأصولي إذا كان متاحاً، وبالبعشي إذا كان غير متاح. وقد تابعت بعنابة منذ مدة، وبخاصة منذ بداية أغسطس، الصحف الفرنسية الخمس الصادرة بالجزائر وهي:

(Le Matin, Autentique, l'opinion, Liberté, El Watan)

فوجدت أنها تضرب كعادتها على وتر واحد، وهو معاداتها للبعد العربي للجزائر، تمثياً مع مفهوم الاستعمار الفرنسي، الذي لم ينكر على الجزائري إسلامه، وإنما أنكر عليه عروبيته. كان الجزائري قبل الاستقلال يحمل بطاقة تعريف مكتوباً عليها (فرنسي مسلم). وهذه بعض غرائب ما كتبته هذه الصحف:

- لابد من تعليم البربرية كالعربية، وعلى قدم المساواة.
- البربرية هي اللغة الأم الأولى.

- العربية كاللاتينية ميتة، ولابد من استبدالها بالدارجة، والحرف العربي حرف بدائي، ولابد من التخلص اقتداءً بأ Tataورك.

- لابد أن تعرف الدولة بالهوية البربرية للشعب الجزائري.
- لابد من تعليم البربرية على سائر مؤسسات الدولة.

- تأسيس المحافظة السامية للأمازيغية يعني نهاية للتيار العربي الإسلامي.

- لابد من إخراج الأمازيغية (البربرية) من (الغيتو Ghetto) القبائلي، ونشرها بين الفئات البربرية الأخرى وبخاصة الشاوية. (Liberté عدد 3 / 8 / 1996)، والغيتو معناها الحارة اليهودية. وأنا أرى أن وصف بلاد القبائل الغالية بالحارة

اليهودية جريمة في حق الأبطال القبائل، من أمثال المقراني والشيخ حداد قائد ثورة 1871، والشيخ الفضيل الورتلاني، ومولود قاسم نايت بلقاسم. ولا بد أن يكتشف إخواننا القبائل زيف التزعة البربرية ويعيدون بلا دهم إلى الصف الوطني، وسيكون ذلك قريبا إن شاء الله. ولقد بدأت بوادر الصحوة القبائلية تطفو، فقد أصدرت جمعية المحافظة على ثقافة بجاية بياناً أيدت فيه لائحة الأوراس، وهاجمت فيه التزعة البربرية.

- «الأوراس بلد الكاهنة وليس بلد البعض»، والبربر يستيطالبون بأن ينصب تمثال للكاهنة الوثنية - التي حاربت الإسلام - في ساحة الشهداء بالعاصمة. ولم يطالبو بتنصيب تمثال (لالة فاطمة نسومر) التي حاربت الاستعمار الفرنسي في بلاد القبائل، وماتت شهيدة، كمرابطة لإحدى الروايات الطرفة. بالجزائر يعطي اسم الكاهنة لبناتها، وتعتبر بطلة وشهيدة لأنها حاربت الإسلام وماتت على وثنيتها، وهي تحارب الجيش الفاتح بقيادة الحسان بن النعمان، واستبدل اسم الأوراس من (أوراس النمامشة) وهي تسمية ثورة أول نوفمبر له، بـ (أوراس الكاهنة) وتأسست جمعية تحمل هذا الاسم، تتمتع بالدعم الكبير، ويغدق عليها المال والمقررات في باتنة وفي العاصمة بلا حساب، في الوقت الذي تضطهد فيه (الجمعية الجزائرية للدفاع عن اللغة العربية) وتجرد من مقرها. ولقد قلت لهم تعليقاً على هذا الطلب: ما رأيكم لو طلبت جماعة في الحجاز بإعادة الاعتبار لأبي لهب، ونصب تمثال له في أكبر ساحة بجدة أو بالرياض، وإلغاء سورة (أبي لهب)، كيف سيكون رد الفعل هناك؟ سيكون طبعاً بالسيف والنطع.

- تزعم أن الحاج الأخضر قائد الولاية الأولى يؤيد عقد المؤتمر في باتنة (Authentique عدد 4 / 8 / 1996)، بينما الحاج الأخضر هو الذي قابل رئيس الجمهورية في أبريل الماضي، وسلمه لائحة الرفض وحثه على عدم عقده في باتنة.

- التحضير لفاتح المغرب العربي (عقبة بن نافع).
- التذكير بالدعوى التي رفعتها ضد المحافظة السامية للأمازيغية في شهر يونيو الماضي، في سائر هذه الصحف، وفي أكثر من خمسة عشر عددا، والهجوم على.
- «الإظهار بأن الذي يرفض انعقاد المؤتمر هم النمامشة وليس الأوراسين». علما بأن النمامشة تعتبر أكبر قبيلة ببربرية وبأن الأوراس والنمامشة تجمع طبقي وبشرى واحد، أكدته الثورة عندما سمت الولاية الأولى لها بـ (ولاية أوراس النمامشة)، وبأن الذي رفض انعقاد المؤتمر هم الشاوية المتواجدون في ثمانى ولايات إدارية، بينما النمامشة متواجدون في ولايتين.
- «إظهار الرئيس أحمد بن بلا بأن بيانه محصور في رفض انعقاد المؤتمر»، والحقيقة أن البيان يؤيد بقوة المفهوم الوطني للمسألة الأمازيغية الذي حدد الشاوية في لائحة الرفض، التي ترفض المؤتمر والأمازيغية الشعوبية، ويهيب بالشعب الجزائري أن يتبنى هذا المفهوم.
- بيان البربرист ابن البطل عمريوش: نشرت الصحافة الفرنسية المذكورة بياناً لابن العقيد البطل عمريوش، يهاجم فيه رفاق أبيه في الأوراس، ويصفهم بنفس الأوصاف التي كان يصفهم بها الاستعمار وأباوache «كعصابات القتلة، والذبحين». ومن الغريب أنه يصفهم بالجهويين لأنهم يرفضون الجهوية التي جر هذا وجماعته بلاد القبائل إليها، أن تنتقل إلى بلاد الشاوية.
- ولي قصة مع نور الدين آيت حمودة (ابن عمريوش) هذا، ذكرتها في كتابي (التعريب في الجزائر) الذي صدر سنة 1993 ، صفحة 197 كما يلي: «عندما توجهت سنة 1991 إلى مدينة تizi وزو على رأس وفد من الجمعية الجزائرية للدفاع عن اللغة العربية، لتنصيب فرع الجمعية، استقبلنا بعدد هام من الشباب (البربرист) بقيادة ابن الشهيد البطل عمريوش، معلنين معارضتهم للجمعية

ولأهدافها، وأفهمتهم (أن هدف جمعيتنا ليس ضد أي لغة، بما فيها الفرنسية كلغة، وإنما هدفها محاربة هيمنة الفرنسية على حساب وضع العربية بالجزائر). فأجابني ابن عمير وش بما يلي: «إننا نكافح هنا لتحقيق هدف واحد وهو محاربة هيمنة اللغة العربية». وأجبته على الفور: «أستطيع الإجابة على السؤال التالي: ما هي اللغة التي صدرت بها الأوامر لقتل والدك الشهيد؟». ولم يجب على السؤال. أنظروا أيها القراء الكرام إلى الأضرار الرهيبة التي ألحقها (البربرист) ببلادنا في عقود الاستقلال الثلاثة، فقد تمكنا من مسخ حتى فكر ابن بطل من أبطال ثورتنا». وأنا على يقين أنه لو كان عمير وش حيا لتبرأ من هذا الابن العاق، فقد كان رحمة الله يمنع جنوده التحدث بالفرنسية.

وتقوم جريدة (El Watan)، في هذه الفترة بنشر دراسات فرنكوفيلية، ففي يوم 5 أغسطس نشرت مقالا تحت عنوان (الحياة الثقافية منذ الاستقلال) يدعو فيه كاتبه إلى التخلص من الفصحى وتبني الدارجة، كما يعتبر قانون التعريب الذي جمد سنة 1992، والذي أصدر الرئيس زروال في يونيو الماضي أمراً برفع التجميد عنه، أنه قانون رجعي «لأنه يستجيب لتيارات أكثر محافظة بالمجتمع الجزائري».

تجنيد منظر الفرنكوفونية الكبير بمصطفى لشرف: وقد استنجدت هذه الصحف الفرنسية الصادرة بالجزائر بمصطفى لشرف الذي يعرفه إخوانناعرب المشرق، فقد اعتقل مع أحمد بن بلا في حادث الطائرة المشهور سنة 1956، وغنى العشرات من الشعراء والمعزين العرب الأسرى الخمسة، ففي دمشق مثلا خرج سكانها نساء ورجالا وأطفالا، في مظاهرة عارمة احتجاجا على القرصنة الفرنسية، ووقف شاعر العربية الكبير محمد مهدي الجواهري في هذا الحشد ليلقى قصيده المشهورة (جزر المغرب)، أي الجزائر، فيقول:

جُرْ المَغْرِبْ يَا أَسْطُورَةَ تُلْبِسُ الْأَهْوَالَ لَوْنًا مُمْتَعًا
الْأَذْى تَدْفَعُ عَنْهُ بِالرَّدِّ طَابُ أَسْلُوبُ الْهَا مِبْدُعًا

(هؤلة) أَخْشَنَ مِنْهُ مَوْقِعًا
فَجَرَوْلَلشَمْسِ مِنْهَا مَطْلَعًا
ثَلَّهُمْ مَا عُقِّمْتَ أَنْ تَضَعَا
عَنْ كَفَاحٍ فَقُدُّ كَفٌ إِصْبَعًا؟
نَعَمْ عُقْبَىٰ خَسَّةٌ مُرْتَجِعًا
سَرَقَ الْبَابَ وَعَافَ الْمُصْنَعَا

وَقَعَ الْمَوْتُ عَلَيْهَا فَرَأَىٰ
الْهَدَاءُ الْغَرُّ مِنْ لَسُونِ الدَّمَا
خَمْسَةٌ... إِنْ بَطُونًا حَمِلَتْ
حَمْقُ الْغَدَرِ! أَيْشَنِي سَاعِدًا
خَمْسَةٌ... غَصَّتْ فَرْنَسًا بِهِمْ
جَهَلُ الصَّنْعَةِ نِكَسَ أَبْلَهَ

العرب الذين قالوا في المجاهدين الجزائريين هذا الكلام، يقول عنهم مصطفى لشرف أنهم ليسوا العمق الاستراتيجي للجزائر وللمغرب العربي، وإنما هم نقطة الضعف لها، «لأنهم صدرُوا إليها إسلاماً غير إسلامها وعربية غير عريتها، على حساب بربريتها - العربية».

اختارت شهر أغسطس (آب) 1996، أكبر جريدة فرنسية تصدر بالجزائر، إسمها (El Watan)، حصلت على جوائز دولية، لا شيء إلا لأنها تصدر بالفرنسية في الجزائر، اختارت هذا الشهر لكي تنشر ست مقالات ضد انتماء الجزائري العربي، لمصطفى لشرف، تحت عنوان: (التحليق فوق مرحلة مهددة). نشرت على ست حلقات من 10 إلى 15 من الشهر المذكور، مساعدة منه ومن الجريدة في الحملة التي عرفها هذا الشهر، حول المسألة البربرية وحول إلغاء المؤتمر البربري. ولنستعرض هذيان هذا الكتاب:

- «بالبترودولارات الواردة يحدث الللاستقرار بالجزائر، بواسطة عملاء مدسوسين باسم الثوابت الوطنية، تساعدهم قنوات تلفزة عربية، وصحف عربية تصدر بأوروبا». وبينما الكاتب، أن ملايين البترودولارات قدمتها الصناديق العربية للجزائر، بنت مشاريع تنمية شغلت آلاف من العمال الجزائريين، وساهمت في استقرار الأوضاع بالبلاد. إنه يعرض بقناة (MBC)، ويعتبرها خطراً على الجزائريين، لا شيء إلا لأنها تبث بالعربية، بينما نجد هذه القناة وغيرها من

القنوات العربية هي المتنفس الوحيد للجزائريين أمام غزو فضائي فرنسي، متمثل في أكثر من عشر قنوات موجهة للمغرب العربي حاملة معها الانحلال والفساد الخلقي. إنه يعرض بجرائد (الشرق الأوسط) و(القدس) وغيرها التي لا تدخل السوق الجزائرية.

- إن أنس مصائب الجزائر المدرسة المستوردة من التي أوجدت أساسها منذ زمن بعيد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، والتي وضع بعد الاستقلال تحت وصاية البعث وعميلته الجبهة الإسلامية للإنقاذ، مشوهة بذلك هذا الامتداد الجغرافي البربرى العربى. إن الذى أفسد المدرسة الجزائرية إيدىولوجيات مشعوذة عقيدة، آتية من هناك (أى من المشرق)، والمسممة بالقومية العربية زاعمة قدرتها على الحلول محل المدرسة ببعديها البربرى والعربى، ففرضت تعريبها على حساب هوية الجزائري ولغاتها. ويتم هذا باسمعروبة الإيديولوجية، إنها كارثة المدرسة المعاشرة التي جردت الجزائر من ثقافتها...»، يريد هذا الكاتب أن تُبقي الجزائر المستقلة المدرسة الاستعمارية بلغتها الفرنسية مع تدريس الدارجة الجزائرية، والبربرية، يريد أن يتعلم الجزائريون العربية لا بذاتها وإنما بواسطة الفرنسية كما تعلمها هو، أي كما يقول الجزائريون بطريقة (بيريز)، وهو مستشرق فرنسي علم لشرف اللغة العربية في مرحلة الاستعمار، ثم علمها هو فيما بعد بالمدارس الفرنسية بواسطة الفرنسية، وهو يحقد على جمعية العلماء المسلمين لأنها بنت عشرات المدارس، منتشرة في سائر المدن والقرى، بتبرعات الشعب، تعلم العربية بذاتها لأبناء الجزائر الذين كانوا فرنسيين محرومين من تعلم لغتهم، بحيث كان عدد تلاميذ هذه المدارس غداة الاستقلال أربعين ألف تلميذ وتلميذة، هم الذين كونوا أساس تعریب المدرسة الجزائرية. إن المؤرخين يعتبرون أن جمعية العلماء كانت بمثابة الضمير والروح للحركة الوطنية بالجزائر.

- «الجزائر لها خلفية طويلة من مقاومة الاستعمار تتناقض مع فكر البعث القاصر، ومع صادرات جامع الأزهر (...). إن الخطر آت من الثالوث المتمثل في الكيان الوهابي والأصولية والبعث (...). لابد من انكفاء المغرب التقليدي المتمثل في تونس والجزائر والمغرب». والكاتب يخرج ليبيا من المغرب لأنها خارج الفرنكوفونية. لنلاحظ أن لشرف ينظر إلى أي نظام بالشرق العربي سواء أكان لائكيًا كنظامي البعث، أو محافظًا إسلاميًا كالنظام الوهابي، على أنه خطر على جزائرية الجزائريين ومغاربية المغاربة، لأن عرب المشرق ساهموا بقوة في تعریب المدرسة الجزائرية.

سبق لمصطفى لشرف أن كتب سنة 1992 سلسلة من المقالات تحت عنوان: (الجزائر مريضه بدينه)، وقد ردت عليه بمقالات في جريدة "الشعب"، نشرت في كتابي المذكور أعلاه، في فصل تحت عنوان: (حوار مع الأستاذ مصطفى الأشرف حول الإسلام والعروبة والعربية (التعریب في الجزائر صفحة 229، الجزائر 1993). لقد وصف لشرف في هذه المقالات العروبة والقومية العربية بالهلالية التخريبية، وردت عليه بمايلي: «ومن غير شك فإن حقد لشرف على بني هلال يعود إلى أنهم عربوا المغرب، وهو يمقت شيئاً اسمه التعریب، وحتى الأدب الشعبي باللهجات البربرية تغنى بملحمة بني هلال، توجد بالقبائلية ملحمة الجازية، مفعمة بمشاعر الإعجاب والأخوة، ولا تتضمن أي حقد أو ضغينة على الهلاليين، أو على العرب، هذا الحقد الذي دسه الفرنسيون بعد سنة 1830 بين أقلية مفرنسة بالجزائر. وسيتملكك الذهول أيها القارئ الكريم عندما تعلم أن مصطفى لشرف يتمي إلى بني هلال، وأن عثمان سعدي يتمي إلى قبيلة التمامشة البربرية الشاوية، هذا يدافع عن العروبة والعربية والتعریب، وبني هلال فينصفهم، وذاك يهاجمهم ويشوّه سمعتهم، إنها لمفارقات غريبة في هذه الجزائر العجيبة!!!».

موقف الصحف الصادرة بالعربية:

كانت الجريدة الوحيدة اليومية المستقلة التي وقفت موقفاً وطنياً من قضية مؤتمر الأمازيغية هي (العالم السياسي) ذات النفس العربي، (وقد صدر قرار بوقف سحبها من مطبعة القطاع العام، يوم 22/8/1996 بحجة عدم دفع ديونها للمطبعة، ويقول مدير الجريدة بأن العديد من الصحف لها ديون أكثر من ديونها ولم يتوقف سحبها). ومن المعلوم أن حوالي خمس عشرة صحيفة يومية وأسبوعية عربية أوقفت بسبب مالي أو سياسي منذ 1992، مقابل صحيفتين فرنسيتين. كما قام بنفس الدور أسبوعيتاً (الشروع العربي) و(المجاهد الأسبوعي) المستقلتين، ويومية (السلام) الحكومية.

ففي جريدة "العالم السياسي"، عدد 5/8/1996، نشر رد منها على رسالة وردتها من أحد قادة حزب حسين آيت أحمد (جبهة القوى الاشتراكية)، حول المسألة الأمازيغية، ورد فيه مايلي: «وبخصوص الربط بين العربية والإسلام، فلسنا نحن الذين ربّطنا بينهما، ولكن خالق الكون الله سبحانه وتعالى هو الذي ربط بين العربية والإسلام، حين اختارت مشيّته - التي لا يعترض مؤمن عليها - أن ينزل القرآن الكريم على نبيه العربي ﷺ بلسان عربي مبين، ولو أن الله أنزل القرآن بلغة (الزوّلو) لكننا كمسلمين نعترف وندافع عن لغة الزوّلو. تقولون يا سيد دMRI أن العربية في دارها، هذا صحيح، وأضيف أن الأمازيغية كانت ولا زالت في دارها. لكن من الذي أشعل الفتنة بعد 14 قرنا من التعايش والتآلف بين أبناء الدار الواحدة؟! إن السيد دMRI يتجاهل أنه في أوج الأزمة التي تعيشها بلادنا، ارتفعت مطالب تعديل الدستور، واعتماد الأمازيغية كلغة وطنية ورسمية، عن طريق الضغط بالإضرابات المدرسية. وهل تسأله السيد دMRI عن نوعية الرائحة التي تفوح مما كتبته جريدة جزائرية ناطقة بالفرنسية، وتدعى الدفاع عن الأمازيغية مباشرة، بعد تأسيس المحافظة السامية للأمازيغية، قائلة: إن ذلك يعني نهاية الاتجاه العربية - الإسلامي».

وتنشر أسبوعية (الشروع العربي) رسالة لقارئ لها من عين التوته بولاية باتنة، في عددها 13 / 8 / 1996، عنوانها (ولكنه الأوراس يا حزب فرنسا!!!)، ورد فيها: «ول يكن في علم أتباع فرنسا في الجزائر، أن الأعبيهم مكشوفة، وأوراقهم خاسرة، إنهم حاقدون علىعروبة الجزائر، فالفتنة التي تزرعها الآن فرنسا بالجزائر مآلها الفشل».

رسالة سكان باتنة إلى رئيس الجمهورية: وخير ما نختتم به هذا المقال، فقرات من الرسالة القيمة التي وجهها سكان مدينة باتنة إلى الرئيس اليمين زر وال: «لقد ارتأينا يا سيادة الرئيس أن نلفت انتباحكم إلى مؤامرة الأمازيغية، التي تحركها أوساط مشبوهة، معروفة بمحضطاتها الرامية إلى زرع بذور التفرقة وعدم الاستقرار. لقد عرف الشعب الجزائري كيف يحمي لغته العربية مدة 14 قرنا. كيف تفسرون يا سيادة الرئيس هذا الميلاد الخيالي المشبوه للأمازيغية في منطقة محدودة من وطننا الفسيح، الغني بمختلف اللهجات والتقاليد، وتدعى هذه الفتنة الدفاع عن لهجة مزيج لا يستند إلى أي أساس لغوي أو علمي. إننا نندد بهذه الممارسات لهؤلاء الانعزاليين التي تعمل على ضرب اللغة العربية، بإيجاد بديل لها، إن الذي يؤسف له يا سيادة الرئيس، هو أن يكون الأوراس الأشم الذي احتضن الثورة التحريرية المباركة، التي كانت عامل توحيد للشعب الجزائري بأكمله، فانصهرت فيها سائر الأعراق، وجمعتها كلمة الله أكبر العربية الإسلامية، هذا الأوراس يراد له الآن أن يكون منطلق هذه الفتنة التفريقية. إن أهل الأوراس أبعد ما يمكنون عن هذه الفكرة العنصرية، التي نشأت هناك بعيدا عنهم، وهم من ألد أعدائها، فأريد جرحهم لها. إنه على امتداد الشمال الإفريقي، ومن النيل إلى المحيط، ترتفع الأصوات في منطقة واحدة مطالبة بالأمازيغية، لغايات مشبوهة، وبتواطئ من (الأكاديمية البربرية بباريز) المعروفة بعدائها الشديد للغة العربية، وبناؤراتها ضد استقلالنا. يا سيادة الرئيس، أليس من

واجبكم أن تخدموا بأفكاركم المستنيرة مستقبل الأجيال القادمة، مثلما خدمكم أسلافكم، وإلا كيف تسمحون بهذه الردة التي تعتبر مساسا خطيرا بوحدة هذه الأمة وقوماتها. وفي الختام ندعو الله أن يوفقكم ويسدد خطاكتم لمصلحة العباد والبلاد. مواطنون من ولاية باتنة».

الخلاصة:

أولاً: نستخلص من هذا العرض أن دعاء النزعة البربرية الذين يمثلون بعض القبائل هزموا على أيدي أبناء أوراس النمامشة، الشاوية البربر الأصلاء، الذين لم تشهدهم دسائس الاستعمار، والذين استمروا كما كانوا قبل 1830، مؤمنين بعروبتهم وإسلامهم. كما نستخلص من ذلك أيضاً أن الرئيس المجاهد اليمين زرروال قد بدأ يدرك هوية هذه النزعة المفرقة الشعوبية. ونحن نأمل أن يضع لها حدا نهائيا حفاظا على وحدة البلاد، وخاصة وهو يتوجه إلى الشاوية المؤمنين حتى العظم بعروبة وعربيّة الجزائر. ألم يتسبوا في إلغاء هذا المؤتمر المشبوه؟

ثانياً: إن الأصولية المهددة للجزائر في (الأصولية البربرية - الفرنكوفيلية Intégrisme Berberiste Francophil)، التي ولدت بتبنيتها للاستعمار الفرنسي الجديد، رد فعل تمثل في التطرف الديني، وهذا هو الذي يفسّر لماذا خلقت فكرة الإخوان المسلمين في مصر، ووجدت لها أرضاً خصبة بالجزائر، لسبب بسيط وهو أن دعاء الدولة الدينية والدولة المدنية في مصر يتكلمون لغة واحدة، وهي العربية، ويستشهدون بتراث العربية والإسلام لتعزيز موقف كل من الطرفين. بينما نجد دعاء الدولة المدنية بالجزائر يتكلمون الفرنسية ويحاربون العربية حتى في صورتها اللائكية كعربية البعث مثلاً. ثم إن عدم السماح لحزب واحد قومي عربي بممارسة العمل السياسي بالجزائر، بينما نجد الشيوعية والفرنكوفونية واللائكية لها عشرات الأحزاب، هو الذي ساهم

في احتكار الإسلاميين لآصوات الناخبين الذين يرفضون إعطاء آصواتهم للأوطنين، كما تبين في الانتخابات الرئاسية الأخيرة حيث حصل دعابة الدولة المدنية الفرنكوفيليون اللائكون على تسعية في المائة من الأصوات فقط. أما في المشرق العربي فيتقاسم الإسلاميون والتيار القومي آصوات الناخبين. والتيار القومي محروم هنا في الجزائر. ولهذا نجد كتاباً كبيراً كمصطفي لشرف يقول بأنَّ البعث هو الذي ولد الجبهة الإسلامية للإنقاذ، ولو أنَّ كتاباً بالشرق قال إنَّ فكرة الإخوان المسلمين ولدها حزب البعث لاتهم بالجنون.

ثالثاً: لأول مرة في التاريخ تريد أقلية أن تفرض لهجتها على الأغلبية. فالأكراد لم يطلبوا أن تفرض لغتهم على أطفال بغداد والبصرة والموصل العرب، وإنما طلبوا بأن يسمح لهم بتعلم لغتهم في منطقتهم، وسمح لهم بذلك. والبروتون في فرنسا لم يطلبوا من رئيس الجمهورية الفرنسي إصدار مرسوم يأمر بضرورة أن يتعلم أطفال باريس وليون ومارساي الفرنكوفونيين البروتانية. لكن في الجزائر كل الظواهر الشادة جائزة، فالأقلية تريد أن تفرض لهجة ولا يتنين على سكان الولايات الست والأربعين الأخرى. ألا يعتبر هذا ظلماً وقهراً وعدواناً من طرف هذه الأقلية (الفرنكوفيلية - البربريست) المتعرجة، يسلط على الشعب الجزائري بعربه وشاويه وميزابيه وطوارقه وزناتيه وشرشاليه ونشرسييه؟!!!.

لهجة تقاضي لغة !!! (*)

بعلم الدكتور عثمان سعدي

رئيس الجمعية الجزائرية للدفاع عن اللغة العربية

نعم أيها الجزائري، هذا هو واقع بلدنا المغير. هيئة لهجة أمازيغية تقاضي هيئة للغة العربية. يرفع رئيس المحافظة السامية للأمازيغية دعوى قضائية ضد رئيس الجمعية الجزائرية للدفاع عن اللغة العربية، على مقال نشره بأسبوعية "الشروع العربي" ، (هاجم فيه المؤامرة الكبرى التي تعمل على إيجاد ضرورة للغة العربية، بهدف شق الشعب الجزائري إلى شعرين: شعب عربي يتكلم العربية، وشعب ببريري يتكلم البربرية، حتى تبقى اللغة الفرنسية لغة مشتركة بين الشعرين، وتؤبد بذلك هيمنة اللغة الفرنسية على الحياة الجزائرية). كما رفعت دعوى ضد أسبوعية "الشروع العربي" لنشرها المقال، وعلى جريدة "السلام" لنشرها لائحة الرفض للمفهوم الاستعماري للمسألة الأمازيغية (البربرية).

ويبدو أن تيار (البربرист - الفرنكوفيل) المتندّد يريد تكميم فم الجمعية الجزائرية للدفاع عن اللغة العربية، بإرهاب رئيسها وإرهاب الصحف التي تنشر له، حتى تستمر جريمة القضاء على اللغة العربية، سواء بطريق مباشر وذلك باستمرار خطيبة سريان مفعول مرسوم تجميد قانون تعليم استعمال اللغة العربية، التي تصفى في ظله منذ 1992 جسدياً اللغة العربية بالإدارة، وبعاد وضع اللغة الفرنسية إلى ما كانت عليه قبل 1962 وحتى يبقى المجلس الأعلى للغة العربية مجتمعاً، مجلس المرحوم مولود قاسم نait بلقاسم، الذي غادر الحياة وفي نفسه غصة من هذا التجميد؛ وحتى تستمر عملية خلق ضرورة من العدم للغة العربية، في صمت. ولا أدرى لماذا تذكرت ما كتبه الشيخ البشير الإبراهيمي سنة 1950 بجريدة "البصائر" ، وكأنه يتحدث عما نعيشه الآن، فقال:

(*) نشر بأسبوعية "الشروع العربي" عدد 6 / 8 / 1996.

«ينكر الاستعمار عروبة الشمال الإفريقي بالقول، ويَعمل لمحوها بالفعل، وهو في جميع أعماله يرمي إلى توهين العربية بالبربرية، وقتل الموجود بالمعدوم، ليتم له ما يريد من محو واستئصال لهما معاً؛ وإنما يعتمد العربية بالحرب لأنها عمادعروبة، وممسكة الدين أن يزول، ولأن لها كتابة، ومع الكتابة العلم؛ وأدباً، ومع الأدب التاريخ، ومع كل ذلك البقاء والخلود».

اضطهاد الجمعية الجزائرية للدفاع عن اللغة العربية:

آن الأوان لكي يطلع فيه أنصار اللغة العربية المهمشون بالحياة الرسمية الجزائرية، على ما عانته جمعية اللغة العربية، منذ تأسيسها سنة 1990. وأفتح فمي الآن لذكر بعض أحداث هذه المعاناة.

- حصلت جمعيتنا المناضلة على مقر لها داخل قصر الشعب، متمثلاً في (الشاليه رقم 9). ومن اشتراكات أعضاء الجمعية، وتبرعات محبيها أثناها هذا المقر. ورحنا نعمل. فدشنا فروعاً للجمعية في سبع وعشرين ولاية، وأصدرنا مجلة "الكلمة" الناطقة باسم الجمعية. ومع بداية 1992 بدأت اضطهادات تطاردنا: - كسر باب المقر ثلاث مرات وسرقت موجوداته، علمابأنه يقع بقصر الشعب التابع للدولة، والمحروس بعدد كبير من رجال الأمن العلنيين والسررين.

- في شهر مايو 1992، عقد مجلس الجمعية اجتماعاً له في مقره، وخرج أعضاء المجلس ليجدوا سياراتهم السبعة مكسورة الزجاج (الباربريز) دون أن تمس موجوداتها. وهي رسالة واضحة من أعداء اللغة العربية المتنفذين، موجهة إلى أعضاء الجمعية. وتم ذلك أيضاً في حرم قصر الشعب، وتحت الحراسة المشددة له. وفي حالات السرقة والكسر قدمنا شكاوى إلى القسم الثامن لشرطة مدينة الجزائر، ولم تلتقي حتى الآن رداً على شكاوانا.

- وفي شهر مايو 1994 حدث سطو على مقر الجمعية، فنهبت ممتلكاته، من أداث وألات طابعة، وغيرها، وأعطي إلى جمعية (التبادل بين شباب العالم). ورفعنا الشكاوى تلو الشكاوى.

- أرسلنا رسالة إلى رئيس الدولة اليمين زروال بتاريخ 29 جويلية (تموز) 1994.
- بتاريخ 2/10/1994 وجهنا رسالة ثانية إلى السادة:
 - السيد رئيس الدولة.
 - السيد رئيس الحكومة.
 - وزراء: الداخلية، والثقافة، والشباب والرياضة، ووالي مدينة الجزائر.
- في شهر نوفمبر 1994 استقبلني السيد رئيس الحكومة مقداد سيفي، ورويت له قصة السطو على المقر. ومن الغريب أنه استقبلني في نفس الشهر الذي استقبل فيه السيد فرحت مهني رئيس الحركة الثقافية البربرية، فأصدر رئيس الحكومة بياناً صحفياً باستقباله له، بينما لم يصدر بياناً باستقباله لي كرئيس لجمعية اللغة العربية. ومن الغريب أن فرحت مهني أهان بعجرفة الأقلية المحكمة في رقاب الأغلبية، السيد مقداد سيفي، عندما أصدر بياناً كذباً فيه رئيس الحكومة، فقال: «لقد قال مقداد سيفي أنه استقبلني بطلب مني، والحقيقة أنه استقبلني بطلب منه هو». وهكذا تضطهد جمعية اللغة العربية، وتدلل جمعيات اللهجات الأمازيغية، فتتدفق عليها المقررات والأموال بلا حساب.
- ولا زالت جمعيتنا تنتظر حتى الآن ردوداً على شكاواها. الشكوى لله قادر على حماية لغة قرآن...
- أوقفت عن المساعدة المتواضعة التي كنا نتلقاها من وزارة الثقافة، واستهلكت مجلة الجمعية كل حسابنا الجاري، فتوقفت.
- وفي شهر جوان 1996 رفعت المحافظة السامية للأمازيغية التابعة لرئاسة الجمهورية دعوى على رئيس الجمعية. ومن الغريب أن الجريدة الفرنسية الصادرة بالجزائر (Liberté) نشرت في عددها الصادر يوم 15/4/1996 خبراً عن هذه الدعوى، مما يشير إلى أن ذلك طبع خارج إطار رئاسة الجمهورية.

رأي المستشرق الفرنسي جاك بيرك (Jacques Berque) في المسألة البربرية (*)

يتناول هذا الحوار مع شيخ المستشرقين جاك بيرك (86 عام) عدة قضايا تتعلق بالأوضاع في الجزائر (...). فهو يعتقد أنه من الخطأ الاعتراف باللغة البربرية، كلغة رسمية ثانية إلى جانب العربية، في المغرب العربي. لكن قبل أن نقف طويلاً أمام أفكار (جاك بيرك)، نود أن نلتفت الانتباه إلى أن هذه الأفكار تكتسب أهمية خاصة، لأسباب ثلاثة:

السبب الأول أن بيرك ليس غريباً عن البيئة الجزائرية، فقد ولد فيها وبالتحديد في مدينة فرنسية بالغرب الجزائري عام 1910، حيث أمضى طفولته، ثم انتقل إلى العاصمة الجزائرية مع أسرته حتى بلغ عمره عشرين عاماً، وكان طوال هذه السنوات قريباً من عامة الناس.

السبب الثاني هو أن بيرك كان من أوائل المستشرقين الذين اهتموا بمسألة البربر في المغرب العربي، ويجيد اللغة البربرية، وأعدَّ أطروحة دكتوراه حول قبيلة سكساوية، وهي قبيلة بربرية بالغرب الأقصى، ذكرها ابن خلدون في تاريخه، وكانت تسيطر على جانب كبير من المغرب في القرون الوسطى.

والسبب الثالث هو أنه كان متعاطفاً مع الحركات الوطنية التي تطالب بالاستقلال في بلدان المغرب العربي، وحاول بحكم عمله كمراقب مدني في الإدارة الفرنسية هناك أن يخفف من حدة المواجهة الدموية التي كانت تتشبَّه بين وقت وأخر، بين الوطنيين المغاربة وإدارة الاحتلال، كما كان من أوائل الفرنسيين الذي استقبلتهم قيادة الثورة الجزائرية بعد الاستقلال.

(*) حدث أجزاء مراسل صحيفة "الأهرام" المصرية د/ سعيد اللاؤندي، مع المستشرق الفرنسي جاك بيرك بتاريخ 18/6/1995.

• وسألت الأستاذ جاك بيرك عن رأيه في ما يدور من حديث حول ما يسمى بالصحوة البربرية في وسط القبائل بالجزائر، فأجاب يقول:

♦ البربر هم قبائل متوسطية قديمة، يرجع تاريخها في المنطقة إلى القرن الثاني عشر قبل المسيح، وكنت قد اهتممت بهم مثل كثير من المستشرقين. لكنني وجهت اهتمامي وأبحاثي وجهة علمية أكاديمية لا سياسية، لأن الدوائر الاستعمارية كانت تبذل جهوداً مضنية لغرس الفتن بين العرب من ناحية، والبربر من ناحية أخرى، في إطار سياسة الشقاق، التي كانت تمارسها بفرض ضرب وحدة هذه البلاد، كما أنها كانت أول من وضع فكرة العروبة، في مواجهة فكرة البربرية، وترجح إداتها على الأخرى حسبما تقضي بذلك مصلحته.

وفي أثناء حرب التحرير الجزائرية كانت المفاجأة التي أذهلت الاستعمار الفرنسي، أن البربر وقفوا إلى جانب إخوانهم العرب في صفوف المقاومة، مطالبين بالاستقلال.

• لكن ألا تعتبر عودة البربر للمطالبة بحقوق سياسية خاصة بهم، انتصاراً للمخطط الاستعماري القديم.

♦ لا أنكر أن هذا المخطط قد نجح إلى حد ما، لكن لا تنسى أن هناك عوامل عديدة قد تلعب في هذا الاتجاه، منها إخفاق الموجة التحريرية المصبوغة بالعروبة.

وفيما يتعلق بالمطلب الخاص باللغة، لا أعتقد أنه مطلب مشروع لأنه سيؤدي في النهاية إلى انقسام الولاء. وكنت قد وجهت اللوم إلى صديقي عبد الكريم غلاب صاحب جريدة "العلم" بال المغرب الأقصى الذي تقدم بمشروع يقضي بتدرис اللغة الأمازيغية (البربرية) في المدارس المغربية بطريقة إلزامية، وقلت له: «لست على حق في ذلك. إذ كيف تجبر أطفال مدينة فاس العربية على تعلم اللغة الأمازيغية، وذكرت له أن الحل الأمثل الذي أراه، هو نفس الحل

الذى أراه بالنسبة لبعض اللهجات الفرنسية في منطقتي الباسك أو بروتاني، إذ يمكن أن تكون هذه اللغات اختيارية لا إجبارية على الطالب في فرنسا.
ثم استطرد جاك بيرك يقول:

هذه النعرة الذاتية والإقليمية التي ترتفع في أوساط البربر وبخاصة (القبائل) اليوم هي إحدى التداعيات الملحوظة لحالة التأزم الصعبة التي تعيشها الجزائر، إلى جانب نتائج أخرى أشد خطرا منها وهي حالة التردي الحضاري والثقافي التي باتت واضحة في كل الميادين، وإنما معنى مسلسل القتل الذي راح ضحيته عشرات من خيرة المثقفين الجزائريين.

بيان لجنة المساعدة للمفهوم السليم للمسألة الأمازيغية وللهوية الوطنية ببعديها العربي الإسلامي (*)

نحن رجال الفكر والثقافة الوطنيين، حملتنا الغيرة على وطننا في مواجهة ما يحاك ضده من الاستعمار الفرنسي الجديد، بهدف تدمير وحدتنا الوطنية، والقضاء على مرجعية بيان أول نوفمبر، في حياتنا الثقافية والسياسية والاجتماعية. وحيث أن القاعدة الأساسية للحياة الوطنية تنطلق من الثقافة، وأن الاستعمار الفرنسي الجديد يعمل منذ بداية العقد الثامن، عن طريق عملاته بالجزائر، من حركيي وقومية الفكر، من أجل ضرب الأساس الثقافي لمجتمعنا، لكي يسهل عليه السيطرة على مقدرات بلادنا فيعود إلى استعماره من جديد بأساليب الألفية الثالثة من زماننا؛ فإننا نقرر كمتقفين بعيدين عن أي انتماء حزبي:

• تأسيس لجنة مساندة للمفهوم الوطني السليم لـ "المسألة الأمازيغية" ، الذي انطلق من لائحة الولاية التاريخية الأولى لثورة أول نوفمبر (أوراس النمامشة)، بتاريخ 31 مارس 1996 ، لدى انعقادها في باتنة، والتي تؤكد فيها ما اعتبر دائماً في تاريخ الجزائر، من أن الأمازيغية عنصر من تاريخنا، ومن أن اللهجات الأمازيغية ما هي إلا روافد للغة العربية وللثقافة العربية؛ والتي ترفض فيها عقد ما يسمى (بـ "مؤتمر الأمازيغية") في باتنة عاصمة الأوراس الأشم، الذي يهدف إلى إثارة الفتنة اللغوية ببلادنا.

وقد سارع أحمد بن بلة، أول رئيس لجمهورية الجزائر، بشجاعته المعهودة، ووطنيته الصافية، إلى إصدار بيان تأييد لللائحة المذكورة بتاريخ 28 أفريل 1996 ، كما سارعت الولايات التاريخية السادسة والخامسة والقاعدة الشرقية إلى تأييدها.

(*) أسبوعية "الشروع العربي" عدد 24 / 9 / 1996 .

والشاوية الذين لم تشوهم دسائس الاستعمار (مثلاً ورد في بيان أحمد بن بله المذكور)، هم الذين يرسمون الآن الصورة الوطنية لتناول المسألة الأمازيغية.

• نؤيد المفهوم السليم للمسألة الأمازيغية لدى (ال Shawwy)، أكبر تجمع أمازيغي بالجزائر، وأكثرهم أصالة من الناحية الأمازيغية، لأن التراث التاريخي الأمازيغي جرت أحدهاته في الإطار الجغرافي للشاوية. والذي يتمثل في أن لهجات الأمازيغية لهجات للغة العربية القديمة المسماة خطأ بالسامية، مثلاً تعتبر لهجات تلمسان ووهران وجيجل وقسنطينة وغيرها لهجات للغة العربية الحديثة التي طورها القرآن الكريم والإسلام.

• نرفض أن تمس الهوية الوطنية التي حدد معالمها بيان أول نوفمبر في عنصرين لا ثالث لهما (الإسلام والعروبة). ونرفض بقوة ثلاثة الهوية الوطنية التي تتحمّل الأمازيغية التي تمثل عنصراً من تاريخنا السابق لدخول الإسلام، مثل الفينيقية بسوريا، والأشورية بالعراق، والفرعونية بمصر. كلها بما فيها البربرية عبارة عن لهجات للغة العربية القديمة التي سميت بالسامية خطأ. وما تراث اللهجات الأمازيغية سوى تراث شعبي، كتراث الملحون في اللهجات العربية، الحديثة التي طورها الإسلام.

إن هذه الثلاثية تعتبر بدعة تستهدف تدمير وحدتنا الوطنية، وتحويل البلاد إلى يوغوسلافيا أخرى تمزقها حرب أهلية على أساس عرقي مقيت. مثلاً ورد في رد اتحاد الكتاب الجزائريين على مذكرة الرئاسة.

• ندين ما قام به عناصر مشبوهة منذ 1980، فيما سمي (بملتقى إيكوكران)، من تشويه لتاريخنا، وذلك بتشويه عنصر الأمازيغية وتحويله إلى بؤرة للتأمر تحت توجيهات (الأكاديمية البربرية) بفرنسا التي أنسنتها دوائر الاستخبارات الفرنسية سنة 1967، التي انبثق عنها المؤتمر الدولي للأمازيغية بفرنسا في سبتمبر 1995 الذي أسس المكتب العالمي للأمازيغية.

لقد انبثقت عن ملتقى إيكوكران الحركة الثقافية البربرية، التي يعترف أقطابها بأن الذي خلق الهوية البربرية هم الآباء البيض الذين تجاوزوا مهمتهم الدينية، إلى مهمة التبشير بالاستعمار الفرنسي القديم، قبل 1962، والجديد بعد استقلال بلادنا. وقد تولد عن هذه الحركة إضراب مدارس ولايتي تizi وزو ووجاية، الذي أتى بالمحافظة السامية للأمازيغية، التي اعتمدت الحرف الفرنسي في تدريس اللهجات الأمازيغية، ويرهنت بذلك أنها تابعة عملياً للأكاديمية البربرية بفرنسا.

- ندين بقوة برنامج عمل المحافظة السامية للأمازيغية لستي 1996 و 1997، الذي يلغى باسم رئاسة الجمهورية خمسة عشر قرنا من الإسلام في بلادنا.
- نرفض رفضاً قاطعاً فرض تعليم لهجة ناحية من البلاد على سائر الجزائريين، لأنه لم يحدث في أي بلد بالعالم أن فرضت أقلية لهجتها أو لغتها على الأغلبية.
- نلفت انتباه الرئيس اليمين زروال، ابن الأوراس الأشم، إلى الخطة الصهيونية الخبيثة التي تستهدف القضاء على ما باقي من رابط بين أبناء الأمة العربية، والمتمثل في اللغة العربية، وذلك بخلق ضرات لها في الأقطار العربية، فقد قامت تحت جمعيات عالمية مشبوهة من أجل إحياء اللغة التوبية، واللغة القبطية، في السنوات الماضية. وانتبهت في هذه السنة السلطات المصرية إلى هذا الخطير، فقررت وقفه نهائياً، كما قامت بحل الجمعيات التي تعمل في هذا الميدان.
- نطالب السيد رئيس الجمهورية أن يستجيب للجماهير التي منحته أصواتها، فيقوم بـ:
 - أ) إلغاء المرسوم التشريعي (92 - 02) الصادر في 4 يوليو 1992، والمتعلق بتجميد قانون تعميم استعمال اللغة العربية.

ب) تطبيق قانون استعمال اللغة العربية رقم (91 - 05) الصادر في 16 يناير 1991، ورفع التجميد عن المجلس الأعلى للغة العربية ليقوم بمهمته في تطبيق هذا القانون.

ج) تأسيس مجمع اللغة العربية الجزائري الصادر في حقه قانون رقم (86 - 10) المؤرخ في 19/6/1986.

• نهيب برجال الثقافة والفكر الوطنيين أن يؤلفوا لجان مساندة في كل ولاية، ويحثوا المواطنين على الانضمام إليها، بعيداً عن كل انتماء حزبي، وذلك من أجل إنقاذ هويتنا الوطنية من المؤامرة الكبرى التي تحاك لتجييرها وتدمير وحدتنا الوطنية، وجر بلادنا إلى حربأهلية عرقية.

المثقفون الجزائريون بولاية الجزائر:

د. العربي الزبيري (رئيس منتدى الفكر العربي). محيوت محمد (عضو الأمانة الوطنية للمجاهدين). زروال محمد (الأمين العام المساعد لجمعية قدماء الضباط). التارزي رماضنة (إطار سابق بالمجلس الدستوري). عثمان سعدي (رئيس الجمعية الجزائرية للدفاع عن اللغة العربية). علي سراوي (صحفى). عبد العالى رزاقى (أستاذ بمعهد الإعلام). سعد بو عقبة (صحفى). أحمد حمدى (أستاذ بجامعة الإسراء). محمد عليش (أستاذ جامعى). كمال طاهري (أستاذ ثانوى). بوعزة بو ضرسة (أستاذ جامعى). جمال قنان (أستاذ جامعى). عبد الحميد خمخوم (مدير مؤسسة تعليمية). زغىدى محمد الحسن (رئيس جمعية التراث الصحراوى). سلطانية الأخضر (أستاذ ثانوى). د. فضيلة بو عمران (أستاذ بكلية الطب). عبد القادر فضيل. د. نصر الدين سعيدونى (أستاذ جامعى). الصادق بخوش (صحفى). باديس قدادة (أستاذ). قويدر بوزيان (مفتش تربية). د. عبد العزيز حضري (مدير معهد تاريخ، جامعة وهران). عبد المجيد غالى (عضو

اتحاد الفنون الثقافية). عمر البرناوي (كاتب). العلمي محمد (معهد الإعلام).
بومالة عبد القادر (أستاذ وفنان). د. عمار بوحوش (أستاذ جامعي). د. مولود
عبد الحليم (أستاذ جامعي). جمال رمضان (أستاذ جامعي). سيد علي مسعود
(أستاذ ثانوي). الأزهر بديبة (أستاذ جامعي). محمد تلمساني (أستاذ جامعي).
مسعود كواتي (أستاذ جامعي). صالح مسعود (أستاذ جامعي). حرز الله بوزيد
(أستاذ جامعي). عبد العزيز بوشفيرات (كاتب). عثمان بدري (أستاذ جامعي).
عبد الله عثمانية (محامي). مصطفى نويصر (أستاذ جامعي). (ولازالت ترسل
إلينا التوقيعات).

الجزائر في 5 سبتمبر 1996

كيف يفسر البربريون ثلاثية الهوية الوطنية (١١١)^(*)

بعلم الدكتور عثمان سعدي

رئيس الجمعية الجزائرية للدفاع عن اللغة العربية

لعل أخطر ما كتب عن إيديولوجية التزعنة البربرية، الحديث الذي أدلّى به السيد عز الدين الزعلانى، عضو المحافظة السامية للأمازيغية التابعة لرئاسة الجمهورية، لجريدة Le Matin (العدد 2 و 3 أكتوبر 1996). لقد حدد ما يبيّنه الاستعمار الجديد من تدمير لسيادتنا الوطنية، وذلك باعتبار الأمازيغية، التي ليس لها وجود، هي هوية الشعب الجزائري؛ وأن العربية، اللغة الدينية، مثلها مثل الإسلام والفرنسية، اكتسبت وفرضت على الأمة الجزائرية. ومعنى هذا أن كل مكتسب أو مفروض يمكن الاستغناء عنه، أو استبداله. أما الأمازيغية فهي وجود، والوجود غير قابل للاستغناء عنه، أو استبداله. ويرى أنه لا بد من اعتماد وحدانية الهوية المرتكزة على الأمازيغية فقط. وإلى القراء الكرام ما ورد في هذا الحديث الإيديولوجي:

• إن أرضية الوفاق تعالج في الحقيقة العربية كلغة دينية مقدسة، كشريك ثقافي لشعبنا، وكمحصل حضاري لأمتنا. إن هذا معناه تقدم رائع، لأنه حتى الآن، كانت العروبة مدركة من زاوية الإثنية. ونحن نأمل أن تسهر الحكومة على ترقيتها كلغة دينية ورسمية، وأن تحميها من استغلالها سياسياً بواسطة مشاريع الاختراق الإيديولوجي، والسيطرة الشرق أوسطية، بهدف المس بسيادتنا الوطنية.

(*) نشر بأسبوعية "الشروق العربي" عدد 5/11/1996.

- تعتبر أرضية الوفاق الإسلام واللغة العربية كمكاسب، كشركاء لشعبنا، تصرفان في فعل: تحصل Avoir، بينما نراها تصرف الأمازيغية في فعل وجد Etre، لأننا كلنا نحن الجزائريين منحدرون من الأمازيغ أسلافنا. فتحديد هوية الجزائر بالهوية الأمازيغية في الأرضية صحيح، إنه انتصار على أنفسنا.
- إذن فإن الأمازيغية ليست شريكًا، إنها لم تقبل من شعبنا كما قبلت العربية، ولم تستقبل منه كما استقبل الإسلام، ولم تحتمل منه كما احتملت الفرنسية في العهد الاستعماري. إن الأمازيغية هي وجودنا.
- إن خطأ الأرضية لا يكمن في العمق، لكن يكمن في تناول مفهوم خاطئ يتمثل في الخلط بين الوجود Etre، والحصول Avoir، يكمن في الخلط بين الهوية الوطنية الواحدة والثابرة (أي الأمازيغية) العمود الفقري القاعدي، وبين عناصر الشخصية في مظاهرها الثقافية والحضارية.
- إن الأمازيغية ليست عنصراً ولم تكن بعداً من بين عناصر أخرى. ينبغي وضع حد لهذه الهوية المتعددة ذات الهندسة المتنوعة، وضع حد لهذه الهوية ذات الطبيعة المطاطية، التي تعتبر شبهاً نظرياً شعبياً أبعد ما يكون عن الوفاقية. إن هويتنا أمازيغية فقط.
- إن الهوية الأمازيغية هي وجودنا، ذاكرتنا، امتدادنا التاريخي، استمراريتنا عبر العصور. إنها الخط الذي يربط أطفالنا بما خصهم بعيد. إنه إذا كرس نص القانون الجندي (الدستور) الأمازيغية، وتعامل مع الإسلام كدين، واعترف بالطابع الوطني للغة الأمازيغية، فإن النقاش سيكون قد انتهى، لكن العمل الحقيقي سيبدأ.
- إن اللغة الأمازيغية لغة عالمية، فطابعها الهوبي المرتبط بالهوية الأمازيغية للجزائر، هو الذي يحدد معالمها. إنها ليست تابعة للمناطق الناطقة بالأمازيغية، إنها لغة كل الجزائريين الذين كلهم أمازيغ. لابد من تأسيس أكاديمية أمازيغية توكل لها مهمة التوحيد العلمي للهجات الأمازيغية.

- إن لرئيس الدولة فرصة فريدة في إعطاء وضع دستوري للغة مملكة ماسينيسا، جد دولتنا الوطنية. إن المطلوب هو تثبيت الهوية الأمازيغية ووضع دستوري للغة الأمازيغية. إن مسألة الهوية هي عقدة الأزمة، فالحركة الأمازيغية تطرح على الأمة مسألة التجذر في تاريخها.
- إن الجزائر عانت من عبودية طويلة عبر قرون، ولدت لديها فقداناً ضخماً للذاكرة الجماعية نجم عنه مسخ للشخصية». انتهى نص الحديث.

الخلاصة:

أولاً: لقد تعمدت أن أسهب في سرد هذا الحديث للقراء الكرام، لكي يكونوا صورة عما يفكرون فيه البربريون. إنهم يبنون نظرتهم على العرقية، فالجزائريون كلهم، بما فيهم تسعون في المائة الناطقون بالعربية، أمازيغ. أي أن المقياس الذي يحدد على ضوئه الاتتماء للأمازيغية هو الدم الأمازيغي الذي يجري في العروق، وليس في اللغة التي تردد على الألسنة. أما عرب الجزائر فليس من حقهم أن يقولوا نحن عرب، لأن ذلك يعتبر إثنية. بينما نجد فكرةعروية مبنية على أساس ثقافي، اعتماداً على تحديدها من طرف سيد المرسلين عندما قال في حديث نبوي شريف: «ليست العربية فيكم بأب ولا بأم وإنما هي في اللسان، فمن تكلم العربية فهو عربي». فحتى الفرنسيون يبنون نظرتهم الانتمائية الوطنية على اللغة الفرنسية، التي عممت بفرنسا بواسطة قانون تعميم استعمال اللغة الفرنسية، سنة 1794. ولم يقل فرنسي واحد: «إن الفرنسيين سللت لأن اللغة السلالية هي التي كانت سائدة في عهد شارلوماني».

ثانياً: يزعم البربريون أن لغة الجدة دولة ماسينيسا كانت الأمازيغية وهو كذب. فلغة الدولة التوميدية كانت البونيقية القرطاجية، بشهادة إجماع المؤرخين عرباً وأوروبيين، وبشهادة الكتابات الأثرية المنقوشة. والبونيقية

-اللغة العربية القديمة- هي التي كانت سائدة بال المغرب العربي لمدة تسعة عشر قرنا قبل ظهور الإسلام، وهي التي سهلت عملية انتشار اللغة العربية، كحلقة ربط بشمال إفريقيا بين العربية القديمة، والعربية الحديثة التي طورها الإسلام.

ثالثا: يرى البربريون أن العربية لغة دينية فقط، وأن الأمازيغية لغة عالمية.

أي والله!!! وأنا من الذين يقال عنهم أمازيغ، وأتقن الشاوية، وهي أصفي لهجة أمازيغية، ولا أعلم أن الأمازيغية معتمدة في هيئة الأمم المتحدة!!!

رابعا: يستعمل البربريون أسلوب: خذ وطالب. نجحوا في إفحام الأمازيغية في الهوية التي عرفت منذ خمسة عشر قرنا بأنها ثنائية ترتكز على العروبة وعلى الإسلام. ويطالبون الآن بأن تحذف من تركيبة الهوية العروبة والإسلام لأنهما عنصران مكملان ليسا أساسين للأمازيغية، فهما مجرد شريكان للشعب الجزائري، والشراكة قابلة للفسخ أو للاستبدال. ويبدو أننا نحن الوطنيين نتفق مع فلاسفة النزعية الأمازيغية بأن «ثلاثية الهوية هندسة متعددة مطاطية وشبح نظري»، ونحن نطالب بأن تبقى كما كانت دائما ثنائية.

خامسا: يعتبر البربريون بأن الجزائر عانت من عبودية عربية لخمسة عشر قرنا، مسخت شخصيتها، وقضت على ذاكرتها الجماعية، لأن الذاكرة عندهم تتوقف عند دخول الإسلام، فالمطلوب شطب الخمسة عشر قرنا الأخيرة من الإسلام والعروبة، ووضع حد لهذا المسخ والعبودية عن طريق العودة إلى الأمازيغية، ووقف التبعية اللغوية (الشرق أوسطية) التي تعارض مع السيادة الوطنية. ويررون أن بقاء هيمنة اللغة الفرنسية على الحياة الجزائرية، واستمرار تجميد قانون اللغة العربية، تقوية للسيادة الوطنية. ورفع هذا التجميد عدواً على الجزائر. أي والله... هذا هو الذي يسود الصحافة الفرنسية، صحافة البربرист الغرنوكفيل، الصادرة في الجزائر، منذ أن بدأ المجلس الانتقالي يستعرض مشروع برفع التجميد عن قانون العربية.

سادسا: سعترف السيد الزعلاني والبربريون بأنه لا وجود للغة أمازيغية (بربرية)، ويأن الذي يوجد لهجات أمازيغية، ويطلب من الدولة أن تؤسس أكاديمية توكل إليها مهمة خلق لغة أمازيغية، وذلك «بتوحيد لهجاتها». أي والله... إن البربر يستطون من الدولة الجزائرية أن تقوم بخلق صرة للعربية، تدخل في صراع معها، وذلك من أجل هدف واحد وهو الإبقاء على اللغة الفرنسية مهيمنة حكماً بين الضرتين.

كيف طبق قانون تعميم اللغة الفرنسية في فرنسا؟^(*)

بشت قناة التلفزة الفرنسية الخامسة منذ يوم الجمعة 11/10/1996، سلسلة من عشر حلقات عن تاريخ اللغة الفرنسية، وقد سجلت الحلقة الأولى، لأنها تتعلق بأول قانون يفرض اللغة الفرنسية على كل البلاد الفرنسية، ووتنميت لو أن التلفزة الجزائرية تقوم بيئتها للجمهور الجزائري كما هي، أي باللغة الفرنسية، مع تقديم ترجمة لها بالعربية، لأن بيئتها يعتبر فضحا لعملاء الاستعمار الفرنسي الجديد في بلادنا، الذين تجمعوا في صحف فرنسية صادرة في الجزائر. والحلقات المذكورة مستمدة من كتاب صدر حديثا بفرنسا، عنوانه: (اللغة الفرنسية: تاريخ نضال). للكاتب كلود حجيج Le français: histoire d'un combat، الذي قدم هو الحصة مع الآنسة إيف لينغلارت، بمساهمة par Claude HAGEGE وزارة التربية الوطنية الفرنسية، ووزارة التعليم العالي، ووزارة الخارجية. وقد رأيت أن أنشر خلاصة لهذه الحصة للقراء الوطنيين، أي لقراء العربية، عملا بنصيحة الصديق العزيز السفير عبد العزيز بن حسين، وهو من أروع السفراء الذين خدموا الجزائر بثوابتها الوطنية، وذلك بنشر هذا هذا المقال باللغتين العربية والفرنسية، حتى يطلع عليه كل قارئ بالفرنسية ببلادنا، غير مرتبط بعمالة للاستعمار الفرنسي الجديد. وإلى القراء الكرام هذه الخلاصة التي ستختلها فقرات باللغة الفرنسية.

(*) نشر بالمجاهد الأسيوي في 19/11/1996 والعالم السياسي عدد 11، 1996.

قانون الثورة الفرنسية اللغوي (1794)

نص ما ورد في الحصة المتلفزة:

«إن تاريخ اللغة الفرنسية ممزوج بتاريخ الأمة الفرنسية، وياستعمال الفرنسية في مواجهة اللغات الجهوية الأربع: (السالت، والبروتون، والباسك، والألزاسية) التي كانت سائدة في نواحيها قبل 1794، ولم تبدأ الفرنسية في التمرکز والتعميم إلا بعد تأسيس المدارس الابتدائية سنة 1790، التي عملت على مركزة الفرنسية وإلغاء الفيدرالية بلغاتها الجهوية، وتم بذلك لحم الأمة الفرنسية بواسطة اللغة في مواجهة اللغات الجهوية Souder la nation par la langue face aux langues regionales

• في 27/1/1794 قدم النائب باريير (Barer Devieuzac) تقرير البرلمان الثورة، هاجم فيه اللغات الجهوية فقال: إن اللغة السلطية لغة الفيدرالية، والبروتانية لغة الحقد، والباسكية اللغة المضادة للثورة، والألزاسية لغة كره الجمهورية. وطالب بإلغائها وتعميم الفرنسية.

• في 5/5/1794 قدم لبرلمان الثورة الأب "هونري غريغوار L'Abéhenri Gregoire" تقرير قال فيه: «لابد من إذابةسائر المواطنين في الكتلة الوطنية، وهذا لا يكون إلا بالهوية اللغوية، لأن لغتنا الفرنسية هي قلبنا Notre langue (est notre coeur).

• في 20/7/1794 قدم النائب ميرلين دو وويه (Merlin De Douai) في عهد روبيسييرا تقريرا إلى برلمان الثورة (La Convention)، قال فيه: «ينبغي أن تكون الفرنسية اللغة الوحيدة المستعملة، وينبغي على الجمهورية، الضامنة لحرية المواطن، أن تمنع استعمال أي لغة أخرى غير الفرنسية.

Le français seul doit être utilisée, la République garanté de la liberté du citoyen, doit interdire toute langue autre que la langue française.

وعلى إثر إلقاء هذا التقرير، صوت برلمان الثورة على مرسوم بتعيم اللغة الفرنسية ومنع اللغات الجهوية، نصت مادته الثالثة على ما يلي: «إنه ابتداءً من تاريخ نشر هذا المرسوم، كل عقد عمومي، أو خاص، لا بد أن يحرر بالفرنسية وحدها، ويمنع نشره بأية لغة جهوية. إن كل موظف أو محرر ضبط عام، كل عون حكومي، يقوم ابتداءً من هذا التاريخ، بتحرير أو تقديم أو توجيه أو توقيع محاضر، أو عقود، أو أعمال أخرى، بلغة أخرى غير اللغة الفرنسية، يقدم أمام محكمة الجنح بإقامته، ويعاقب بستة أشهر سجناً، وبالطرد من الوظيفة.

Tout fonctionnaire ou officier public, tout agent du gouvernement qui, a partir de la publication de la présente loi, dressera, écrira ou souscrira, dans l'exercice de ses fonctions, des procés verbaux, jugements, contrats, ou autres, par une langue autre que la langue française, sera traduit devant le tribunal correctionnel de sa résidence, condamné à six mois de prison et destitué

قانون حماية اللغة الفرنسية (1994)

وبمناسبة مرور قرنين على صدور قانون تعيم استعمال اللغة الفرنسية، صدر بفرنسا قانون لحماية اللغة الفرنسية من تسرب الكلمات الأنجلizية إليها، أعده وزير الثقافة آنذاك السيد جاك توبون (وزير العدل الحالي) وسمى هذا القانون (قانون لزوم الفرنسية). ونص القانون على ضرورة منع استخدام ألفاظ أو عبارات أجنبية، في كل الوثائق والمستندات، والإعلانات المسموعة والمرئية المعروضة على الجمهور، وكل مكاتب الشركات العاملة على الأرض الفرنسية، وبوجه خاص فإن الإلزام باستخدام اللغة الفرنسية يلزم المحلات التجارية، والشراطط الدعائية التي تبث عبر الإذاعة والتلفزة. كما اشترط القانون على البلديات والمصالح الحكومية إلا تمويل سوى المؤتمرات والندوات الدولية التي تكون فيها الفرنسية لغتها الأساسية، كما منع نشر أعمال أية مؤتمرات دولية شارك فيها باحثون أجانب، ما لم تكن مصحوبة بملخص مكتوب بالفرنسية.

وقد أثار هذا القانون نقاشاً واسعاً بفرنسا بين مؤيد ومعارض، وكانت جلسة الجمعية الوطنية التي نوقشت فيها صادحة، وصل الحال بالنائب الاشتراكي (ديديه ماتوس) المعارض للقانون، أن قال لتوبيون في هذه الجلسة: «هل علينا أن نربط صورة اللغة الفرنسية بصورة جندي يحمل عصا غليظة؟ إن مشروعكم هو من نوع القانون الأمني، تبين فيه ميلاً إلى طرد الألفاظ الأجنبية، مثلما يتم طرد الأجانب الذين لا يتمتعون بوجود شرعي فوق الأراضي الفرنسية. هل ستبدرون، يا سيد توبوون، إلى المطالبة بتكون هيئة جمارك خاصة باللغة، ومفتشي جمارك للمفردات؟!!!». وبالرغم من هذا النقاش الحاد الذي دار بالبرلمان الفرنسي، فقد فاز هذا القانون بالأغلبية الساحقة للأصوات.

وما يجري الآن في منطقة البحيرات الكبرى بإفريقيا، هو في بعض مظاهره صراع بين الفرنكوفونية التي تتكلّمها قبائل الهوتو، وقبائل التوتسي التي تتكلّم الأنجلizية، وترى فرنسا الآن في زحف التوتسي على الزائر أكبر تهديد للفرنكوفونية، في أكبر بلد بإفريقيا السوداء. وبالرغم من اعتبار الدنيا كلها أن موبوتو أسوأ حاكم بإفريقيا، ولابد أن يزول، فإن فرنسا تدافع عنه خوفاً من وقوع الزائر تحت نفوذ التوتسي الأنجلوفونيين.

وقد تضمن قانون "توبوون" هذا مواد جزائية أشد من المواد الجزائية التي تضمنها قانون تعليم استعمال اللغة العربية عندنا، إذ تصل عقوبة القانون الفرنسي إلى عشرة آلاف فرنك فرنسي ثقيل، أي أكثر من ألفي دولار، لكل من يخالف أحكام هذا القانون. علمًا بأنه يعتبر مجرد قانون وقائي، في مواجهة مجرد تهديد من بعيد من طرف الألفاظ الأنجلizية، بينما يواجه قانوننا هيمنة كاملة على حياتنا من طرف الفرنسية، تهدد ثقافتنا الوطنية، وتلغى سيادتنا الوطنية.

وفي يوم الجمعة 15/11/1996، بثت القناة المذكورة آخر حلقة من هذا البرنامج تحت عنوان «اللغة الفرنسية: آخر المعارك» تكلمت فيه عن قانون لزوم

الفرنسية، المشهور بقانون توبون، وهي عبارة عن حديث مع الوزير جاك توبون الذي كان وزيرا للثقافة وكان له الفضل في صدور القانون سنة 1994 الذي صادق عليه البرلمان الفرنسي بجمعيته الوطنية، وبمجلس شيوخه، والذي يطبق الآن بصراحته.

وقد عين الرئيس شيرال السيد توبون وزيرا للعدل في حكومة آلان جوبيري لكي يضمن تطبيق هذا القانون.

المخلاصة:

أولاً: لقد أنجز الفرنسيون مهامهم الوطنية كاملة إزاء لغتهم التي اعتبروها الإسمت الذي لحم شتات الأمة الفرنسية قبل قرنين، فعمموها على حساب خمس لغات جهوية، في الوقت الذي ترتفع فيه أصوات ناعقة عملية، تطالب بأن ترسم لهجات للقضاء على وحدانية اللغة العربية، الذي عرفه بلادنا منذ أربعة عشر قرنا.

ثانياً: وبعد قرنين أصدر الفرنسيون قانوناً لحماية اللغة الفرنسية من مجرد تهديد الإنجلizerية للغتهم، في الوقت الذي نقرأ فيه كتابات في هذه الأيام في صحافتهم الصادرة في الجزائر، لعملاء فرنكوفيليين يهاجمون قانوننا، ويسلطون حملة من الإرهاب على أعضاء المجلس الانتقالي الذين طالبوا منذ ستينات تحرير قانون العربية. وقد سبق أن كتبت «أن الجزائر عرفت نوعين من الحركية والقومية، حركية والقومية العضلات قبل 1962، الذين حملوا السلاح مع الجيش الفرنسي ضد كفاح شعبهم، وانتهى بهم المطاف إلى أن يعيشوا هم وأولادهم مأساة إنسانية تمثل في نبذ المجتمع الفرنسي لهم. وحركيـو وقومـية الفكر بعد 1962، الذين كانوا بمثابة الطابور الخامس للاستعمار الجديد، أوصلـوا بلادـنا - بـتحـكمـهمـ فيـ مقـالـيدـهاـ بلـغـتـهمـ الفـرنـسيـةـ - إلى ما وصلـتـ إـلـيـهـ، ولاـزالـواـ مـصـرـيـنـ عـلـىـ بـقـائـهـمـ فيـ مـوـاقـعـهـ التـامـرـيـةـ، والـفـرقـ».

بين حركيي وفومية العضلات، وحركيي وفومية الفكر، أن أولئك خانوا وطنهم عن جهل، فقد كانوا أميين، أما هؤلاء فهم يخونوه عن معرفة (عن كتابي "التعريب في الجزائر" الصادر سنة 1993).

ثالثاً: ومن الغريب أن مجلة "إكسبريس L'express الفرنسية في عددها الصادر في 10/2/1994 وصفت هؤلاء العملاء بهذه الصفة، أي بحركيي الفكر، وقالت عنهم: «لقد تبيّنت لنا حقيقة أن هؤلاء الفرنكوفونيين الجزائريين هم أقلية ضئيلة جداً ultraminoritaire مقطوعون عن الجماهير، ونحن نتساءل: أي مستقبل بالجزائر لحركيي الفكر هؤلاء!!! إن للمثقفين وللبيور جوازية الفرنكوفونية حظ ضئيل في أن يجدوا مكانهم في هذه الجزائر القلقة التي تولد الآن، إن هؤلاء الضحايا المأساويين للتاريخ يستحقون كل مساعدة. لقد بنت فرنسا عليهم سياستها الجزائرية، فسقطت في فخ الحوار مع هؤلاء، الذين كانت تتصرّف أنهم يمثلون شيئاً بالجزائر، وأنهم قادرون على تقديم الجزائر في الصورة التي تمنت فرنسا أن تكون عليها». ويبدو أن هذه المجلة اطلعت على كتابي المذكور وأخذت منه صفة حركي الفكر.

رابعاً: إن المعركة القادمة تكمن في تطبيق قانون تعليم استعمال اللغة العربية. وأنا أطالب بأن نطبق نفس الأسلوب الذي تبناه الفرنسيون في تطبيقهم لقانون استعمال اللغة الفرنسية سنة 1794، ولقانون نزوم الفرنسية الصادر سنة 1994، ولتكن وطنيتنا في نفس مستوى وطنية الفرنسيين، لا أكثر ولا أقل.

حوادث تيزي وزو 1980 في الصحافة الأوروبية

بقلم الدكتور عثمان سعدي

رئيس الجمعية الجزائرية للدفاع عن اللغة العربية

ينبغي أن نفرق بين الأسلوب الذي تناولت فيه أجهزة الإعلام الفرنسية وأجهزة الإعلام الأوروبية لحوادث 1980 في تيزي وزو. فالصحافة الفرنسية تناولت الموضوع على أنه مطالبة أقلية ببربرية بحقوقها الثقافية أمام هيمنة ثقافية عربية. علما بأن المهيمن في الجزائر المستقلة هي اللغة الفرنسية. وأن الصراع الحقيقي بين العربية والفرنسية، وليس بين العربية والبربرية، وهذا ما أبرزه رجال الثقافة الإنجليز مثلا.

صحف فرنسا:

نشرت جريدة (لיבيراسيون Liberation) في يومين على التوالي (8 و 9 أبريل - نيسان 1980) مقالات تحت عنوانين: (البربر في العاصمة. مظاهرات للبربر تهتف من أجل الحرية). صحيفة (لاكروا La Croix) تنشر في أعدادها 8، 9 و 10 أبريل مقالات بالعناوين التالية (الثقافة البربرية المقهورة. مظاهرات جديدة للطلبة البربر). صحيفة (لأورور L'Aurore) تختر يوم 10 أبريل عنواناً (التحرك البربري الذي لا يمكن إخماده). وكررت مجلة (ليكسبريس L'Express) نفس العنوان بتاريخ 26 أبريل و 5 مايو 1980. كما كتبت (لوكتيديان دو باري Le quotidien de Paris) ثلاثة مقالات متتالية أيام 17، 18 و 19 أبريل تحت عنوان (ثورة البربر). أما مجلة (نوڤيل أبسير فاتور Nouvel Observateur) فقد كتبت يومي 21 و 28 أبريل تحت عنوان (مظالم البربر. ومظاهرات البربر). واحتلت الحوادث صدر الصفحة الأولى لصحيفة (لوموند Le Monde) يوم 22 أبريل تحت عنوان (الجزائر ومشكلة البربر).

لعل أعمق تحليل في بريطانيا لحوادث 1980 في تizi وزو، وأكثرها موضوعية، ما كتبه (روبيتر هو Hugh Roberts)، الأستاذ في جامعة إيست إنجلترا البريطانية، حيث قال:

1 - إن جوهر السخط في بلاد القبائل هو مصالح اقتصادية. فالتعريب الذي أخذت به الحكومة الجزائرية، منذ الاستقلال، كالالتزام إيديولوجي وضرورة قومية، يهدد مصالح قطاعات كبيرة من ببر القبائل، الذين تخلوا عن العربية كلغة ثانية، وأحلوا الفرنسية محلها، وتمكنوا بسبب ذلك من احتلال العديد من المواقع في كل أجهزة الدولة والاقتصاد. ومعنى هذا باختصار أن يفقد ببر القبائل هذه الميزة النسبية. لقد ثار ببر منطقة الريف الغربية (التي كان يسيطر عليها الإسبان ثم انضمت إلى الوطن الأم عام 1956) ضد محاولة فرض اللغة الفرنسية كلغة ثانية وهي لغة لم يكونوا يجيدونها، وأصرروا على العربية والتعريب.

2 - إن معارضه ببر القبائل للتعريب هو أقوى من إصرارهم على المحافظة على لغتهم الأمازيغية، وتنميتها واعتمادها كلغة وطنية رسمية، فهي لا تعتبر المطلب الرئيسي الحقيقي للنخبة البربرية القبائلية، ولكنهم لا يستطيعون أن يجحروا بذلك، خشية أن يفقدوا تأييد الكثيرين من البربر الآخرين، وتعاطف بعض العرب الليبراليين. إنهم، أي عناصر النخبة البربرية القبائلية، يتسبّلون بكل ما من شأنه تعطيل مسيرة التعريب، على أمل وقفها تماماً.

3 - إن كل قطاعات الطبقة الوسطى لبربر القبائل، سواء من العاملين في الحكومة، أو القطاع العام، أو في التجارة والصناعة والمهن الحرة، يشاركون النخبة السياسية المحلية دوافعها ورغباتها في تعطيل التعريب وإبقاء الفرنسية

كلغة مهيمنة. أما طبقة الفلاحين الدنيا في بلاد القبائل فالمشكل اللغوي الثقافي لا يهمها كثيرا، ومع ذلك فهي مهيئة للاستجابة والاستشارة بسبب مشكلاتها الاقتصادية المحلية». (انتهى نص الكاتب البريطاني).

الخلاصة:

أولا: نلاحظ أن ما كتبه الأستاذ الجامعي البريطاني كان سنة 1980، أي قبل ست عشرة سنة، وقد صار الكثير مما كان يراه خافيا يمارس الآن على المكشوف من طرف البربرист، المتجمعين في بلاد القبائل، كمحاربة التعرّيف والعمل على استمرار هيمنة اللغة الفرنسية، الذي ظهر بوضوح في الحملة التي شنها صحافتهم على رفع تجميد قانون تعميم استعمال اللغة العربية، الذي يناقش في المجلس الانتقالي في نهاية 1996، والتي تزعمها عناصر الحركة الثقافية البربرية (MCB). والأمر الذي نختلف فيه مع هذا الكاتب، هو أن إخواننا ببلاد القبائل مغرر بهم من طرف أقلية ضالة، وبدأت الآن تكشف ارتباطاتهم بالخارج. والبواحد كلها تشير إلى أن أبناء جرجرة الأسم، سليلي المقراني، ولالة فاطمة نسومر، والشيخ الحداد، والشيخ الفضيل الورتلاني، ومولود قاسم نايت بلقاسم، سيزيحون الستار عن تآمر هذه الأقلية ويتخلون عنها.

ثانيا: يتضح مما سبق أن النزعـة البربرـية الهدـامة من خلق الاستعمار الفرنسي القديم والجديد، وأن بقية الأوروبيـين غير منـساقـين مع التـآمرـ الفرنسيـ على الوـحدـةـ الوـطـنـيـةـ الـجـازـائـرـيةـ.



فهرس الأعلام

- ١ -
- أراغون لوي: 142.
 - آل خليفة محمد العيد: 175, 176, 177.
 - آلان مادلين: 47.
 - آيت أحمد حسين: 35, 36, 224.
 - آيت حمودة نور الدين: 219.
 - الأبدلاني أبو الحسن:
 - إبراهيم باشا: 128.
 - الإبراهيمي أحمد طالب: 148.
 - الإبراهيمي البشير: 24, 153, 158, 161, 162, 168, 177, 178, 179.
 - ابن آجروم أبو عبد الله: 48.
 - ابن الآبار أبو عبد الله: 132.
 - ابن أبي إدريس: 128.
 - ابن أبي الخصال: 131.
 - ابن أبي طالب علي: 175, 176.
 - ابن أبي لؤي كهلان: 75.
 - ابن أبي المهاجر اسماعيل: 125.
 - ابن أبي وقاص سعد: 181.
 - ابن أبي يزيد أيوب: 75.
 - ابن الأثير علي بن أحمد: 129, 157.
 - ابن أفلح يعقوب: 128.
 - ابن باديس ع. الحميد: 12, 157, 158, 195, 196, 197, 198.
 - ابن عبد الحكم عبد الرحمن: 67.
 - ابن عبد البر أبو عمر: 76.
 - ابن العاص عمرو: 67.
 - ابن سيناء أبو الحسين: 156.
 - ابن سعيد سعد: 181.
 - ابن شداد عنترة: 181.
 - ابن الصفار عثمان: 128.
 - ابن تاشفين يوسف: 131, 195.
 - ابن عبد العزيز عمر: 203.
 - ابن خالد قيس: 75.
 - ابن خراسان: 129.
 - ابن الخطاب عمر: 67, 181.
 - ابن خلدون عبد الرحمن: 56, 57, 72, 74, 154, 157, 158, 161, 175, 176, 177, 178, 179, 180, 181, 182, 183, 184, 185, 186, 187, 188, 189, 190, 191, 192, 193, 194, 195, 196, 197, 198, 199, 200, 201, 202, 203, 204, 205, 206, 207, 208, 209, 210, 211, 212, 213, 214, 215, 216, 217, 218, 219, 220, 221, 222, 223, 224, 225, 226, 227, 228, 229, 230, 231, 232, 233, 234, 235, 236, 237, 238, 239, 240, 241, 242, 243, 244, 245, 246, 247, 248, 249, 250, 251, 252.

- ابن عبدون أبو محمد: 131.
- ابن عذاري أبو العباس أحمد: 68, 69, 72.
- الأحدب أبو القاسم: 131. 157, 129
- الأخفش عبد الحميد: 154. 67
- أرسطو: 58. 77
- أرندت موزيس: 166. 128
- أرسلان شكيب: 179. 128
- الأبيرياني مظهر: 25. 131
- أسيخيلوس: 152. 70
- الإسكندر الأكبر: 59. 130
- إسماعيل بن عبد الله: 125. 48
- الأعرج أبو عبيدة: 128. 68
- إفريقيس بن قيس: 55, 56, 76, 79, 77. 47
- الألغانى جمال الدين: 163. 154, 27
- أفلاطون: 22. 69, 68, 70, 77
- أفالح الإمام (الرسمى): 127. 219, 125
- الأكوع إسماعيل بن علي: 25. 125
- إمرؤ القيس: 142. 218
- إنجلز فريديريك: 106, 141. 72, 73
- أندرية الجنرال: 8, 37, 38, 39. 175, 181
- الأندلسى ابن خيرون: 126. 128
- أنطونيوس جورج: 163. 129
- أوصديق عمر: 35. 28
- أوغستين القديس: 19, 20, 21, 66, 114. 20, 21, 66, 78, 113
- أولينتارى: 90. 118, 117, 116, 115, 114, 113, 153, 152, 151
- أبو المهاجر دينار: 68, 69, 70, 125

- ب -

- باسيه أندريه: 27, 83, 154.
 - باسيه رونيه: 8.
 - باشا إبراهيم: 163.
 - باغي عبد الرحمن: 51, 77, 78.
 - بالزاك أونوري: 143.
 - بخوش الصديق: 199, 237.
 - براماكوف: 108.
 - برامز جوهانس: 142.
 - البرغاطي حمود بن وامليل: 129.
 - برق أحمد: 199.
 - بزيان محمد: 199.
 - البصري محمد: 7, 8, 187, 213.
 - بكتاش خالد: 110.
 - البكري أبو عبد الله: 71.
 - بلعون عماد: 200.
 - بلقاسم منصوري: 200.
 - بلقاسم مولود قاسم نايت: 12, 43, 48, 206, 218, 228, 252.
 - بليزاريوس: 124.
 - بن أحمد الحاج سعيد: 199.
 - بن أحمد محمد (فنان شعبي): 145.
 - بن بولعبد مصطفى: 196.
 - بن بله أحمد: 11, 187, 201, 202, 204.
 - بنت يجدول تمريرغ: 77.
 - بن جديد الشاذلي: 44, 192.
- بن خدة بن يوسف: 10, 35.
 - بن دحمان صالح: 200.
 - بن دوبدة محمد: 174.
 - بن عبید مصطفى: 199.
 - بن عمر عبد المجيد: 200.
 - بن فيالة محمد صالح: 200.
 - بن نعمان أحمد: 39, 194.
 - بناني علي: 35, 36.
 - بوا لوكونت: 163.
 - بوجو الجنرال: 173.
 - بودة أحمد: 36.
 - بوزيد عباسى: 199.
 - بوران موريس: 42.
 - بوشارب بلقاسم: 199.
 - بوشارب الظاهر: 199.
 - بوشامة عبد الرحمن: 110.
 - بوشامة الريبع: 180, 181, 183.
 - البوقصي عمر: 194.
 - بوكروح نور الدين: 188, 189, 195.
 - بوكوشة حمزة: 176.
 - بومدين الهواري: 44, 192.
 - بومعزة البشير: 36.
 - بيتر ريزمبيك: 50.
 - بيتس أوربيك: 87.
 - بيتهوفن لايدفينغ: 139.
 - بيرك جاك: 47, 187, 231, 232, 233.
 - بيرنال مارتن: 21.
 - بيريز المستشرق: 222.

- بيسمارك أوتو: 111، 166.

- بيلغرين: 124.

- بيوض أحمد (الشيخ): 158، 179، 180.

- بيرنال ويليام: 59، 121.

- بيهر إدوارد: 31.

- ت -

- تاغامونت عز الدين: 100.

- تاكفاريناس: 153، 157.

- التبسي العربي (الشيخ): 194، 195.

- تروجليتا: 65.

- تماضر: 75.

- التميمي عبد الله: 127.

- التميمي الأقرع ابن حابس: 68.

- تيرتوليان سيتيميوس: 154، 118، 114، 61.

- توينبي أرنولد: 61.

- توبون جاك: 248، 247، 246.

- الـتـيهـ أـحمدـ: 128.

- ث -

- ثـاريـ محمدـ: 200.

- ج -

- الجازية الهلالية: 223.

- جـايـيلـدـ: 61.

- جـديـ مـقـدادـ (ـالـرـائـدـ): 194.

- جـرـمانـوـسـ: 65.

- جـعـرـةـ محمدـ: 200.

- الجنـوـانـيـ أبوـ عـبـيـدةـ: 128.

- جـوـادـ عـلـىـ: 53.

- ح -

- حـارـكـ عبدـ الحـمـيدـ: 200.

- حـبـشـيـ بلاـلـ: 85، 208.

- حـجـيـرـةـ مـوسـىـ: 200.

- حـجـيـجـ كـلـودـ: 244.

- الحـدـادـ أبوـ الحـسـنـ: 130.

- حـدـادـ مـالـكـ: 114.

- حـدـادـ الشـيـخـ: 218.

- حـرـيقـةـ مـحـفـوظـ: 200.

- حـسـينـ أـحمدـ: 12.

- الحـفـصـيـ أبوـ زـكـرـيـاـ يـحـيـيـ: 132.

- حـفـظـ اللـهـ أـحـمـدـ: 199.

- حـقـيـقـيـ مـحـمـدـ: 200.

- خ -

- خـاطـرـ سـلـيمـانـ: 46.

- خـالـدـ الـأـمـيـرـ: 178.

- خـبـرـارـةـ صـالـحـ: 200.

- الخـرـفـيـ صالحـ: 183، 180، 175.

- خـرـوـبـيـ مـحـمـدـ الشـرـيفـ: 42.

- خـشـيـمـ عـلـيـ: 22.

- الخـطـابـيـ عـبـدـ الـكـرـيمـ: 178، 179.

- خـمـارـ بـلـقـاسـمـ: 182.

- خـنـفـوـسـيـ الطـاهـرـ: 200.

- خـيـضـرـ مـحـمـدـ: 36.

- ر -

- راجف بلقاسم: .37, .36.
- رباعي الصغير: .199.
- رباعي كمال: .85, .84.
- رحابي الإخوان: .143.
- رزاييمية محمد الهادي: .199.
- روبيسبير: .245.
- روچاتينوس جان: .65.
- رسول: .155, .87, .84.
- روسيه بيير: .59, .58, .59, .21, .14, .53.
- الرومي صهيب: .208.
- ريتان إيرنست: .112, .106, .105, .19.

- ز -

- الزاهري السعيد: .174, .156.
- زروال اليمين: .188, .189, .191, .220, .225.
- الزعاني عز الدين: .9, .239, .243.
- زعيتر عادل: .24, .61, .64, .84, .113.
- زغلول سعد: .176.
- زكريا مفدي: .182, .181, .178.
- الزموشي الشيخ: .195.
- زمولي أحمد (الرائد): .199.
- زينب الحاجة: .193.

- س -

- السائق اللقاني: .174.
- ساعي المجاهد: .194.
- سارتر جون بول: .142.

- ٥ -

- داليه ج. م. (الأب): .47.
- داريوس (الملك الفارسي): .59.
- دبوز محمد علي: .127.
- الدراجي عموري: .200.
- الدرجيني أحمد: .128.
- دردور عمر (الشيخ): .195.
- درويش سيد: .143.
- دول بوب: .31.
- دونا الأب: .20, .19.
- دمرى أحمد: .224.
- دنمبرى محمد صالح: .9.
- دوبوا بارون لوكونت: .163.
- دونغ فام فان: .40.
- دو دوّيه: .245.
- دوويل مرقيال: .114.
- ديدوش مراد: .158.
- دیستان جیسکار: .151.
- دیغول شارل: .39, .41, .40, .103.
- دی فایه إیمانویل: .143.
- دیکرس شارل (الأب): .44.
- دیمونیه جود فریه: .35.
- دیمتریاس العذراء: .21.
- دیورانت: .150, .63.
- دیشنداں هنری: .42.

- سالم السيد عبد العزيز: 65, 67, 124, 131, 130.
- شاتينيون الحاكم العام: 35, 158.
- شاكر سالم: 41, 46.
- شرباتوف المستشرق: 113.
- شريط الأزهر: 194.
- ششنق الأول: 13, 14, 149.
- شفique محمد: 25, 26, 28.
- شلوتزر: 13, 53, 54.
- شلوي أحمد: 200.
- الشماخي أحمد بن سعيد: 128.
- الشنفري: 142.
- شيراك جاك: 248.
- شيلر فريدريخ فون: 139.
- ش -
- صالحى السعيد (الشيخ): 12.
- الصبيح ميسوم: 40.
- صفان صدر بعل: 62, 152.
- صولومون: 65.
- ض -
- الضريبي هاني بن بكور: 75.
- ط -
- الطبرى أبو جعفر: 55, 56, 79.
- الطراپلسى سيد أحمد: 208, 212.
- طوريز موريس: 106, 110.
- ع -
- عايسي محمد الشريف: 199.
- عبد السلام بلعيد: 45, 189.
- عبد القادر الأمير: 180.
- ستالين جوزيف: 106, 107, 108, 141.
- سترافسكى إيغور: 143.
- ستوره بينجمان: 39.
- سحنون أحمد (الشيخ): 181.
- السرحانى أحمد: 195.
- سعد الله أبو القاسم: 175.
- سعدي السعيد: 188, 215.
- سعدي سليمان: 193.
- سعدي عثمان: 31, 193, 199, 203, 215, 223, 228, 237, 239, 250.
- سعدي عثمان (الرائد): 194.
- سعدي الصادق: 36.
- سكوت وولتر: 143.
- السلاوى شهاب الدين: 56.
- سميث ديتوس: 30.
- السنوسى الها迪: 176, 177.
- سوسة أحمد: 14, 53, 60, 62, 90, 113.
- السوسى مختار: 100.
- سوستيل جاك: 37.
- سيسينيوس: 21.
- سيفاكس: 62, 115, 116, 152.
- سيفي مقداد: 230.

- ف -
- الفارسي سليمان: 208.
 - فاليروس: 21.
 - فلوريان: 25.
 - فوكو شارل (الأب): 118, 119.
 - فيرجيل: 152.
 - فيخته جوهن: 166, 167.
 - فيريدي غيوسيب: 143.
 - فيوزاك باريير: 245.
 - فيلالي مختار: 199.
 - فيليكس مينوكس: 66, 114, 154.
- ق -
- قتال الوردي: 194.
 - قداش محفوظ: 42.
 - القصیر أبو بكر: 131.
- ك -
- كاتي محمد: 25.
 - كاراكلا ماركوس: 66.
 - كافور كاميلو: 105.
 - الكاهنة (ذويه): 9, 67, 71, 72, 73, 74.
 - الكعاك عثمان: 24, 125, 126.
 - كسلة: 68, 69, 70, 71, 74, 153.
 - الكلبي محمد: 55, 56.
 - الكواكب عبد الرحمن: 162, 163.
 - كوفالنشوك: 108.
 - كولونيا فاني: 33.
- عبد الناصر جمال: 164.
- عبد الوهاب الإمام الرستمي: 127.
- العبسي خالد بن يزيد: 72, 73.
- عبيد الحاج لحضر (العقيد): 199.
- العريباوي محمد المختار: 100.
- عطية عبد الرحمن: 200.
- عقون عبد الكريم: 183.
- علي محمد باشا: 163, 164.
- علي فرات: 37.
- علي يحيى رشيد محتد: 36.
- العماني أبو الشعثاء: 127.
- العمودي الأمين: 178, 183.
- عمون بعل: 17, 19, 71.
- عمروش العقید: 12, 43, 48, 219, 220.
- غ -
- غاريبالدي: 105, 111.
- غرينبرغ: 89, 155.
- غرينغو بولا: 42.
- غريغوار هونري: 245.
- الغزالی أبو حامد: 175, 176.
- غزيل ستيفان: 17.
- الغسيري محمد (الشيخ): 195.
- غلاب عبد الكريم: 47, 232.
- غنام عبد الحميد: 199.
- غوتیه إيمیل فيليکس: 13, 19, 27, 55.
- غیلیمار: 124.

- العراکشي محيي الدين: 131.
- مرقص إلياس: 108, 109.
- المستنصر الخليفة الفاطمي: 129.
- مشتى الجمعي: 200.
- مسعود مصطفى بن عبيد: 199.
- مسعوداني محمد الهادي: 199.
- المسعودي أبو الحسن علي: 76.
- مسلم أبو عبيدة: 127.
- مصطفاي شوقي: 36.
- المطماطي سابق بن سليمان: 75, 78.
- معجوج قيدوم: 200.
- معرف عمار: 199.
- .210, 44, 43 - معطوب لوتاں: .210.
- معمری مولود: 42, 43.
- معمری الشریف: 46.
- المقرانی الحاج محمد: 48, 218, 252.
- المقریزی تقی الدين: 76.
- ملاح محمد الصالح: 199.
- منون آغا: 23.
- المنصور أبو الفتح: 129, 157.
- مؤنس حسين: 69, 70.
- مورياك فرانسو: 142.
- .143 - الموصلی عثمان الملا: .143.
- مومن العربي: 199.
- موند تراس: 64.
- میتران فرانسو: 210.
- میسیپسا: 151.
- میشکوف: 108.
- مهني فرحت: 45, 230.
- کیکرویس: 22.
- کیوان عبد الرحمن: 40.
- ل -
- لاکوست روپر: 36, 40.
- .119, 118, 34 - لافیجری شارل، الکاردنال: .119, 118, 34.
- لانغر ویلیام: 57, 58, 83, 155.
- لنغلارت إیف: 244.
- لانفری جاک: 47.
- الاؤندي سعید: 231.
- لشرف مصطفی: 220, 221, 222, 223, 227.
- لعمش علی: 35.
- لویان جون ماری: 7.
- لویون غوستاف: 24, 61, 84, 113, 155.
- لوسيان المقيم الفرنسي بال المغرب: 34.
- لوغلاي الكابتن: 34.
- لینین فلاڈمیر: 106, 134.
- م -
- مانتسینی غیوسیب: 105, 111.
- ماجو القرطاچی: 149.
- مارسیه ویلیام: 21.
- مارکس کارل: 106, 141.
- مالرو اندریه: 142.
- ماسینیسا: 18, 241, 152, 116, 115, 112, 78.
- المالکی أبو عبد الله: 68, 69, 70.
- ماوتسی تونغ: 30.
- مداد مسعود: 42.
- مراردة مصطفی (الرائد): 199.

- ن -

- نابيه الأمiral: 163.
- الناضوري رشيد: 21, 50, 51, 62, 63, 64.
- ولد حمودة عمار: 35, 36.
- الورتلاني الشيخ الفضيل: 12, 43, 48, 252, 218

- ي -

- اليازوري الحسن بن علي: 129.
- ياسين تاسعديت: 41.
- ياسين كاتب: 134.
- اليمني أبو الخطاب المغافري: 127.
- يوبا الأول: 151.
- يوبا الثاني: 122.
- يوغرطا: 78, 153, 157.

- ه -

- هانو القرطاجي: 149.
- هالدريك: 145.
- هاوزر: 106.
- هجرس الصادق: 37.
- هو روبيرتز: 251.
- هوشى منه: 31, 39.
- هوميروس: 152.
- هوين نغوين فام: 31.



مراجع الكتاب

المراجع العربية:

- الإبراهيمي، محمد البشير: عيون البصائر.
- ابن الأثير، علي بن أحمد، الكامل في التاريخ (القاهرة 1357 هـ).
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر... (بيروت 1968).
- ابن عبد الحكم، عبد الرحمن: فتح مصر والمغرب (القاهرة 1961).
- ابن عذاري، أبو العباس أحمد: البيان المغرب في أخبار المغرب (بيروت 1950).
- ابن منظور، جمال الدين: لسان العرب (القاهرة 1891).
- بن يوسف بن خدة: مصادر أول نوفمبر 1954 (الجزائر 1989) بالفرنسية.
- أحمد بن نعمان: فرنسا والأطروحة البربرية في الجزائر (الجزائر 1991).
- باغى، عبد الرحمن: حياة القิروان (بيروت 1961).
- البكري، أبو عبد الله: المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والغرب (الجزائر 1911).
- تاغامونت، عز الدين: معجم الأمازيغية (الجزائر 1995).
- خشيم، علي: آلهة مصر العربية (ليبيا 1990).
- دبوز، محمد علي: تاريخ المغرب الكبير (القاهرة 1963).
- سالم، السيد عبد العزيز: المغرب الكبير، ج 2، (القاهرة 1966).
- سعدي عثمان: التعريب في الجزائر: كفاح شعب ضد الهيمنة الفرنكوفونية (الجزائر 1993).
- السلاوي، أحمد الناصري: الاستضاء لأخبار دول المغرب الأقصى (القاهرة 1894).
- سوسة، أحمد: حضارة العرب ومراحل تطورها عبر العصور (بغداد 1979).
- الطبرى، محمد بن جرير: تاريخ الأئم وأலوك (القاهرة 1939).
- العريباوى، محمد مختار: البربر عرب قدامى (الرباط 1993).
- علي، جواد: تاريخ العرب قبل الإسلام (بغداد 1956).
- فهمي، أبو العينين: أفغانستان بين الأمس والاليوم (القاهرة 1969).

- الكعاك، عثمان: مراكز الثقافة في المغرب (القاهرة 1958).
- مادون، محمد علي: عروبة البربر (دمشق 1992).
- المالكي، أبو عبد الله: رياض النفوس (القاهرة 1955).
- المراكشي، محبي الدين: المعجب في تلخيص أخبار المغرب (القاهرة 1949).
- مرقص، إلياس: الماركسية السوفياتية والقضايا العربية (بيروت 1973).
- مؤنس، حسين: فتح المغرب العربي (القاهرة 1947).
- معجم ألفاظ القرآن الكريم (القاهرة 1970).
- الميثاق الوطني الجزائري.
- الناضوري، رشيد: المغرب الكبير، ج 1، (القاهرة 1966).
- مجلة المقتطف (المصرية) عدد مايو 1934.
- مجلة المجمع العلمي (السوري) عدد أبريل (نيسان) 1986.

المراجع الأجنبية:

- AGERON (C.R.): Politique coloniale au Maghreb (Paris 1972).
- Andre (P.J.) (C.R.): Membre de l'academie de sciences coloniales: Contribution a l'étude des confréries religieuses musulmanes (Alger 1956).
- BASSET - Andre: La langue berbère (Paris 1929).
- BASSET - René: Les influences puniques chez les berberes (revue africaine) v.72 (1921).
- BATES - Oric: the eastern lybyens, (London, 1970) (first editions 1914).
- BEHIR -Edward: Une amerique qui fait peur (Paris 1995).
- BERNAL - Martin: Black Athena, the afroasiatic roots of classic civilisation (London 1991).
- BEN KHEDDA- Ben Youcef: Les origines du 1er Novembre 1954 (Alger 1989).
- CINTAS - P.: Ceramiques puniques, (Paris 1950).
- COLONNA - Fanny: Les instituteurs Algériens (1883 - 1893).

- DALLET - Jean - Marie: Dictionnaire de la langue Kabyle (Paris 1982).
- DATUS. C. Smith: Indonesia: Land and people. (New York 1961).
- Dictionnaire Encyclopedique (Quillet) A. Bota.
- ديوранت: قصة الحضارة. الترجمة العربية (القاهرة 1956 - 1976).
- DOUEL - Marial: l'Algérie Romaine (Paris 1930).
- Encyclopedia Universalis (Paris 1968).
- دائرة المعارف الإسلامية، الترجمة العربية (القاهرة 1933).
- GAUTIER - Emile - Felix: Considerations sur l'histoire du Maghreb (Revue Africaine, Vol. 68 (1927).
- GAUTIER - Emile - Felix: Le passe de l'Afrique du Nord (Paris 1964).
- Grand Larousse Encyclopedique.
- GREENBERG (J.H.): Languages of Africa (USA 1966).
- KATI - Mohamed: TAREK Alfattach (Paris 1913).
- لانغر، ويليام: موسوعة العالم (الترجمة العربية، القاهرة 1962).
- لوبون، غوستاف: حضارة العرب. ترجمة عادل زعير. ط.2.
- LUTSKY - V.: Modern History of the Arab countries (Moscow 1969).
- MARCAIS - William. (Revue Africaine, T.94 1950).
- MEDDAD - Messaoud: Guerre d'Algérie (Alger 1992).
- RENAN- Ernest: Histoire Generale des langues semitique. (Paris 7ème édition).
- ROSLER - O.: Orientalia, V.20 - 17.
- ROSSI - Pierre: La cite d'ISIS: Histoire vraie des Arabes (Paris 1976).
- ستالين: الماركسية وقضايا اللغة العربية (بالعربية، موسكو 1950).
- STORA - Benjamin: Ils venaient d'Algérie (Alger 1992).
- مجلة (الشرق) بالألمانية.
- Le Vietnamien et l'enseignement supérieur au Vietnam (Hanoi 1968).
- Warmington - B.H.: CARTHAGE, London 1960.

الصحف:

- جريدة الأهرام المصرية، عدد 18/06/1995.
- جريدة المساء (الجزائرية)، عدد 30/10/1994.
- جريدة الشرق الأوسط اللندنية (أعداد 1995/11/23 - 1995/11/27 - 1995/12/13 - 1995/12/13).
- المجاهد الأسبوعي الجزائري، عدد 1/9/1996.
- أسبوعية الشروق العربي (الجزائرية) (أعداد 12/12/1995 و 238، 239، 240 - 26/3/1996 - 1996/6/18 - 1996/8/6 - 1996/9/24 و 1996/5/21 - 1996/9/24).

الجرائد الجزائرية بالفرنسية:

- المجاهد اليومية (بالفرنسية) عدد 7/5/1970.
- جريدة EL-WATAN (أعداد 10، 11، 12، 13، 14 - 15/8/1996).
- جريدة LIBERTE (أعداد 15/4/1996 - 16/4/1996 - 3/8/1996).
- جريدة AUTHENTIQUE (عدد 4 - 4/8/1996).
- جريدة LE MATIN (عدد 3 - 3/10/1996).

الفهرس

■	المقدمة	05
■	من هم الأمازيغ	13
-	البربر والعرب القدامى	14
-	دخول البربر العصر الحضاري	16
-	وحدة الأمة من وحدة اللغة	28
-	النزعه البربرية	33
-	مؤامرة النزعه البربرية بالأربعينيات	35
-	تأسيس الأكاديمية البربرية في باريس	39
■	الأصول العربية للأمازيغ	49
-	البربر والساميون، أي العرب القدامى	51
-	الهجرات العربية السابقة للإسلام	55
-	البربر والفينيقيون	61
-	البربر والرومان والفنادل والبيزنطيون	63
-	البربر والفتح الإسلامي	65
-	قصة كسلة	68
-	قصة الكاهنة	71
-	تسمية البربر	78
-	التشابه بين حياة البربر وحياة العرب	81
-	الأصول العربية للبربر	83
-	السمات المشتركة بين البربرية والعربية	88

■	البعدان الوطني والقومي للثقافة الجزائرية
101	من نحن ؟
102	- مفهوم الأمة والشعب في الإسلام
104	- تعريفات أوروبية للأمة
104	- مفهوم الأمة لدى الماركسيين
106	- مفهوم الأمة الخاطئ
109	- قصة وحدة الأمم الألمانية والإيطالية والبولونية
111	- الأصول العربية للثقافة الجزائرية
112	- أبوليوس الكاتب التوميدي الأصيل
114	- أبوليوس الكاتب التوميدي الأصيل
125	- الفتح الإسلامي
126	- عهد الدول المستقلة بال المغرب
133	- الاستعمار الفرنسي والشعوبية
135	- الثقافة في العهد الاستعماري
137	- المسألة الثقافية منذ 1962
140	- ما هي الثقافة الوطنية المنشودة ؟
142	- دور الفنون الشعبية
147	■ حوار حول مقومات الشخصية الوطنية
148	- مسألة قرطاج
153	- المسألة البربرية
159	- البعد العربي للجزائر
168	- مسألة الثقافة الشعبية

■	دور الشعر الجزائري في بث الوعي القومي	171
■	ملحق	187
-	النزعه البربريه في الانتخابات الرئاسيه الجزائريه	188
-	ما ينتظره الشعب	190
-	هل تنجح الأكاديمية البربرية بفرنسا في ترويض الأوراس الأشم؟	194
-	لائحة رفض من المجلس التاريخي للولاية الأولى	196
-	بيان تأييد من الرئيس احمد بن بله	200
-	ثالوثية الهوية الوطنية تتعارض مع بيان أول نوفمبر	202
-	لائحة رفض من المجلس التاريخي الموسع	204
-	رسالة من بجاية: لا للنزعه البربريه	207
-	رأي الأستاذ محمد البصري في المسألة البربرية	212
-	إلغاء المؤتمر الأمازيغي الشعوي وشعار الصحف الفرنسية الصادرة في الجزائر	214
-	لهجة تقاضي لغة !	227
-	رأي المستشرق جاك بيرك في المسألة البربرية	230
-	بيان لجنة المساندة للمفهوم السليم للمسألة الأمازيغية والهوية الوطنية	233
-	كيف يفسر البربريون ثلاثة الهوية الوطنية	238
-	كيف طبق قانون تعميم اللغة الفرنسية في فرنسا	243
-	حوادث تيزى وزو 1980 في الصحافة الأوروبيه	249
■	فهرس الأعلام	253
■	مراجع الكتاب	263
■	الفهرس	267

إنجاز

دار الأمة
Dar El Oumma

قف. عين